جامعة الخليل

كلّية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى في تفسيره (الأساس)

إعداد

إيمان خليل موسى جرادات

إشراف

الدكتور عطية صدقي الأطرش

الدكتور جمال زكـي أبو مـرق

قُدّم هذا البحث استكمالاً لمتطلّبات نيل درجة الماجستير في أصول الدين فرع التفسير

1436هـ-2015م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى في تفسيره (الأساس)

The educational method of the Muslim scholar Sa'id Hawwa in his commentary on the Quran "Al-Asas"

إعداد: إيمان خليل موسى جرادات

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت يوم الثلاثاء بتاريخ 14 محرم لعام 1437هـ، الموافق 27 تشرين الأوّل لعام 2015م.

وقد تكوّنت لجنة المناقشة من:

الدكتور عطية صدقي الأطـرش	مشرفاً ورئيسـاً	.....
الدكتور جمال زكـي أبو مـــرق	مشرفاً تربويـاً	.....
الدكتور محمّد عبد الفتّاح شاهين	ممتحناً خارجياً	.....
الدكتور هارون كامل الشرباتـي	ممتحناً داخلياً	.....

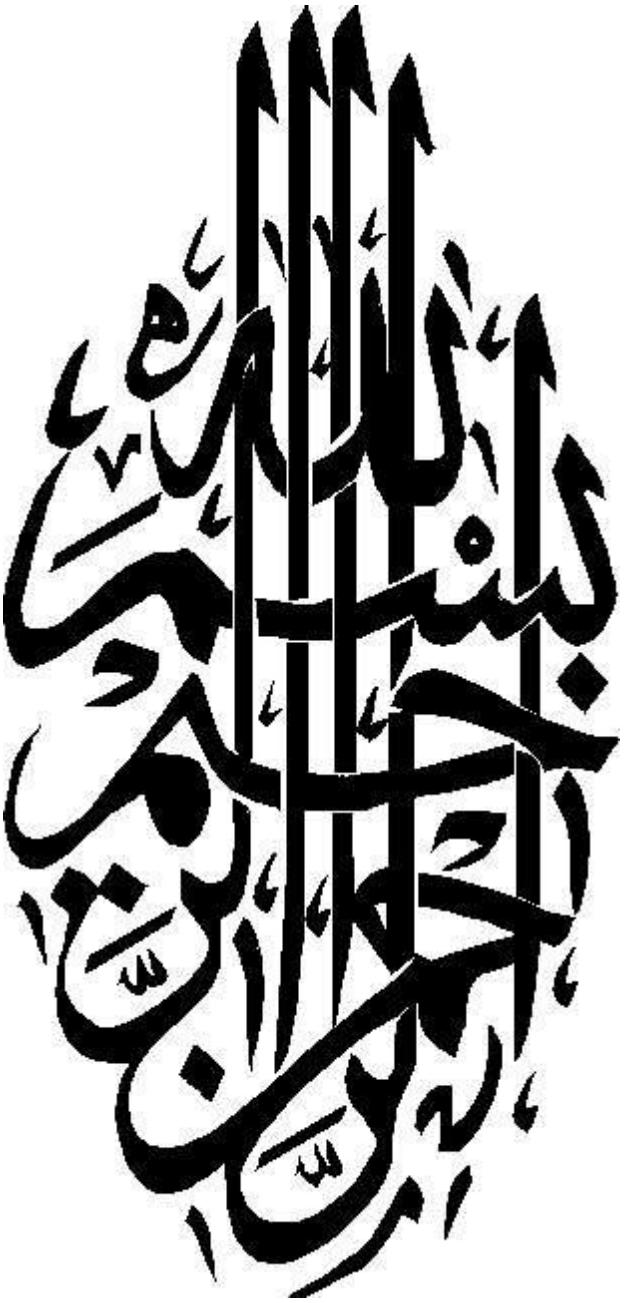

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إهداء

إلى المربّي الأوّل سيّدي وحبيبي رسول الله ﷺ.

إلى كلّ المخلصين الذين أخذوا على عاتقهم مهمّة التربية الربّانية، والدعوة إلى سبيل الله ﷻ، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل ذلك.

إلى من طابت بهم الحياة وتطيب؛

من ربّياني صغيراً، نبع العطاء؛ أمّي وأبي، ربّ ارحمهما، وبارك بعمرهما بالصالحات...

صاحب الخُلق العالي؛ زوجي الكريم الدكتور سمير سليمان، حفظه الله، ووالديه الكريمين...

قرّة عيني؛ طفليّ طارق ومنيب، حفظهما الله...

أخواتي، وإخوتي وأزواجهم...

أحبّتي في الله في كلّ مكان وزمان، والمسلمين والمسلمات...

أهدي إليهم عملي هذا، جعله الله في ميزان برّي بهم أجمعين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله ﷻ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وعملاً بقول النبي ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"؛ فإنّي أتوجّه في هذا المقام بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لكلٍّ من: مشرفي من كلّية الشريعة الدكتور عطية صدقي الأطرش، ومشرفي من كلّية التربية الدكتور جمال زكي أبو مرق، لجهودهما الكريمة في الإشراف على هذه الرسالة وتقويمها وتعديلها، فجزاكما الله كلّ خير.

وأتوجّه بالشكر الجزيل والتقدير لعضوي لجنة المناقشة الشيخ الدكتور هارون كامل الشرباتي، والدكتور محمّد عبد الفتّاح شاهين، لتكرّمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتصويب ما فيها من أخطاء، وتقويمها، فجزاكما الله خيراً.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لكلّيتي العريقة؛ كلية الشريعة، ممثلّة بعميدها، وأساتذتها الأكارم، الذين تتلمذت على أياديهم في مرحلتي البكالوريس والماجستير، فبارك الله فيكم، وجزاكم الله خيراً على ما تكرّمتم به من العلم والحكمة.

والشكر موصول لهذا الصرح العلمي، جامعتي جامعة الخليل.

وأتّوجّه بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور معاذ سعيد حوّى وعائلته الكريمة، لتوجيهاتهم القيّمة، وتزويدي ببعض مراجع هذه الرسالة، فجزاهم الله كلّ خير.

والشكر موصول لإدارة مكتبة الجامعة الأردنية لتمكينهم إياي من استخدام المكتبة والإفادة من مراجعها ومصادرها، كذلك أتّوجّه بالشكر لأمناء مكتبة بلدية الخليل لمساعدتهم في الوصول إلى المراجع المطلوبة والإفادة منها؛ فجزاهم الله خيراً جميعاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	**ب**
شكر وتقدير	**ت**
فهرس الموضوعات	**ث**
ملخّص البحث	**د**
Abstract	ر
المقدّمة	ز
الفصل الأوّل: الشيخ سعيد حوّى بين المنهج التربوي الإسلامي والمناهج التربوية الأخرى	**1**
المبحث الأوّل: التعريف بالشيخ سعيد حوّى ﵀	2
المطلب الأوّل: نسبه ونشأته	2
المطلب الثاني: سيرته العلمية	3
المطلب الثالث: مؤلفاته	6
المطلب الرابع: كتاب الاساس في التفسير	7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: البيئة السياسية التي عاش فيها حوّى	10
المطلب السادس: عزلة الشيخ الاضطرارية ووفاته	12
المبحث الثاني: المنهج التربوي المعاصر	14
المطلب الأوّل: تعريف المنهج التربوي	14
المطلب الثاني: أهمّية المنهج التربوي وأهدافه	18
المطلب الثالث: مصادر اشتقاق الأهداف التربوية عند علماء التربية	20
المطلب الرابع: المدارس التربوية المعاصرة بين المنهج والوسيلة والهدف	21
المطلب الخامس: شواهد تفوّق التربية الإسلامية على الفلسفات التربوية المعاصرة	27
المبحث الثالث: المنهج التربوي الإسلامي	30
المطلب الأوّل: نظرة الإسلام إلى الجزء المعنوي في الإنسان	30
المطلب الثاني: خصائص المنهج التربوي الإسلامي	35
المطلب الثالث: مصادر التربية الإسلامية وأسسها	37
المطلب الرابع: أهداف التربية الإسلامية ووسائلها	38
الفصل الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية القلب	**42**
المبحث الأوّل: أعمال القلوب	44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأوّل: الإيمان والتوحيد	45
المطلب الثاني: الإذعان للحقّ والعبودية لله ﷻ والإخلاص فيها	51
المطلب الثالث: التقوى	60
المطلب الرابع: الشكر والصبر	64
المطلب الخامس: أعمال قلبية أخرى	68
المبحث الثاني: أمراض القلوب	73
المطلب الأوّل: الكفر	73
المطلب الثاني: النفاق	78
المطلب الثالث: الفسوق	85
المطلب الرابع: الشرك	86
المطلب الخامس: الكبر والحسد	88
الفصل الثالث: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية جوارح الإنسان وأخلاقه وعلاقاته	**91**
المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية الجوارح	92
المطلب الأوّل: العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح	93
المطلب الثاني: مفاهيم مهمّة في قضية التكليف	98

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: عبادات الجوارح المفروضة	104
المطلب الرابع: النوافل	109
المطلب الخامس: منهيّات الجوارح	122
المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في التربية الأخلاقية والاجتماعية	126
المطلب الأوّل: التربية الأخلاقية	127
المطلب الثاني: التربية الاجتماعية	136
الفصل الرابع: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن عناصر عملية الدعوة	**146**
المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن المربّي والتلميذ	147
المطلب الأوّل: حديث الشيخ عن أهمّية وجود المربّي	148
المطلب الثاني: التوجيهات الإيمانية للداعية	149
المطلب الثالث: التوجيهات العملية والأخلاقية للداعية	153
المطلب الرابع: التوجيهات المتعلّقة بطالب التزكية	156
المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن دعوة الداعية	159
المطلب الأوّل: الفئة التي يستهدفها الداعية ونقطة البداية مع المدعو	160
المطلب الثاني: عناصر مؤثّرة في عملية الدعوة	163

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: سلوك الداعية في دعوته	166
المطلب الرابع: توجيهات متعلّقة بعملية الإنذار	172
الفصل الخامس: وسائل التزكية ومعيقاتها	**179**
المبحث الأوّل: وسائل التزكية	182
المطلب الأوّل: البيئة الصالحة (حياة المسجد، الصحبة الصالحة، التفوّق المدني)	182
المطلب الثاني: مجالس القرآن والذكر والعلم	185
المبحث الثاني: معيقات التزكية	189
المطلب الأوّل: البيئة والصحبة الفاسدة	189
المطلب الثاني: فتنة الدنيا والنساء	195
المطلب الثالث: وساوس الشيطان وتزيينه	200
الخاتمة	206
المصادروالمراجع	210

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخّص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى كشف أهمّ ملامح المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى ﷺ في تفسيره (الأساس)، وذلك من خلال تتبّع جهوده التربوية في هذا التفسير، وجمعها وتصنيفها، وقد اشتملت الدراسة على مقدّمة وخمسة فصول، وخاتمة.

بيّنتُ في **المقدّمة** عنوان البحث، وأهدافه، وأهمّيته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث وخطواته، ومحتواه.

أمّا عن الفصول؛ فقد عرّفتُ في **الفصل الأوّل** بالشيخ سعيد حوّى من حيث نسبه ونشأته وسيرته العلمية ومؤلفاته وبيئته ووفاته، ثمّ تطرّقت للحديث عن المنهج التربوي من حيث أهمّيته وأهدافه، وذكرت مصادر اشتقاق الأهداف التربوية عند علماء التربية، ووقفت مع أهمّ المدارس التربوية المعاصرة من حيث المنهج والوسيلة والهدف، ثمّ انطلقت للحديث عن المنهج التربوي الإسلامي على ضوء العناصر السابقة، فبدأت ببيان نظرة الإسلام إلى الإنسان من حيث تركيبه، ثمّ ذكرتُ خصائص المنهج التربوي الإسلامي، وختمتُ بالحديث عن أهداف التربية الإسلامية ووسائلها.

أمّا **الفصل الثاني** فكان بدايةُ توضيح المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى، وقد خصّصته للحديث عن منهج حوّى في تربية القلب، ووضّحت ذلك من خلال عرْض ما ذكره حوّى بشأن بعض أعمال القلوب كالإيمان والتوحيد، والإذعان للحقّ، والعبودية لله ﷻ والإخلاص فيها، وأعمال قلبية أخرى، وفي المقابل تطرّقت لأبرز ما ورد بشأن أمراض القلوب، كالكفر والنفاق وغير ذلك من الأمراض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي **الفصل الثالث** تطرّقت للحديث عن منهج حوّى في تربية جوارح الإنسان وأخلاقه وعلاقاته، فبيّنتُ ما جاء بشأن تربية الجوارح من الحديث عن العلاقة بين عمل القلب وعمل الجارحة، وتوقّفت مع مفاهيم مهمّة في قضية التكليف، ثمّ انتقلت للحديث عمّا جاء عن الشيخ بشأن أعمال الجوارح المفروضة، وعباداتها النوافل، ومنهيّاتها، ثمّ تلا ذلك حديث عن منهج الشيخ في تربية أخلاق الإنسان وآدابه وعلاقاته، وذلك من خلال الحديث عن تربية الأخلاق والآداب والعلاقات الأسرية والأخوية والمجتمعية.

أمّا **الفصل الرابع** فتطرّقت فيه لما جاء في (الأساس) ممّا يتعلّق بعناصر عملية الدعوة؛ فكان هناك حديثٌ عن المربّي وهو الداعية؛ وذلك من حيث أهمّية وجوده، وما جاء بشأنه من توجيهات إيمانية وعملية وأخلاقية، وحديث أيضاً عن التوجيهات المتعلّقة بطالب التزكية، ثمّ تبع ذلك حديث عن عملية الدعوة ذاتها؛ من حيث الفئة المستهدفة في الدعوة، ونقطة البداية مع المدعوّ، ومن حيث العناصر المؤثّرة في عملية الدعوة، ومن حيث سلوك الداعية في دعوته، وختمت الفصل بالوقوف على بعض توجيهات الشيخ فيما يتعلّق بعملية الإنذار.

وأخيراً في **الفصل الخامس** تمّ تناول الحديث عن وسائل التزكية وعوائقها؛ فتطرّقتُ لبعض ما جاء عن حوّى بشأن ما يعين على التزكية وينمّيها؛ كالبيئة الصالحة، ومجالس القرآن والعلم والذكر، وفي المقابل بيّنت بعض ما ورد بشأن ما يعيق عملية التزكية؛ كالبيئة الفاسدة، وفتنة الدنيا والنساء، ووساوس الشيطان وإغراءاته.

وفي **خاتمة الرسالة** تمّ عرضُ أهمّ نتائج الرسالة وتوصياتها، وبعد الخاتمة عرْضتُ المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

This study aims to investigate the most important characteristics related to the educational methods used and presented by the Muslim scholar Said Hawwa (1935–89) by detecting his educational efforts in his Qur'anic commentary *al-Asas fi-l-tafsir*, by collecting them, as well as by their topical classification.

While the introduction deals among others with the importance of this study, with its aims and limits, with its methodology, and with previous studies that were conducted in this field, the first chapter gives an overview not only over Said Hawwa's life, but also over the most important current schools of education in general, as well as over the methods of Islamic education in particular with regard to their aims, their characteristics and their instruments.

The second chapter deals with Hawwa's methods concerning the education respectively the purification of the human heart. It shows the most important issues related to the heart and clarifies its possible diseases.

In the third chapter the author presents Hawwa's methods with regard to physical acts of worship, as well as educational aspects related to ethics, morality and decency in family life and in wider social interaction.

While the fourth chapter is related to the process of the call to Islam respectively to an Islamic behavior according to Hawwa including his instructions for both the educator and the disciple in his search for self-purification, the fifth chapter deals with Hawwa's illustration of the methods of self-purification and its obstacles.

In the conclusion the author presents the most important results of the study and gives suggestions for further research.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده مدى الدهور والأزمان، والصلاة والسلام على صاحب الشرف العالي، إمام المرسلين، وقدوة المربّين، سيّدي محمّد بن عبد الله، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ شمولية الرسالة التي بعث الله بها محمّداً ﷺ أحد المسلّمات التي لا بدّ أن تكون مستقرّة في عقيدة كلّ مسلم، ومن مظاهر هذا الشمول وجود منهج إسلامي تربوي متكامل، له أسسه وأهدافه، يُعنى ببناء الإنسان وتنميته وتزكيته، وقد تعددت جهود العلماء من قديم وحديث في إبراز هذه التربية واستنباطها من مصادر الشريعة المختلفة؛ فوُجدت المصنّفات في أعمال القلوب وأمراضها، وفي الرقائق والأخلاق والتصوّف، وفي تنظيم العلاقات الزوجية والأسرية والأخوية والمجتمعية، وغير ذلك، كذلك فقد وُجدت إشارات تربوية في ثنايا مصنّفات العلوم الشرعية الأخرى كالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم.

وقد حاولت في هذه الدراسة إبراز الجهود التربوية لأحد العلماء من خلال تفسيرٍ للقرآن الكريم، فكان هذا البحث بعنوان "**المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى في تفسيره (الأساس)**"، أقدّمه استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في تخصّص التفسير، وقد سرت في هذا البحث على خطوات وضحتها في منهج البحث لتحقيق هذا الغرض والله المستعان، وأرجوه القبول والتوفيق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشكلة البحث:

على ضوء ما سبق، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى في تفسيره الأساس؟

ويتفرّع عن السؤال الرئيس، الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما هي المناهج التربوية المعاصرة، وبمَ يتميّز المنهج التربوي الإسلامي بشكل عامّ عنها؟
2. ما هي أبرز ملامح منهج حوّى في في تربية القلب؟
3. ما منهج حوّى في تربية جوارح الإنسان وأخلاقه وعلاقاته؟
4. ما أبرز آراء حوّى في موضوع الدعوة ومتعلّقاتها؟
5. ما أهمّ وسائل التزكية ومعيقاتها التي وقف عليها حوّى في تفسيره؟

أهداف البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى جمع الأفكار التربوية المتفرّقة في أجزاء كتاب (الأساس في التفسير)، وتنظيمها وتصنيفها تحت عناوينها المنطقية؛ بحيث يسهل الاستفادة منها، علاوةً على معرفة المنهج التربوي للشيخ سعيد حوّى في تفسيره، وذلك من خلال:

1. مقارنة المنهج التربوي الإسلامي بالمنهج التربوي المعاصر.
2. توضيح منهج حوّى في تربية القلب، من حيث أعماله وأمراضه.
3. بيان منهج حوّى في تربية جوارح الإنسان، وآدابه، وأخلاقه، وعلاقاته الاجتماعية.
4. الكشف عن نظرية حوّى في موضوع الدعوة ومتعلّقاتها من الداعية والمدعو.
5. الوقوف على أهمّ وسائل التزكية ومعيقاتها من خلال تفسير (الأساس).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهمّية البحث:

تكتسب الدراسة أهمّيتها من خلال الآتي:

1. التصاقها بأهمّ الموضوعات المتعلّقة بحياة الناس اليومية، ألا وهو موضوع التربية؛ فيقدّم فوائد تربوية في موضوعات تربية القلب والجسم والأخلاق، كذلك في موضوع الدعوة إلى الله ﷻ، وموضوع التزكية من حيث وسائلها ومعيقاتها.
2. تقدّم خلاصة جهد تربوي لعالم جليل، ممّن لهم باعٌ في موضوع التربية والأخلاق؛ فيسهّل المهمّة على المهتم بذلك للوصول إليها مبوّبة في مكان واحد، لا سيّما وأنّها جهود عالم معاصر، ففيها مظنّة التجديد والواقعية.
3. تخدم في موضوع التفسير التربوي، من خلال تزويد المكتبة القرآنية ببحث مختّص بالجانب التربوي للتفسير بشكل عامّ.

أسباب اختيار موضوع البحث:

من الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا البحث، ما يلي:

1. أهمّيته، والرغبة في تحقيق الأهداف، التي سبق ذكرهما.
2. اهتمامي بموضوع التربية بشكل عامّ، والرغبة في البحث في موضوع التربية انطلاقاً من آيات الذكر الحكيم.
3. أمّا عن سبب اختياري لتفسير الشيخ سعيد حوى ﷺ، فهو كون المفسر معاصراً يجعله أقدر من غيره على فهم الآية المتعلقة بجانب اجتماعي، وإسقاطها على الواقع المعاصر، فالفائدة المرجوّة أكثر، كما أنّ مؤلّفات الشيخ في التربية الأخلاق، كانت دافعاً لاختيار تفسيره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حدود البحث:

يتعلّق البحث بدراسة المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى، وذلك من خلال كتابه (الأساس في التفسير)، ويتناول جوانب معيّنة من فكره التربوي؛ وهي جوانب التربية القلبية، وتربية الجوارح والآداب والأخلاق والعلاقات، وآراء حوّى في عملية الدعوة، وأهمّ وسائل التزكية ومعيقاتها.

الدراسات السابقة:

تفسير الشيخ سعيد حوى ﵀ كان موضع عدّة دراسات من زوايا مختلفة، لكن لم تستقل دراسة منها بدراسة المنهج التربوي عند الشيخ سعيد في هذا الكتاب، وفي الآتي بيان هذه الدراسات:

1. أعدّ زيدان (1993م) دراسة بعنوان **(سعيد بن حوى ومنهجه في التفسير)**، هدف من خلالها إلى توضيح ملامح حياة الشيخ سعيد حوّى وتراثه العلمي، ثمّ التطرّق لتفسير الأساس من حيث المصادر والمنهج الذي اتّبعه حوّى في التفسير، وبيّن هذا المنهج من خلال الحديث عن التفسير بالمأثور، وما يندرج تحته من عناصر، كتفسير القرآن الكريم بالقرآن، وبالسنّة المطهّرة، وبأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين على خلاف بين العلماء، كذلك من خلال الحديث عن التفسير بالرأي، كاهتمام حوّى بالجانب اللغوي وبالقراءات، وموقفه من التصوّف، وغير ذلك من الجوانب، ثم تعرّض لآراء حوّى في قضايا فكرية معاصرة، كموقفه من منهج الدعوة إلى الله ﷻ، ومن نظام الحكم، وموقفه من الجماعة الإسلامية.
2. هدفت دراسة الوصابي (2006م) **(منهج سعيد حوّى في تفسيره الأساس)**، إلى تفصيل الحديث عن عصر الشيخ سعيد حوّى وحياته، وكذلك التعريف بتفسير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الأساس) من حيث اسمه وخصائصه ومقاصده ومصادره وغير ذلك من العناصر، ثمّ الكشف عن منهج الشيخ في تفسيره؛ فتطرّق الباحث للحدديث عن التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وقد كان علم السلوك ضمن العناصر المدرجة تحت فصل التفسير بالرأي، وكذلك نظرية الوحدة القرآنية، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، مستفيداً من المنهجين الاستنتاجي والاستقرائي، ومن أهمّ النتائج التي توصّل إليها الباحث:

- اعتماد الشيخ في تفسيره على المأثور من الكتاب والسنّة، كذلك الاستفادة من أقوال اللغويين، والنحويين والعناية ببيان الأحكام الفقهية، ومسائل العقيدة، كما أنّ الأحاديث النبوية التي أوردها في تفسيره تدور بين الصحيح والحسن في درجتها، في الأغلب الأعمّ.
- إقلال حوّى من ذكر الروايات الإسرائيلية، وعند ذكره لهذه الروايات لا يترك فرصة تمر دون أن ينتقد المفسرين الذين أدخلوا الروايات الإسرائيلية في تفاسيرهم.
- إنّ تفسير الأساس انصب على إثبات الوحدة القرآنية وهي نظرية جديدة في إثبات المعجزة القرآنية، وهو موضوع حاوله كثيرون، إلا أنّ تفسير الأساس استوعبه والتزم به في تفسير كامل للقرآن.

3. قامت موجاري (2001م) بدراسة بعنوان (**نظرية الوحدة القرآنية في تفسير سعيد حوى**)، ترجمت فيها للشيخ سعيد حوّى، ثمّ تطرّقت للحديث عن نظرية الشيخ في الوحدة القرآنية بشكل عامّ، ثمّ تحليل هذه النظرية، وختمت الباحثة الدراسة بدراسة نقدية لنظرية الشيخ في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوحدة القرآنية، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، وقد توصّلت الباحثة إلى عدد من النتائج، منها:

- الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم لها أكثر من شكل وتفسير، ونظرية حوّى في الوحدة القرآنية تعتبر رؤية جديدة تضاف للرؤى المتعلّقة بمسألة تناسب القرآن الكريم.
- الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم أشمل من الوحدة الموضوعية فيه، وسبيل الأولى التناسب، أمّا سبيل الثانية فقاعدة التفسير الموضوعي.
- تعتبر (نظرية الوحدة القرآنية) أكثر تفصيلاً وتدقيقاً للوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وإن كان محمّد محمود حجازي أوّل من صرّح بمصلح "النظرية" في هذا الشأن، فسعيد حوّى كان أكثر جرأة منه في هذا الإطلاق.

4. هدفت دراسة الشرقاوي (1998م) (**نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى** ﷺ)، إلى الحديث عن حياة الشيخ سعيد حوّى، والكشف عن مقاصد التفسير وطريقته، كذلك التطرّق للحديث عن أهمّية البحث في الوحدة الموضوعية وأقسامها، وللحديث عن وحدة الموضوع، والوحدة الموضوعية للسورة، ثمّ وضّحت الدراسة نظرية الشيخ حوّى في الوحدة الموضوعية من حيث قواعدها العامّة، وختم الباحث بملاحظاته على هذه النظرية ومميّزاتها وغير ذلك.
5. هدفت دراسة أحمد (**الوحدة الموضوعية في القرآن: دراسة مقارنة بين الأساس في التفسير لسعيد حوى وتدبر القرآن لأمين أحسن الإصلاحي**)، إلى البحث في موضوع الوحدة القرآنية، وذلك من خلال إجراء دراسة مقارنة بين كتاب الأساس في التفسير لحوّى، وكتاب تدبّر القرآن للإصلاحي، ولم أتمكّن من الوصول إلى هذه الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. أجرى درّاجي دراسة بعنوان **(الفكر الحركي عند الشيخ سعيد حوّى)**، هدف من خلالها إلى توضيح أهمّ اتجاهات التفسير في العصر الحديث، والتعريف بالشيخ سعيد حوّى ومؤلفاته، وبتفسيره، وبمنهج حوّى فيه، وبمصادره، ثمّ التطرّق لفكر حوّى في قضية التكفير، وقضية جماعة المسلمين، وأخيراً التطرّق لموقف حوّى من الفقه الإسلامي.
7. ومن الأبحاث المعدّة في منهج الشيخ سعيد حوى في السلوك من خلال مؤلفاته الأخرى في التزكية والتربية، دراسة بعنوان **(منهج الشيخ سعيد حوى في التربية والسلوك)**، وقد هدفت دراسة أحمد (2001م) إلى التعريف بالشيخ سعيد حوّى، وحياته وتراثه العلمي، والكشف عن المنهج الروحي في السلوك عند حوّى؛ وذلك من خلال الحديث عن قضايا السَيْر إلى الله ﷻ، والنفس الإنسانية، والمجاهدة والقلب، والأوراد، والمقامات، وكذلك الكشف عن المنهج التربوي عند حوّى؛ وذلك من خلال الحديث عن قضايا الشيخ والبيعة، والعلم والعلماء، ودور المسجد في التربية، والأخلاق والآداب.

منهج البحث:

أمّا عن منهجي في البحث فقد تتبعتُ في إعدادي لهذا البحث المنهج الوصفي، مستفيدةً من المنهجين الاستنتاجي والاستقرائي، بناء على عمليات العرض والاستقراء والاستنتاج.

خطوات وإجراءات الدراسة:

حقّقت ما أريد من هذه الدراسة وفق الخطوات والإجراءات التالية:

أ- قراءة كتاب (الأساس في التفسير) كاملاً، وجمع لفتات الشيخ سعيد حوّى التربوية، وتقسيمها، وتبويبها، وتنسيقها تحت عناوينها الملائمة لها في خطّة البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب–ضبط الآيات القرآنية وعزوها إلى مواضعها في القرآن الكريم، ببيان اسم السورة، ورقم الآية.

ت–تخريج الأحاديث النبوية والآثار من المصادر الأصيلة، والحكم عليها، عدا ما في الصحيحين.

ث–توثيق الأقوال من مصادرها الأصيلة التي وردت فيها، مع تحرّي الدقّة والأمانة العلمية في ذلك.

ج– الرجوع إلى المصادر اللازمة في إثراء محتويات البحث، لا سيّما مصادر العلم التربوي.

ح– الترجمة للأعلام غير المشهورين ممّن ذكروا في الدراسة، ومن لم أقف له على ترجمة لم أترجم له، لاسيّما بعض الأعلام المعاصرين.

خ– ذكر أهم نتائج البحث وتوصياته.

د– إعداد فهرس يفصّل موضوعات الدراسة، وقائمة بالمراجع والمصادر التي تمّ الإفادة منها في البحث.

محتوى البحث:

قسّمتُ هذا البحث إلى مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة.

المقدّمة بيّنتُ فيها: عنوان البحث، وأهدافه، وأهمّيته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له ومنهج البحث وخطواته، ومحتواه.

الفصل الأوّل: الشيخ سعيد حوّى بين المنهج التربوي الإسلامي والمناهج التربوية الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: التعريف بالشيخ سعيد حوّى.

المبحث الثاني: المنهج التربوي المعاصر.

المبحث الثالث: المنهج التربوي الإسلامي.

الفصل الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية القلب.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أعمال القلوب.

المبحث الثاني: أمراض القلوب.

الفصل الثالث: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية جوارح الإنسان وأخلاقه وعلاقاته.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية الجوارح.

المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية أخلاق الإنسان وآدابه وعلاقاته.

الفصل الرابع: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن عناصر عملية الدعوة (المربّي، التلميذ، الدعوة).

وفيه مبحثان:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن المربّي والتلميذ.

المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن الدعوة.

الفصل الخامس: وسائل التزكية ومعيقاتها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: وسائل التزكية.

المبحث الثاني: معيقات التزكية.

الخاتمة، وفيها ذكر لأهمّ نتائج البحث وتوصياته.

هذا وما كان في هذا العمل من توفيق وإحسان فمن الكريم المنّان، الذي ما زال عليّ منّاناً ومنعماً، وما كان فيه من خطأ ونسيان فمن نفسي ومن الشيطان، وأرجو العليّ القدير سلامة القصد، وحسن العمل، والمنّ بالقبول، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأوّل

الشيخ سعيد حوّى بين المنهج التربوي الإسلامي والمناهج التربوية الأخرى

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: التعريف بالشيخ سعيد حوّى

المبحث الثاني: المنهج التربوي المعاصر

المبحث الثالث: المنهج التربوي الإسلامي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

في هذا الفصل حديث مقتضب عن سيرة الشيخ سعيد حوّى ﷺ، مؤلِّف كتاب (الأساس في التفسير)، والذي يشكّل محور هذه الأطروحة، وذلك في المبحث الأوّل، وكتمهيد لتفصيل منهج حوّى في تفسيره، تمّ التطرّق في المبحث الثاني للحديث عن المنهج التربوي المعاصر والفلسفات التربوية الحديثة، وفي المبحث الأخير حديث عن المنهج التربوي الإسلامي، على ضوء العناصر المذكورة في المبحث السابق له؛ لتبيُّن الفرق بين المنهجين.

المبحث الأوّل

التعريف بالشيخ سعيد حوّى ﷺ

المطلب الأول: نسبه ونشأته

هو سعيد بن محمّد بن ديب بن حوّى، ولد في مدينة حماة السورية، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وألف في حي العليليّات، يتّصل نسب أسرته بنسب أسرة أخرى في نفس الحيّ وتتضافر روايتا كبار الأسرتين على أنّهم من آل بيت رسول الله ﷺ.[1]

استهلّ الشيخ طفولته بفراق حضن الأمّ للأبد؛ حيث توفّيت ﷺ عندما كان عمره عاماً وأربعة أشهر، وكذلك بفراق متكرر لوالده ﷺ؛ حيث سجن عدّة مرّات بسبب نزاعات وخصومات استدعتها أوضاع الحيّ الذي كانوا يسكنون فيه، فكان الفراق الأول للأبّ عندما كان الشيخ في

[1] انظر: حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1987م. ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السنة الثانية من عمره؛ أمّا الثاني وهو في السابعة من عمره، والثالث وهو في العاشرة من عمره[1].

في ظلّ هذه الظروف عاش حوّى في كنف عمّه وجدّته، التي اتّسمت بحزمها وصرامتها وحرصها الشديد على تعليمه؛ فأرسلته في بداية الأمر إلى "شيخة" كفيفة تحفظ كتاب الله ﷻ؛ كي تعلّمه القرآن، فتلا عليها القرآن بسرعة كبيرة من أوّله إلى آخره، ثم أدخلته جدّته ﷺ مدرسة ابتدائية، لم يلبث حوّى فيها طويلاً؛ إذ أخرجه والده –بعد خروجه من السجن– من المدرسة بسبب الفقر، وحاجته لمساعدته في العمل وهو ابن ثمان سنوات، فعمل مع والده في سوق الخضار دَوْر الوسيط بين المزارع وبائع المفرق، وكان والده حريصاً على تعليمه فنون هذا العمل؛ فأتقن المحاسبة والجباية والتعامل مع المال، كذلك الخطّ والحساب.[2]

ورغم الفراق المتكرّر بين الابن وأبيه، كان لوالد حوّى ﷺ أثر كبير في بناء شخصيته؛ فقد أخبر حوّى عن حِرْص والده الشديد على زرع قيم ومعان، كان لها كبير الأثر على حياته، ومن ذلك تربيته على المحافظة على العرض والشرف، والعفّة عن أموال الناس والمال العام، وحفظ الأمانة، كذلك فقد عوّده والده على المطالعة حتّى وُلِع بها. [3]

المطلب الثاني: سيرته العلمية

التحق حوّى بمدرسة ابتدائية ليلية؛ كي لا تؤثر دراسته على عمله مع والده، وحصل منها على الشهادة الابتدائية في سنّه الحادية عشرة، ومع دخوله مرحلة الإعدادية اشتدّ ولعه

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص 7–11.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص8–9، ص16.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ص10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالمطالعة؛ فطالع في تلك المرحلة كتباً عالمية كثيرة، وقرأ عن شخصيات عالمية كثيرة، وكان يستعين بمكتبة مسجد "المدفن" في حماة، فأعطته تلك المطالعات قوة على الكتابة الإنشائية تتجاوز سنّه، كذلك قدرة على الاستيعاب السريع، وكلّ ذلك كان له تأثير على ما كتبه حوّى فيما بعد، لكنّ أكثر ما يميز هذه المرحلة –مرحلة الإعدادية– ممّا كان له كبير الأثر في نشأته الدينية هو تعرُّفه على مدرس التربية في ثانوية ابن رشد الشيخ محمد الحامد[1] ، وقد أوصله ذلك إلى حلقة الشيخ العلمية في جامع السلطان فتتلمذ على يده ﷺ، وقد كان من نهج الشيخ الحامد أن يدفع تلامذته نحو الإفادة من العلماء، فأصبح البحث عن الشيخ المعلم للإفادة منه هدفاً لحوّى لم يتخلّ عنه إلا مضطراً.[2]

ومع بداية مرحلة الثانوية انضمّ حوّى إلى جماعة الإخوان المسلمين في مدينة حماة[3] والتي أسّسها الشيخ محمد الحامد في المدينة، عام تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف، فشكّل هذا الانضمام نقطة تحوّل في حياة حوّى؛ حيث حدث انقلاب هائل في اهتماماته المعرفية، فبعد أن كان وجهتها إلى كتب الفلسفة وحفظ الأشعار وغير ذلك، أصبحت روحه توّاقة للحق حريصة عليه، تبحث عمّا هو الأكثر رضى لله ﷻ، لا يهمّها ما سوى ذلك، كذلك فقد أقبل على تعلّم

---

[1] الشيخ محمد محمود الحامد (ت 1969م)، ولد في مدينة حماة، وقد عرف –رحمه الله– بشدة ورعه، وزهده، وتواضعه، ودماثة أخلاقه، كما اشتهر بالجرأة في الحق والشجاعة الأدبية، جمع بين العلم والأدب والفقه والشعر، وسلك طريق التصوف الملتزم بكتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–. انظر: العقيل، عبد الله، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، دار البشير، ط بدون، 2008م. ص823–833.

[2] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص15–23 و ص37.

[3] انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص276.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلم الشرعي والثقافة الإسلامية المتوارثة، وفي خضمّ هذه المرحلة تأصّلت عنده نظرية الوحدة القرآنية، والتي بنى عليها فيما بعد تفسيره "الأساس".[1]

وبعد حصوله على الشهادة الثانوية، التحق بكلية الشريعة في جامعة دمشق عام ستة وخمسين وتسعمائة وألف، ولم يقتصر في تحصيله العلمي على الصلة العلمية بمدرسي الكلّية بل نهل من مَعين عدد كبير من العلماء من خارج الجامعة؛ فأخذ عن الشيخ محمّد الحامد علوم الأخلاق والتصوّف والفقه والسنّة والسيرة والتفسير، وأخذ عن الشيخ محمّد الهاشمي علمي التصوف والكلام، وقد كان لهذين العالمين أثر كبير في حياة حوّى، وأخذ علم ترتيل القرآن عن عدد من قرّاء بلده، وتتلمذ على يد عدد من العلماء[2] في القرآن والتصوف والفقه الحنفي، وتتلمذ في كلية الشريعة على يد الشيخ مصطفى السباعي[3]، والشيخ مصطفى الزرقاء[4]، والشيخ محمد المبارك[5]، والشيخ معروف الدواليبي، والشيخ فوزي فيض الله، والشيخ مصطفى الخنّ، وعلماء

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص25-26، و ص30.

[2] كالشيخ إبراهيم الغلاييني، والعلواني، وعبد الوهّاب الحافظ، وملا رمضان البوطي؛ ولم أتمكّن من الوقوف على ترجمة لهؤلاء العلماء.

[3] هو العالم المجاهد مصطفى بن حسني السباعي (1915م – 1964م)، من مواليد مدينة حمص، نشأ في أسرة عريقة معروفة بالعلم والعلماء منذ مئات السنين، امتاز بنشاطه السياسي في مجال الإصلاح السياسي، والكفاح الوطني، له باع طويل في التأليف. انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص1149-1160.

[4] هو العلّامة المجدّد مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء (1904م – 1999م)، من مواليد مدينة حلب، درس الحقوق والآداب، ونبغ فيهما، عرف بنشاطه السياسي ضد المحتل الفرنسي، شغل مناصب علمية عدّة، كذلك شغل منصب وزير الأوقاف والعدل في سورية. انظر: **المرجع السابق**، ص1141-1148.

[5] هو المفكر محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك (1912م – 1982م)، جزائري الأصل، درس الحقوق والآداب، وشغل مناصب علمية كثيرة، وكان له نشاط سياسي بارز في مواجهة المستعمر في البلاد العربية والإسلامية. انظر: **المرجع السابق** ص990-992.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آخرين من داخل الكلية وخارجها -رحمه الله جميعاً-، ونال في علوم الشرع إجازات عديدة شفوية وأخرى مكتوبة[1].

تخرّج من الجامعة سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف، ثم أدّى الخدمة العسكرية الإلزامية سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف ضابطاً مجنّداً، وتزوّج سنة أربع وستين وتسعمائة وألف، ورزقه الله ﷻ بأربعة أولاد؛ محمّد وأحمد ومعاذ وفاطمة[2].

اعتُقل الشيخ رحمه الله بسبب أحداث الدستور[3]، فكانت فترة الاعتقال فرصة ثمينة أحسن استغلالها؛ فقد ألّف في فترة السجن مجموعة من المؤلّفات، لم يكن ليؤلّفها لولا السجن، وأعاد حفظه للقرآن الكريم.[4]

و"كان للشيخ حوّى إسهامه في الحقل التعليمي؛ حيث مارس التدريس داخل سوريا وخارجها وعمل في السعودية خمس سنوات".[5]

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص 26-38؛ وانظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص276.

[2] انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص276-277.

[3] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص99. أحداث الدستور: هي الأحداث المضادة لمسودة الدستور التي أصدرها حافظ الأسد؛ لما اشتملته هذه المسودة على بنود مفادها إقبال سورية على مرحلة ديكتاتورية لم تُعرف من قبل، وتصفية الإسلام تصفية تامّة، فترتّب على هذه الأحداث تخفيف أو تأجيل أو إلغاء الكثير من توجهات حافظ الأسد، ولم يقتصر خوض الحركة المضادة للدستور على الإسلاميين، بل شارك فيها اشتراكيون وناصريون وكل من كان ضد حافظ الأسد، وقد كان ذلك عام 1973م. انظر: **المرجع السابق**، ص 104-105.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ص116-123.

[5] العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص282.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: مؤلفاته

أصدر الشيخ ﵀ كتبه كلّها تحت عنوان (دراسات منهجية هادفة)، وتفرّع عن هذه الدراسات عدّة سلاسل[1]:

1. سلسلة الأصول الثلاثة، وتتألف من ثلاثة كتب: الله ﷻ، الرسول ﷺ، الإسلام.
2. سلسلة الأساس في المنهج، وتتألف من ثلاثة كتب: (الأساس في التفسير)، و(الأساس في السنّة وفقهها)، و(الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص).
3. سلسلة الفقهين الكبير والأكبر، وقد صدر منها: (جولات في الفقهين الكبير والأكبر)، و(تربيتنا الروحية)، و(المستخلص في تزكية الأنفس)، و(مذكّرات في منازل الصدّيقين والربّانيّين).
4. سلسلة في البناء، وقد صدر منها: (جند الله ثقافة وأخلاقاً)، و(من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك)، و(مدخل إلى دعوة حسن البنّا ﵀)، و(دروس في العمل الإسلامي)، و(فصول في الإمرة والأمير)، و(في آفاق التعاليم)، و(هذه تجربتي وهذه شهادتي)، ورسائل (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر).

المطلب الرابع: كتاب الأساس في التفسير

شكّلت خلوة الزنزانة أثناء فترة اعتقال الشيخ فرصة عظيمة للتأمّل الواسع في القرآن الكريم رسّخت عنده نظريته في الوحدة القرآنية، والتي شكّلت الأساس الذي بنى عليه تفسيره فيما بعد

---

[1] انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص279-281؛ وانظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص158-159.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك فإنّ دروس التفسير التي كان حوّى يعطيها لنزلاء السجن فيما بعد، كانت بداية اشتغاله في تأليف التفسير، فعكف على كتابته بقوّة فأنجزه في أقلّ من سنتين، ثمّ عكف على تبييضه أثناء إقامته في الأردن، واستغرق ذلك التبييض حوالي سنتين.[1]

ويذكر حوّى في خاتمة تفسيره المصادر التي اعتمد عليها في تغذية تفسيره، وهي مصادر محدودة لكونها رصيده الوحيد في ظلمات السجن، أمّا عن هذه المصادر فيقول ﷺ: "وقداعتمدت أربعة تفاسير كأساس: تفسير ابن كثير، وتفسير النسفي، وتفسير الألوسي، وتفسير الظلال واعتقدت أنّ فوائد هذه التفاسير هي أقصى ما يحتاجه القارئ العادي؛ فابن كثير يفسّر القرآن بالقرآن، وبالمأثور في الغالب، والنسفي يعطي للمعنى الحرفيّ أهمّيته، وقد كاد هذان التفسيران أن يستوعبا فوائد التفاسير التي سبقتهما، وتفسير الألوسي وسيّد قطب تفسيران متأخّران، الأوّل منهما استوعب التفسير التقليدي، والثاني منهما فسّر القرآن بلغة العصر، وقد رأيت أنّه باعتمادي هذه التفاسير الأربعة أكون قد استوعبت –إلى حدّ ما– الفائدة من كتب التفاسير على مرّ العصور"[2]، ويذكر أيضاً أنّه اقتصر في المادّة المستقاة على ما له صلة مباشرة بفهم القرآن الكريم وتفهيمه؛ فكان من منهج حوّى في تفسيره محاولة إبراز خصائص القرآن الكريم، والابتعاد عن الحشو، وكلّ ما لا يهمّ القارئ غير المختص.[3]

وفي المقابل يمكن الوقوف على ما أضافه ﷺ وأبدعه في هذا التفسير من خلال ما ذكره أيضاً في خاتمة تفسيره بقوله :" لقد كان لكلّ عصر معطياته التي تفتح آفاق أهله على معان من

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص116–123 و ص132–133.

[2] حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، **(الأساس في التفسير)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1405هـ–1985م، 11 جزءاً. ج11 ص6773.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6772 وص6774.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب الله ﷻ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣، ولعصرنا معطياته الجديدة، ولقد حاولت أن أستفيد من ذلك ما استطعت، بما لايُخرج نصّاً عن معناه أو مضمونه الذي تُقدّمه ألفاظه، فلا تكلّف ولا تعسّف"[1]، وفي مقام آخر يبيّن حوّى أنّ نصيب المفسّر من ثقافة عصره ينعكس على تفسيره للقرآن الكريم؛ فكلّ مفسّر يفسّر القرآن بثقافته من ثقافة عصره، وبقدر القصور في هذه الثقافة يقع الخطأ في التفسير.[2]

ولعلّ أبرز ما أبدعه حوّى في تفسيره هو نظريته في الوحدة القرآنية، والتي قامت على قاعدة جامعة في شان ترتيب سور القرآن الكريم؛ فإبراز الوحدة القرآنية الجامعة، وإبراز الوحدة في السورة الواحدة هي أبرز أهداف هذا التفسير، كما ذكر في خاتمة تفسيره[3]، وفي صفحات هذا البحث توضيح لبعض ملامح هذه النظرية.

ويبيّن ﷺ أنّه قد أعطى موضوع التربية حقّه في هذا التفسير على قدر استطاعته، وقد حاول وضع كثير من الأمور ضمن إطارها العامّ، وكثير من الجزئيات ضمن إطارها الكلّي، وفي ثنايا هذا البحث تجسيد وتوضيح لما سبق من خلال استقراء تفسير الأساس، والله الموفّق والمستعان.

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج11 ص6772.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5143.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6771.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: البيئة السياسية التي عاش فيها الشيخ

عاش حوّى في بيئة سياسية حافلة بالأحداث المهمّة في تاريخ سورية؛ فقد شهد الصراع السوري الفرنسي والذي انتهى بجلاء الفرنسيين، وكان وقتذاك في حدود العاشرة من عمره[1].

كذلك شارك حوّى في كثير من أنشطة الإخوان في حماة، وتدرّج في المناصب داخل الحركة[2]، إلى أن حُلّت جماعة الإخوان بعد حصول الوحدة الثنائية بين مصر وسورية عام ثمان وخمسين وتسعمائة وألف، وبسبب من فتور العمل السياسي، أقبل حوّى على التصوف إقبالاً أكثر من أيّ وقت مضى، وأصبح مَعينه حِلق الذكر ومجالس العلم، وبعد الانفصال بين سورية ومصر عام واحد وستين وتسعمائة وألف، أصبحت حركة الإخوان تياراً أقوى ممّا سبق، بل كان الإسلام هو المظهر الأقوى في كل الميادين[3].

كان الشيخ ﷺ من أبرز قادة ثورة حماة[4]؛ فقد خاض إضراباً طلابياً عامّاً، وسافر إلى العراق من أجل إمداد الثورة بالسلاح، ثمّ إلى الأردن، ولبث فيها إلى أن صدر العفو العامّ بحقّه وحقّ رفاقه، بعد أن صدر بحقّه حكم الإعدام غيابياً، وكان ذلك بعد انتهاء الأزمة بسبب الاتفاق مع النظام[5].

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص15.

[2] شارك حوّى في قيادة إخوان سورية، ثم صار عضواً في مجلس شورى الإخوان، ثمّ عضواً في مكتب الإرشاد إلى أن استقال في عام 1984م، ثمّ انتُخب لرئاسة اللجنة الاستشارية لمركز حماة التابع للإخوان المسلمين. انظر: **المرجع السابق**، ص141-146.

[3] انظر: **المرجع السابق**، الصفحات 32 و 36 و 41-47 و69.

[4] هي الثورة التي حدثت عام 1964م، قام بها أهل حماة -سياسيون ومتدينون ومثقفون- نتيجة سياسات نظام الحكم بعد الانفصال. انظر: **المرجع السابق**، ص69.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ص70-76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فترة السجن:

كان للشيخ دور بارز في إنشاء الحركة المضادّة لمسودة الدستور؛ فقد كان ﷺ صاحب فكرة البيان والفتوى المضادّين للدستور، واللّذَين صدرا أخيراً باسم علماء سورية كافّة بصياغة الشيخ حسن حبنّكة ﷺ، وقد كان حوّى حريصاً على أن يكون ذلك خفية؛ حتّى لاتأخذ الحركة المضادّة طابعاً إخوانياً، لكن رغم ذلك تم استجوابه من قبل المخابرات، فاعتُقل في سجن المزّة العسكري وكان الحكم في حقّه في بداية الأمر إعدامٌ أصدره حافظ الأسد، ثم تنازل فصار السجن مدى الحياة، وأخيراً بسبب ظروف انتخابه لفترة رئاسته الثانية أفرج عن الشيخ، وكان ذلك عام ثمان وسبعين وتسعمائة وألف، وأصبحت الأردن بلد الإقامة. [1]

حرص حوّى أن تكون علاقته مع إخوان الأردن رسمية؛ لذلك كانت تلك العلاقة ضعيفة جدّاً[2]، لكن بقي على اتّصال مع إخوان سوريا، وتنقّل خلال هذه الفترة في عدد من الأقطار حيث سافر إلى باكستان؛ فالتقى بالشيخ المودودي[3] ﷺ، واجتمع كذلك ببعض قادة الثورة الأفغانية، كذلك سافر إلى إيران واجتمع بالخميني، واجتمع بوزير الخارجية آنذاك إبراهيم يازدي وكان الحديث حول مايريده الإخوان من الثورة الإيرانية وما لها، وما عليها.[4]

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص108-118.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص133.

[3] هو المفكر العلّامة أبو الأعلى المودودي (1903م – 1979م)، ولد في ولاية حيدر آباد جنوبي الهند في بيت معروف بالعلم والورع، من إنجازاته إصدار مجلة (ترجمان القرآن)، كذلك إنشاء (الجماعة الإسلامية) في لاهور. انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص43-55.

[4] انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص282؛ وانظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص136-137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس: عزلة الشيخ الاضطرارية ووفاته

تعدّدت أمراض الشيخ ﵀ فعانى من مرض السكري، ومرض الضغط، ومرض العيون ومرض القلب وتصلب الشرايين وتورّم الأقدام، ومرض الكلى، حتّى أُصيب بشيء من أعراض الشلل، وقد بدأ ذلك في آذار عام سبعة وثمانين وتسعمائة وألف؛ فدخل المستشفى على إثر ذلك ثمّ خرج منه، ونصحه الأطباء بالاعتزال الكلّي عن كلّ شيء، فنظّم حياته ﵀ على أساس من هذه العزلة، فاستمرّ في نوعين من العمل، لم يعُد يستطيع سواهما، النصيحة لزائره، ومتابعة التأليف.[1]

وفي الرابع عشر من كانون الأول من عام ثمانية وثمانين وتسعمائة وألف، دخل ﵀ في غيبوبة لم يصح منها، حتّى توفّاه الله ﷻ ظهر يوم الخميس، في التاسع من آذار عام تسعة وثمانين وتسعمائة وألف، في المستشفى الإسلامي في عمّان في الأردن.[2]

رحم الله الشيخ سعيد حوّى، وجعله في جوار النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وبعدُ، فهذه هي أهمّ محطّات حياة الشيخ سعيد حوّى ﵀، وسأتوقّف في هذه الأطروحة مع بعض جهوده التربوية من خلال توضيح ملامح منهجه التربوي في كتابه (الأساس في التفسير)، وتمهيداً لهذا التوضيح، أتحدّث في المبحث التالي عن المناهج التربوية المعاصرة، ويتلو ذلك في

---

[1] انظر: حوّى، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، ص157-158.

[2] انظر: العقيل، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، ص285-286.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث حديث عن المنهج التربوي الإسلامي؛ لاستظهار مزيته على المناهج التربوية الأخرى، والله المستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المنهج التربوي المعاصر

تمهيداً للحديث عن المناهج التربوية المعاصرة، أتطرّق في المطلب الأوّل من هذا المبحث لتعريف المنهج التربوي من حيث اللغة والاصطلاح، ثمّ أتحدّث عن أهمّية المنهج التربوي وأهدافه في المنهج التربوي المعاصر وذلك في المطلب الثاني، وفي المطلب الثالث بيان مصادر اشتقاق الأهداف التربوية عند علماء التربية، وأتطرّق أخيراً للمناهج التربوية المعاصرة؛ وذلك من خلال الحديث عن المدارس التربوية المعاصرة من حيث مناهجها ووسائلها وأهدافها، وذلك في المطلب الرابع.

المطلب الأول: تعريف المنهج التربوي

قبل الوقوف على حدّ المنهج التربوي كما اصطلح عليه العلماء، لا بدّ من الإشارة إلى معنى المنهج التربوي على ضوء وضعه اللغوي، وبعد الرجوع إلى المعاجم اللغوية وجدت الآتي:

المنهج (لغةً): هو الطريق الواضح البيّن، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨.[1]

التربية (لغةً): قال ابن منظور في لسان العرب: "ربّاه تربيةً... أحسن القيام عليه وَوليه حتّى يفارق الطفولية"[2].

---

[1] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت 711هـ)، **(لسان العرب)**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 15 جزءاً. ج2 ص383؛ وانظر: الرازي، محمّد بن أبي بكر (ت666هـ)، **(مختار الصحاح)**، حقّقه يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م. ص320.

[2] ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج1 ص402.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال الرازي في مختار الصحاح: "(رَبَّاهُ تَرْبِيَةً)... أَيْ غَذّاه، وَهَذَا لكلِّ ما يَنْمِي كالولَدِ والزَّرْعِ وَنَحْوه"[1].

وبناء على ما سبق يمكن تعريف المنهج التربوي بـ : "الطريق الواضح البيّن، الذي يتم سلوكه في عملية الولاية والقيام على شؤون الصغير وتغذيته حتّى يغادر مرحلة الطفولة" وبهذا المعنى اشتمل المنهج التربوي على عناصر هي: معلِّم، ومتعلِّم لم يتجاوز مرحلة الطفولة وعملية تغذية وولاية وحُسْن قيام واضحة.

أمّا في الاصطلاح:

ممّا وجدته في بيان المنهج التربوي: أنّه النهج الذي يجب أن يُتّبع لبلوغ الأهداف التربوية التي تتطلع المدرسة إلى تحقيقها[2]، والملاحظ على هذا التعريف توقّف تعريف (المنهج التربوي) على نفسه، وهذا لا يجوز؛ لأنه دَوْرٌ.

وقد رجعت في الوقوف على المعنى الاصطلاحي للمصادر التربوية، فلاحظت التعريفات على تنوّعها تربط المنهج التربوي بـ "المدرسة"، كذلك وجدت مفهومين أحدهما تقليدي وآخر حديث، ويقتصر المفهوم التقليدي على المقررات الدراسية التي تدرّس في المدارس[3]، أما المفهوم الحديث للمنهج التربوي فهو:

---

[1] الرازي، **(مختار الصحاح)**، ص117.

[2] قلادة، فؤاد سليمان، **(أساسيات المناهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار)**، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، ط بدون، 1976م. ص8؛ أبو حويج، مروان، **(المناهج التربوية المعاصرة (مفاهيمها. عناصرها.أسسها وعملياتها))**، دار الثقافة، الأردن، ط بدون، 2006م. ص75.

[3] انظر: أبا حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"جميع أنواع النشاط التي يقوم التلاميذ بها، أو جميع الخبرات التي يمرّون فيها، تحت إشراف المدرسة وبتوجيه منها، سواء أكان ذلك في داخل أبنية المدرسة أو في خارجها"[1]، وعُرّف أيضاً بأنّه "مجموع الخبرات التربوية الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنّية والعلمية... إلخ، التي تخطّطها المدرسة وتهيّئها لتلاميذها؛ ليقوموا بتعلّمها داخل المدرسة أو خارجها، بهدف إكسابهم أنماطاً من السلوك، أو تعديل أو تغيير أنماط أخرى من السلوك نحو الاتّجاه المرغوب، ومن خلال ممارساتهم لجميع الأنشطة اللازمة والمصاحبة تعلّم تلك الخبرات ممّا يساعدهم في إتمام نموهم".[2]

موازنة بين المفهومين:

من خلال تأمّل مضمون المفهومين وجدتُ أنّ المفهوم التقليدي يربط المنهج التربوي بالمقرّرات الدراسية التي يتعلمها التلاميذ في مدارسهم، أمّا المفهوم الحديث فقد وسّع الدائرة، بل ركّز على الخبرات والمهارات التي يكتسبها التلاميذ، ولم تكد تُذكَر كلمة "المقرّرات الدراسية"، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في التعريف الثاني؛ حيث صرّح بهدف المنهج التربوي الحديث الذي تمحور حول السلوك من حيث الاكتساب أو التعديل أو التغيير إلى الشكل المرغوب فيه، فكان السلوك هو محطّ النظر في العملية التربوية، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض العلماء[3] بقوله:

---

[1] إبراهيم، عبد اللطيف فؤاد، **(المناهج (أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها))**، مكتبة مصر، مصر، ط6، 1984م. ص38.

[2] قلادة، **(أساسيات المناهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار)**، ص11.

[3] أشار إلى ذلك أبو حويج أثناء حديثه عن المبادئ المتضمّنة في المفهوم الحديث للمنهج التربويّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"إنّ القيمة الحقيقية للمعلومات التي يدرسها التلاميذ، والمهارات التي يكتسبونها، تتوقّف على مدى استخدامهم لها، وإفادتهم منها في المواقف الحياتية المختلفة"[1].

أسباب الانتقال من المفهوم التقليدي إلى المفهوم الحديث:

إنّ هناك مجموعة من العوامل التي أدّت إلى الانتقال من المفهوم التقليدي إلى الحديث، من ذلك[2]:

1. التغيّر الثقافي الناشئ عن التطوّر العلمي والتكنولوجي، والذي غيّر الكثير من المفهومات والقيم الاجتماعية.
2. التغيّر الذي طرأ على أهداف التربية، وعلى النظرة إلى وظيفة المدرسة؛ وذلك لما طرأ من متغيرات على احتياجات المجتمع في العصر الحديث.
3. القصور الجوهري في المنهج التقليدي وفي مفهومه، والذي أظهرته نتائج البحوث العلمية.
4. دراسات تربوية كشفت الكثير ممّا يتعلق بخصائص نموّ المتعلِّم، وحاجاته، وميوله واتجاهاته، وقدراته، ومهاراته، واستعداداته، كذلك أظهرت أنّه من غير الممكن تنمية الشخصية ككلّ عن طريق التركيز على جانب واحد كالجانب المعرفي.
5. طبيعة المنهج التربوي نفسه، حيث إنّه يتأثر بالتلميذ والبيئة والمجتمع والثقافة والنظريات التربوية، وجميعها عوامل متغيّرة أو متأثّرة بما هو متغير.

---

[1] أبو حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص86.

[2] انظر: أبا حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص79-80.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد النظر في الأسباب السابقة يمكن القول بأنّ جميع الأسباب تندرج تحت السبب الخامس؛ إذ إن تغيّر العوامل المؤثِّرة بالمنهج التربوي تخلق الحاجة لتطويره.

المطلب الثاني: أهمّية المنهج التربوي وأهدافه

تُعتبر التربيةُ الوسيلةَ الأهمّ لتحقيق أهداف المجتمع، وهذا يكشف عن العلاقة بين أهداف العملية التربوية وأهداف المجتمع؛ فأهداف التربية مشتقّة من أهداف المجتمع، وتتّسق معها فتختلف الأهداف من مجتمع إلى آخر باختلاف الفلسفة السائدة في ذلك المجتمع؛ فأهداف المجتمع الرأسمالي تختلف عن أهداف المجتمع الاشتراكي على سبيل المثال؛ فالتربية إذن تسعى لإعداد الأفراد إعداداً متكاملاً يمكّنهم من التكيّف مع البيئة والمجتمع، وأهمّ وسيلة للتربية في تحقيق أهدافها هي المدرسة بمراحلها الثلاث.[1]

ويتمّ تحقيق أهداف العملية التربوية من خلال خطواتٍ تشكّل المنهج التربوي، ويقصد بالأهداف التربوية: الطرق التي ستؤدي إلى التغيير في تفكير المتعلّم وسلوكه كنتيجة لعملية التعلّم[2]، ومن هنا تظهر أهمّية المنهج التربوي في كونه الوسيلة لتحقيق الغايات التربوية على تنوّعها، بل إنّ هذه الغايات هي التي تحدّد شكل المنهج؛ فالتعليم يستهدف تغيير الأفراد على نحو ما، وذلك إمّا بإضافة معرفة إلى ما لديهم من معرفة، أو تمكينهم من آداء مهارات معيّنة

---

[1] انظر: محمّد المفتي، حلمي الوكيل، **(أسس بناء المناهج وتنظيماتها)**، مطبعة حسان، 1982م. ص143

[2] انظر: بلوم، بنجامين وآخرين، **(نظام تصنيف الأهداف التربوية)**، ترجمة: محمد الخوالدة وصادق عودة، دار الشروق، جدة، ط1، 1985م. ص48؛ صالح هندي، هشام عليان، **(دراسات في المناهج والأساليب)**، عمّان، ط1، 1983م. ص101.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في مجال من المجالات، أو مساعدتهم على تنمية مفهومات معيّنة، أو فَهْم واستبصار وتذوق معيّن.[1]

وقد صنّف العلماء التربويون الأهداف التربوية إلى عامّة وخاصّة؛ وتبرز أهمّية الأهداف العامّة من خلال كونها تمثّل الغاية النهائية من عمليّة التربية، وتحدّد الغايات العريضة للتعليم مثل: إعادة بناء المجتمع، كذلك فإنّها تقدّم دليلاً لما يُركَّز عليه في البرنامج التعليمي، أمّا الأهداف الخاصّة؛ فإنّها تصف نتائج التعليم بصفة عامّة، وتصف السلوك المراد إكسابه للفرد وتتمثّل أهمّيتها في كونها تبيّن الجوانب التي يجب التأكيد عليها في المنهج، وتقدّم دليلاً يساعد في اختيار الخبرات التعليمية، كذلك فإنّها تساعد في تحقيق الأهداف العامّة من خلال تحليلها إلى أهداف قريبة، وصيغ سلوكية يسهل تحديدها[2]، والأهداف السلوكية هي[3]:

1. المعرفة، معرفة الحقائق والافكار والمفاهيم، ويتناول هذا الهدف التذكر، واسترجاع الحقائق والأفكار.
2. التفكير، والمقصود به تعلّم التفكير الناقد، ويشتمل هذا الهدف على ثلاث مسائل، هي: تفسير البيانات، وتطبيق الحقائق والمبادئ، والتفكير المنطقي.
3. الاتجاهات والقيم، وهي من أهمّ مجالات الأهداف للمهتمّين بأغراض التحليل الاجتماعي وبالحاجات الثقافية المعاصرة.

---

[1] انظر: يحيى هندام، جابر جابر، **(المناهج، أسسها، تخطيطها، تقويمها)**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط7، 1985م. ص121؛ هندي وعليان، **(دراسات في المناهج والأساليب)**، ص101.

[2] انظر: أبا حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص11؛ هندي وعليان، **(دراسات في المناهج والأساليب)**، ص101-102.

[3] انظر: هندام، وجابر، **(المناهج، أسسها، تخطيطها، تقويمها)**، ص136-137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. المهارات: وتشمل المهارات الأكاديمية الأساسية كالقراءة والكتابة، حتّى مهارات المواطنة والديموقراطية والتعايش والحياة الاجتماعية.

وخلاصة الأمر تتجلّى في كون الهدف التربوي النتيجة النهائية لتعليم ناجح، وهو محصلة تشير إلى أن التعليم قد أخذ مكانه فعلاً وأعطى ثماره عند المتعلم[1]، وذلك بتعديل أنماط سلوكية عند المتعلم لا تتفق مع العملية التربوية، أو خلق أنماط سلوكية عنده[2].

المطلب الثالث: مصادر اشتقاق الأهداف التربوية عند علماء التربية:

يرى علماء التربية أنّ الأهداف التربوية يمكن اشتقاقها من المصادر التالية[3]:

1. المجتمع وفلسفته التربوية المُعتبِرة للقيم الجوهرية اللازمة لتحقيق حياة مَرْضِية وفعّالة؛ فتكون وظيفة البرنامج التربوي تحقيق الأهداف التي أوحت بها تلك القيم، من خلال إيجاد أنماط سلوكية تحقّق غايات تلك القيم.

2. التراث الثقافي، وما يسوده من قيم واتّجاهات، وما هو عليه من حضارة وفن وفكر وأدب.

3. فلسفة التربية، وهي تتّسق عادةً مع فلسفة المجتمع؛ فإذا كان المجتمع ديمقراطياً، فإنّ التربية فيه تقوم فيه تقوم على مبادئ الديمقراطية من احترام شخصية الفرد، وحريته.

---

[1] أبو حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص11.

[2] انظر: عبد المجيد منصور، محمد التويجري، إسماعيل الفقي، **(علم النفس التربوي)** ،مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2000م. ص77.

[3] انظر: أبا حويج، **(المناهج التربوية المعاصرة)**، ص19-24؛ هندي وعليان، **(دراسات في المناهج والأساليب)**، ص103؛ هندام وجابر، **(المناهج، أسسها، تخطيطها، تقويمها)**، ص121-122؛ المفتي والوكيل، **(أسس بناء المناهج وتنظيماتها)**، 145-146.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. قدرات المتعلّم واستعداداته وميوله ودوافعه، ومستوى إدراكه العقلي، إضافة إلى الإطار الاجتماعي الذي يحيط به ويشكّل حياته وسلوكه.

5. أشكال المعرفة والحياة المعاصرة، ويقصد بذلك التطور العلمي والتكنولوجي، والمشكلات الناجمة عن ذلك.

6. وجهات نظر المتخصّصين في المواد الدراسية؛ فهُم الذين يكتبون الكتب المدرسية عادة.

7. استخدام سيكولوجية التعلّم؛ لأهميتها في تمييز الأهداف ممكنة التحقيق، والأهداف التي تتطلب وقتاً طويلاً، وأخيراً المستحيلة الوصول.

المطلب الرابع: المدارس التربوية المعاصرة بين المنهج والوسيلة والهدف

يركّز علماء التربية في تصنيفهم للمدارس التربوية المعاصرة على الفلسفات التي لها شأن في مجال التربية على وجه الخصوص، حيث إنّ فلسفة التربية تحتلّ "المركز الأوّل في العملية التربوية، ومن هذه الفلسفة تنبثق أهداف التربية ومناهجها ومؤسساتها وطرقها ووسائلها في التعليم والتقويم...؛ لذلك تتأثّر الأهداف والمناهج والتطبيقات التربوية بفلسفة التربية التي تنبثق عنها وتكون نسبة الصواب والفاعلية فيها بالقدر الذي يكون في فلسفة التربية نفسها"[1]، وقد تعددّت الفلسفات البشرية التي أُعتمد عليها في صياغة المناهج التربوية المعاصرة، وهنا موجز لأهمّها:

1. المثالية: فلسفة مفادها أنّ العقل أو الروح هو العالم الحقيقي، وما سوى ذلك لا وجود له إلا بمقدار إدراك العقل له، واقترابه من عالم المُثُل؛ لذا فإنّ المنهج التربوي بناء على هذه الفلسفة لا بدّ من أن يشتمل على المواد الدراسية النظرية التي تساعد على النمو العقلي، ويستبعد المواد

[1] الكيلاني، ماجد عرسان (ت2015م)، **(فلسفة التربية الإسلامية)**، دار المنارة، السعودية، ط1، 1407ه-1987م. ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التطبيقية والتجريبية؛ لأنّها مرتبطة بالعالم المادّي، كذلك من سمات هذا المنهج الحفاظ على التراث المعرفي، وتمجيد المعلّم، أمّا التلميذ فقد لا يكون له وزن على الإطلاق. [1]

أمّا عن هدف التربية بناء على هذه الفلسفة فهو الكشف عن الفلاسفة والحكماء؛ لأنّهم أقدر الناس على فهم إرادة الله، وأكثرهم قدرة على نشر العدالة وتطبيقها، كذلك تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح وتحقيق ذاته، ويتوقّف الأخير على مقدار فعاليته في مجتمعه؛ لأنّه مَدين للمجتمع بكامل ولائه، والدولة أضخم من أي فرد فيها، ومع إيمان أصحاب هذا المذهب بالتشابه التامّ بين البشر في كلّ مكان، إلا أنّهم يرون أنّ وظيفة الفرد تختلف من مجتمع لآخر، فالهدف تحسين الإنسان كإنسان، وذلك خاضع لظروف مجتمعه الذي يعيش فيه.[2]

2. الواقعية: في حين همّشت المثالية ما سوى العقل والروح، آمنت الواقعية بالواقع المادّي المحسوس وأقرّت بوجوده المستقل عن العقل والمُثُل؛ فالعقل ونشاطه نابعان من المادّة وتابعان لها، والحقيقة هي الواقع، ومعيار صدق الحقيقة هو مدى انطباقها على الواقع؛ لذا فإنّ المنهج التربوي بناء على هذه الفلسفة لا بدّ أن يشتمل على كلّ ما هو موجود في العالم الواقعي، فيُستمد من حاجة المتعلِّم ومطالبه، ومن واقع المجتمع وتحدّياته؛ فيشتمل على العلوم النظرية والعملية معاً، والعقل العملي هو الذي يضبط السلوك ويوجه القيم الأخلاقية، والتي تتغير من مجتمع لآخر، فما هو خير في مجتمع، قد يكون شراً في مجتمع آخر، فثقافة الناس –عند الواقعيين– هي التي تضع للقيم

---

[1] انظر: شبل بدران، وفاروق محفوظ، **(أسس التربية)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1993م. ص171.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص185–187؛ وانظر: الحاج محمد، أحمد علي، **(في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً)**، دار المناهج، عمّان، ط1، 2002. ص70.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقاييس، ومع ذلك هناك قيم إنسانية متّفق عليها رغم الاختلاف الفكري، وأهمّ أهداف هذه الفلسفة تنمية شخصية الإنسان من جميع جوانبها وفقاً لأبعاد حياة المجتمع وأنشطته.[1]

3. البرجماتية: ترى وجوب النظر إلى النشاط الإنساني نظرة متكاملة تجمع بين العقل والجسم والبيئة والمفاد العام لهذه الفلسفة أنّ كل نشاط يسلِّم بأنّ الطبيعة والمجتمع غير محدودين، وناقصين أساساً، وهما في حاجة إلى تحسين، والإيمان والتجربة هما مصدر المعرفة لحلّ المشكلات وإصلاح المجتمع، ولا تؤمن بالدين السماوي، وتعتبر البرجماتيةُ التربيةَ أخطر وأهمّ وسيلة يجدّد بها المجتمع نفسه؛ فالإصلاح المجتمعي متوقّف على الإصلاح التربوي، والقيم الأخلاقية في المجتمع البرجماتي نسبية متغيرة، لا تنبع من الذات وإنّما تكتسب عن طريق الخبرة، وهي في حد ذاتها وسيلة لمساعدة الفرد على النمو، فالتجربة العملية هي التي تثبت صدق القيمة الأخلاقية فالصدق –مثلاً– لا يعتبر قوة إلا بعد التحقّق منه عن طريق التجارب، فقيمة أي أمر في المجتمع البرجماتي متوقّفة على نفعه الفوري، أمّا عن المنهج التربوي الذي ترتئيه البرجماتية فهو منهج لا يؤمن بمواد دراسية معينة، وإنّما يؤمن بأنّ الطفل محور العملية التربوية، فهو يقوم على نشاطات الطفل وخبراته كما هي في الواقع، فالمدرسة وجدت للطفل وليس العكس، وتهدف البرجماتية إلى التكيّف والمواءمة بين الفرد وبيئته ومجتمعه في تغيّرهم المستمرّ؛ لأنّ التربية هي الحياة، والحياة في تغيّر مستمرّ، وفلسفة التغيّر هذه مستمدّة من الفلسفة الدارونية. [2]

---

[1] انظر: الحاج محمّد، **(في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً)**، ص79 وص87.

[2] انظر: بدران و محفوظ، **(أسس التربية)**، ص 227–250؛ وانظر: الحاج محمّد، **(في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً)**، ص89–101؛ كان لأفكار دارون أثر كبير في تشكيل الفلسفة البرجماتية، لاسيما فيما يتعلق بجانب التغيّر، حيث يرى دارون أنّ الأشكال المختلفة للحياة كانت نتاج عصور طويلة من التغيّر المستمر، وهذا يتضمّن استمرارية التغيّر لكل الأشكال المؤثِّرة للحياة، فالإنسان مثلاً نتيجة التطور. انظر: بدران و محفوظ، **(أسس التربية)**، ص 235.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. الوجودية: هناك خلاف كبير بين فلاسفة الوجودية حول منهج وطريقة هذا المذهب، لكن يلتقي الجميع على أنّ الإنسان هو محور التفكير، وأنّ وجوده سَبَقَ ماهيته؛ لأن الماهية نتيجة الوجود كذلك يرى الوجوديون أن كلّ فرد له عالمه الخاص، وهو حرّ، ومختار، ومسؤول، وأمره كلّه بيده فهو الذي يختار طبيعته الإنسانية وصفاته، والقيم الأخلاقية في المجتمع الوجودي قيم نسبية متغيرة من فرد إلى آخر، بسبب اختلاف اختيارات الأفراد، أمّا عن الملامح العامّة للمنهج التربوي فإنّ الوجوديين يؤمنون بالتربية الفردية، فالفرد مركز العملية التعليمية؛ لذا يجب ألا يكون هناك منهج محدّد يفرض على المتعلم؛ فالمتعلّم أهمّ من المنهج –لاسيما في المرحلة الثانوية والجامعية–، وهي بذلك لا تغفل المعلّم، بل إنّ المعلّم يجب أن يكون فوق العقل وفوق المدرسة كذلك لابدّ من إلمام الطالب بالإنسانيات –في الدرجة الأولى– حتّى يفهم العالم الذي يعيش فيه وهدف المنهج التربوي حسب الوجودي هو إيجاد الجو الحرّ للتلميذ، ليقوم بأعمال حيوية، لتحقيق ذاتيته، غير معتبر للدين وللقيم الأخلاقية والمجتمع[1]، وفي هذا شذوذ فكري شديد؛ فالإنسان بناء على هذه الفلسفة هو من يحدّد غايته من هذا الوجود، وهذه المسألة من أخطر المسائل التي ترتبط بحياة البشر، فكيف يُناط تقريرها بالمخلوق القاصر عن إدراك الخير والشرّ؟!.

وبعد هذا العرض السريع لأهم ملامح الفلسفات التربوية المعاصرة، يمكن ملاحظة الآتي:

إنّ كلّ فلسفة من الفلسفات جاءت كمحاولة لجبر نقص أو إصلاح خلل أو نقض ما هو قائم في فلسفة سابقة، ففي حين ركّزت المثالية على روح الإنسان وتجاهلت العالم المادي، وآمنت بأنّ عقل الإنسان مصدر المعرفة الخالص، وأكّدت على مكانة المعلّم والمجتمع والقيم الأخلاقية جاءت الواقعية كفلسفة مادّية ترى الإنسان مادّة حيّة بيولوجية، والعقل تابع للمادة، ومصدر

[1] انظر: بدران و محفوظ، **(أسس التربية)**، ص255–272؛ وانظر: **(في فلسفة التربية)**، ص128–139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعرفة والأخلاق هو الواقع المجتمعي، وبين هذين الطرفين في النظرة إلى الإنسان، ظهرت نظرة برجماتية تنظر إلى النشاط الإنساني نظرة تمزج بين العقل والجسم والبيئة، وترفض الجانب الروحي، إلا إنّ النظرة المادية كانت هي الغالبة، فمصدر المعرفة هو الإيمان والتجربة –ولم أتوصّل إلى مقصود الإيمان عندهم في حدود بحثي–، والقيم الأخلاقية نسبية متغيرة تحددها التجربة، بل كانت مادّية أكثر من الواقعية في قياسها للأمور بمقياس النفع الفوري حتّى للقيم وللأخلاق، وفي هذا شذوذ فكري شديد " فصدق القضايا العلمية والأخلاقية ليس محصوراً فيما تترجمه هذه القضايا من آثار عملية في دنيا الواقع والعمل الناتج، فقد آمنت الإنسانية على مر العصور بمفهومات أخلاقية كثيرة –وعلى الرغم من إيمانها المطلق بها– لم تحاول أن تبحث عمّا لها من آثار عملية"[1]، وأخيراً جاءت الوجودية في قمة الصرح الفلسفي في القرن العشرين[2] معتبرة عقل الإنسان وجسمه، مطلقة العنان لحرية الإنسان في الاختيار، دونما اعتبار لدين أو مبادئ أو مجتمع، فتجربة الإنسان مصدر المعرفة، وهي مصدر الأخلاق، وذلك متفاوت من فرد لآخر.

إنّ جُلّ هذه الفلسفات قد أنكر جانب الروح، أو –على الأقل– لم يعتبره، ومن اعتبره غالى في ذلك، وأهمل ما سواه، وتمخّض عن ذلك مناهج تربوية، يأتي اللاحق منها ليُظهر قصور السابق في جوانب عدّة كمركز العملية التربوية، والعلاقة بين التلميذ والمعلم والمجتمع، ومكانة هذه العناصر، وطبيعة المناهج الدراسية، ومصدر المعرفة، وغير ذلك الكثير من عناصر العملية التربوية، ويعلّل صاحب كتاب (فلسفة التربية الإسلامية)[3] هذا التخبّط بقوله: "ومن الموضوعية

---

[1] الحاج محمّد، **(في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً)**، ص 247.

[2] أشار إلى ذلك جابرييل مارسيل. انظر: **المرجع السابق**، ص256.

[3] وقد حاز هذا الكتاب على جائزة الفارابي العالمية للعلوم الإنسانية في دورتها الأولى عام 2008 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن نقول أنّ الاضطراب والتخبّط في الفلسفات التربوية لا يقتصران على العصر الذي نعيش فيه ولا تعود أسبابهما إلى مصدر جغرافي محدّد، أو جنس بشري معيّن. وإنّما هما ظاهرة عامّة تشمل الإنسان الشرقي والغربي حين ينقطع هذا الإنسان عن أصول تربية الخالق الذي صمّم الإنسان وركّبه، تماماً كما يحدث للآلة الدقيقة المعقّدة حين ينقطع مستعملوها عن إرشادات المهندس الذي اخترعها، ووجَّه تصميمها وصناعتها، وعن التدرّب في معامل الشركات التي تولّت تصميمها وصيانتها"[1].

فصواب فلسفة التربية متوقّف على عدّة أمور، أهمّها اشتمال الفلسفة التربوية على الغايات والأهداف النهائية التي وُجد الإنسان من أجلها، وعدم اقتصارها على توليد الوسائل والأساليب التي يحتاجها العمل التربوي، كذلك توجيه أساليب التربية ووسائلها نحو تحقيق الغايات والأهداف بتدرّج يتناسب مع قوانين الخلق، ونمو الخبرات البشرية[2]، وقد أدرك علماء النفس الغربيون في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم فداحة الخطأ الناجم بناء على معطيات علم النفس نفسه من وجوب انحسار فلسفة التربية داخل العلم المحسوس والرغبات الحسّية، وتجاهل غايات الحياة وأهدافها ومقاصدها الرفيعة، وهذه النتيجة إنّما هي ثمرة الفصل بين العلم والدين، وبين الواقع العملي، والمثل العليا، وذلك بسبب الفهم الضيّق لكلّ منهما، ويرى الكيلاني أنّ الإحساس بإفلاس التربية المعاصرة هو ظاهرة عامّة بين المختصين في التربية، وفلسفة العلوم الحديثة على حد سواء.[3]

---

[1] الكيلاني، **(فلسفة التربية الإسلامية)**، ص298.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص14-15.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ص47 وص 54 وص58

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما سبق يبرز ضرورة استنباط المنهج التربوي من وحي ربّاني، يراعي الوجود بأكمله فيراعي الكون ومافيه، بمقاصده، وغاياته الدنيوية والآخروية، وقد أشار الكيلاني إلى الفصام بين العلم والكنيسة في أوروبا، وهو ما جعل مصممو المناهج التربوية ينأون بعيداً عن الكنيسة التي تحتكر القول والحكم في قضايا العقيدة والأخلاق[1]، وهذا الحديث يقود للتعرّف على شواهد تفوّق المنهج التربوي الإسلامي على سائر المناهج التربوية المعاصرة، هذا المنهج المستنبط من وحي ربّ الكون، الوحي الذي يؤيّد العلم ولا يعارضه؛ فتتكامل آيات الكون المنشورة مع آيات الكتاب المسطورة.

المطلب الخامس: شواهد تفوّق التربية الإسلامية على الفلسفات التربوية المعاصرة

إنّ التربية الإسلامية هي أكثر نظم التربية تحديداً وتفصيلاً وشمولاً لمكوّنات العملية التربوية ، ومن شواهد تفوّق التربية الإسلامية على الفلسفات التربوية المعاصرة ما يلي[2]:

1. شاهد بيولوجي، وهو أنّ مصدر هذه التربية بأصولها وأهدافها وأساليبها هو خالق الإنسان الذي رعى تكوينه ونشأته؛ فعملية التربية في الإسلام تتكامل مع عملية الخلق والتصميم التي سبقتها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١،والمربّي هو الخالق، هو الذي خلق وسوّى، وهو الذي قدّر وهدى، وهي تربية ربّانية ليس للإنسان وحسب، بل تشمل الكون ومكوّناته.
2. شاهد اقتصادي، ففي حين أنّ المربّين من البشر ينظرون للتربية على أنّها استثماراً، وينتظرون مردوداً اقتصادياً أو اجتماعياً أو عسكرياً؛ لما يبذلونه من

[1] انظر: الكيلاني، **(فلسفة التربية الإسلامية)**، ص50-52.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص20 وص292-297.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جهود، سواء أكانوا آباء أو معلمين أو أُسر أو دولة أو مؤسّسة، فإنّ التربية الإسلامية لا يُنتظر منها مردود اقتصادي، وشاهد ذلك في قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ الذاريات: ٥٧ – ٥٨.

3. شاهد تاريخي، يتمثّل في رعاية مصدر هذه التربية وهو الله ﷻ للإنسان، بحيث يسّر أسباب التكافل والتعاون وتبادل المعارف والخبرات العلمية بين المجتمعات المكانية أو الأجيال التاريخية؛ ولذلك فقد هدى الإنسان إلى اكتشاف القلم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ العلق: ٤ – ٥، بل إنّه يهدي الإنسان إلى تطوير القلم نفسه حسب تطوّر المعرفة، فكان من ثمرات ذلك تدوين العلوم وتحضّر الإنسان ورقيّه، بل إنّ الإسهام في تطوير العلم هي أحد الأعمال النافعة التي جعل الله ﷻ ثوابها مستمراً إلى يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة؛ إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[1].

4. شاهد اجتماعي، ويتجلّى بكون التربية الإسلامية وأهدافها مصوغة صياغة إلهية، تشمل دائرة النشاط البشري، متعديةً الأُطر الفردية والعائلية والطبقية والإقليمية والقومية والعرقية، بل تنظّمها في إطار واحد، أو أُطر متكاملة متعاونة، فتتجاوز دائرةُ الصراع هذه الأُطر؛ لتنتقل إلى خارج الدائرة الإنسانية، ضدّ القوى التي تعادي الإنسان، وتقف دون تحقيق مهمّة خلافة الإنسان في الأرض.

---

[1] رواه مسلم، مسلم بن الحجّاج (ت261هـ)، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، حقّقه محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 5 أجزاء. كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج3 ص1255، حديث رقم: 1631.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه هي أهمّ شواهد تفوّق التربية الإسلامية على الفلسفات التربوية المعاصرة بشكل عامّ وفي المبحث القادم تفصيل لعناصر المنهج القائم على هذه التربية، وبيان مزية هذه العناصر على ما يقابلها في المناهج الأخرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المنهج التربوي الإسلامي

على ضوء ما سبق من الحديث عن تفوّق التربية الإسلامية على الفلسفات التربوية المعاصرة، سيتمّ الوقوف في هذا المبحث على المنهج التربوي الإسلامي من خلال عدّة عناصر لعلّ أهمّها نظرة الإسلام إلى الجزء المعنوي في الكائن البشري، لا سيّما وقد اضطربت الفلسفات التربوية المعاصرة اضطراباً شديداً في الوقوف على حدّه؛ فاضطربت المناهج المبنية على تلك الفلسفات، ومن ثم سيتمّ بيان المنهج التربوي الذي يرتئيه الإسلام بناء على رؤيته للإنسان، من حيث مصادر اشتقاقه، وأهدافه ووسائله، وذلك ضمن مطالب هذا المبحث.

المطلب الأوّل: نظرة الإسلام إلى الجزء المعنوي في الإنسان

في حديث القرآن الكريم عن الإنسان ووصْف حالاته المعنوية استخدم تعبيرات عدّة، كانت هذه التعبيرات هي الطريق إلى فهم مكوّنات الإنسان في الإسلام، ومن هذه التعبيرات العقل والقلب، والروح، والنفْس، وغير ذلك، لكن يبقى تكوين الإنسان في حيّز الغموض إن لم يُسقط كلّ تعبير ممّا سبق على مدلوله السليم الذي يدلّ عليه؛ لنفهم طبيعة الإنسان كما صوّرها كتاب خالق الإنسان ﷻ، وبسببٍ من وجود ضعف لغوي وسيادة المعنى العرفي، غدت هيئة هذه التعابير في أذهان الجمهرة من المسلمين اليوم على غير هيئتها السليمة المرادة، فما هي مدلولات تلك الألفاظ؟!، وفي محاولة للوصول إلى الفهم الصحيح للجزء المعنوي من الإنسان، أعرض في هذا المطلب موجز أقوال العلماء في معنى القلب والروح والنفس والعقل:

1. القلب: ورد لفظ القلب في القرآن الكريم في عشرات الآيات، من ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ ق: ٣٧، ودلّ في مواضعه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّها على معانٍ وجدانية وعقلية وإنسانية، ودلّ على الهداية[1]، من ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾ ق: ٣٧؛ فمن أقوال المفسّرين في هذه الآية، ما قاله النسفي بشأن معنى (قلب): "واعٍ؛ لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له"[2]؛ فدلّ ذلك على أنّ وعي القلب وفقهه هو المقصود؛ فالقلب في عرف الشارع غير تلك المضخّة المزوّدة لأنحاء الجسم بالدم، وإنّما هو لطيفة ربّانية روحانية، متعلّقة بالقلب الحسي تعلّق العرض بالجسم، هذه اللطيفة هي الجزء العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب[3]، وهي محل الكفر والإيمان[4]، وقد حدّد الشارع مكان القلب هذا؛ فمقرّه الصدر وليس الدماغ، حيث قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦ ﴾ الحج: ٤٦[5]، أمّا طبيعة العلاقة بين القلبين المادي والمعنوي –إن جاز التعبير– فلا زال كثير من الغموض يكتنفها، وإن أظهرت نتائج البحوث الطبية المتعلقة بزراعة الأعضاء –ومنها القلب– طروء تغيير على اهتمامات ومشاعر من أُجريت لهم عمليات زرع القلب بشهادات من هؤلاء المرضى، لكن تبقى هذه الشهادات في حاجة

---

[1] انظر: أبا مرق، جمال زكي، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنّة)**، مطبعة الرابطة، الخليل، 2003م، ط1. ص11.

[2] النسفي، عبد الله بن أحمد (ت 710هـ)، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حقّقه يوسف بديوي، دار الكلم الطيّب، بيروت، ط1، 1419هـ–1998م، 3 أجزاء. ج3 ص369

[3] انظر: الغزالي، أبا حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، **(إحياء علوم الدين)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005م، 4 أجزاء. ج3 ص4.

[4] انظر: حوّى، سعيد بن ديب (ت1989م)، **(تربيتنا الروحية)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 2007م. ص23.

[5] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص81

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتحقيق والتوثيق والتدقيق، وقد يكون لها دور كبير في الكشف عن كثير من ملامح هذه العلاقة!.

2. الروح: ورد لفظ الروح في القرآن الكريم مرّات عدّة، وقد دلّ في مواضعة المختلفة على معان، منها: القرآن الكريم، والوحي والملَك، ودلّ على أنّ الحياة من الله ﷻ[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ الإسراء: ٨٥، وقد ذكر الإمام النسفي أنّ جمهور العلماء على أنّ المراد بالروح في هذه الآية هو الروح الذي به الحياة[2].

ويرى الإمام الغزالي ﷺ أنّ الروح بالنسبة للإنسان تطلق لمعنيين؛ الأوّل يدلّ على جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينتشر في سائر الجسم عن طريق العروق، كانتشار الضوء المنبعث من المصباح في أنحاء البيت، وهذا المعنى هو المراد للفظ الروح في عُرف الأطبّاء، أمّا المعنى الثاني للروح فيمكن فهمه على أنّه معنى أخصّ من معنى القلب آنف الذكر، فيدلّ على اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان أحد معاني القلب، ويرى الإمام الغزالي أنّ هذا المعنى هو المراد بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الإسراء: ٨٥، وهو أمر ربّاني عجيب، يعسر فهم حقيقته على أكثر عقول البشر.[3]

3. النفس: وردت في مئات المواضع في القرآن الكريم، وقد دلّت أحياناً على الإنسان كوحدة كاملة بمجموع قواه الحسية والمعنوية، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ الأنبياء:

---

[1] انظر: أبا مرق، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة)**، ص13.

[2] انظر: النسفي، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، ج2 ص274

[3] انظر: الغزالي، **(إحياء علوم الدين)**، ج3 ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٧ ، واستخدمت أحياناً لتدلّ على الذات الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ آل عمران: ٢٨ [1]، كذلك يراد بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان كالغضب والشهوة، وحينما تدلّ النفس على حقيقة الإنسان كاملة توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها؛ فهي النفس المطمئنّة حين سكونها وزوال الاضطراب عنها وهي النفس اللوّامة إذا دافعت الشهوات واعترضت عليها لكنها لم تصل إلى مرحلة السكون وهي النفس الأمّارة بالسوء إن أذعنت لمقتضى الشهوات، وأطاعت دواعي الشيطان.[2]

4. العقل: ذُكر العقل في القرآن الكريم في عشرات المواضع، دالّاً على معاني التذكّر، والتفكّر والتعلّم، والتفقّه[3]، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ البقرة: ٤٤؛ فبيّن النسفي أنّ معنى تعقلون هو تفطنون.[4]

ويرى الإمام الغزالي ﷺ أنّ للعقل معنيين؛ فقد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، وقد يطلق ويراد به المدرِك للعلوم؛ أي القلب بأحد معانيه آنفة الذكر.[5]

---

[1] انظر: أبا مرق، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة)**، ص6.

[2] انظر: الغزالي، **(إحياء علوم الدين)**، ج3 ص5-6.

[3] انظر: أبا مرق، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة)**، ص15.

[4] انظر: النسفي، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، ج1 ص85

[5] انظر: الغزالي، **(إحياء علوم الدين)**، ج3 ص6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فخلاصة ما سبق من معان متعلّقة بمكنون الإنسان خمسة؛ انفرد كل لفظ بمعنى واشترك الجميع في الدلالة على أحد معاني القلب، وهو اللطيفة المدركة من الإنسان، ويمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي:

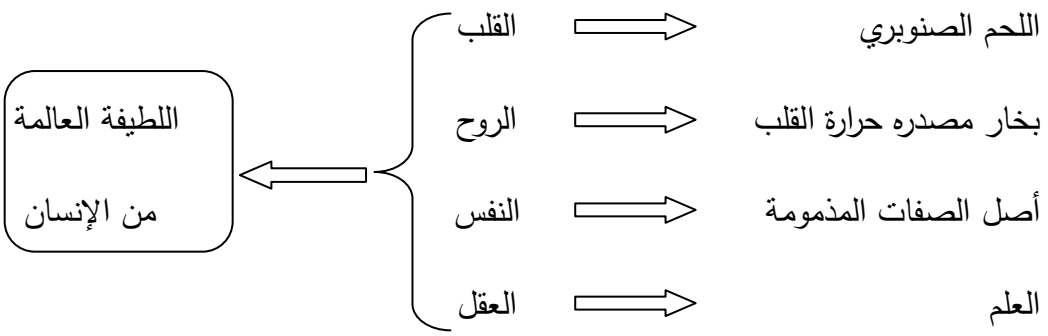

يقول حوّى معلّقاً على بيان الغزالي ﷺ لمفاهيم القلب والروح والنفس والعقل: "من كلام الغزالي ندرك أنّ النفس والعقل والقلب والروح تأتي أحياناً بمعنى واحد، وإنّما تختلف التسميات باختلاف الصفة التي للروح البشرية؛ فإذا غلبت الشهوة هذه الروح سمّيت نفساً، وإذا غلبت الروح الشهوة المحرّمة سمّيت عقلاً، وإذا أصبحت لها مواجيدها الإيمانية سمّيت قلباً، وإذا عرَفَت الله حقّ المعرفة، وأعطته العبودية الخالصة سمّيت روحاً".[1]

وخلاصة هذا العرض أنّ الجوانب آنفة الذكر كلّها معتبرة في خطاب الشارع للمكلّف لاسيّما في خطابه التربوي، وقد تفوّق بذلك على سائر الفلسفات التربوية التي قصّرت كثيراً، أو غالت كثيراً في نظرتها إلى مكونات الإنسان، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين[2] بقوله: "إنّ أهمّ ما يتميّز به الإسلام أنّه يدرس الكائن البشري على ما هو عليه، فلا يحاول أن يقصره على ما ليس من ماهيته، كما تفعل القوانين والأنظمة الوضعية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى

---

[1] حوّى، **(تربيتنا الروحية)**، ص36.

[2] أبو مرق، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة)**، ص19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من دوافعه الأوّلية، فهو يعمل على إيجاد التوازن والتناسق بين الضغط الواقع عليه من هذه الدوافع الأوّلية الفطرية، والمعايير والضوابط التي يرسمها له"، والحديث السابق يقودوني للحديث عن خصائص المنهج التربوي الإسلامي.

المطلب الثاني: خصائص المنهج التربوي الإسلامي

يمتاز المنهج التربوي الإسلامي بمجموعة من الخصائص، منها: [1]

1. منهج شامل دقيق، يعالج الإنسان كلّه جسمه وعقله وروحه، وحياته المادية والمعنوية وكلّ نشاطه على الأرض، ويعطي كلّ جانب من جوانب الإنسان غذاءه بالقدر المضبوط وشموليّته نابعة من ربّانية مصدره؛ فمصدره الوحي، وقد قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨.

2. يساير الفطرة، وهي تلك الفطرة في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ الروم: ٣٠؛ فلا يفصل بين الجسم والعقل والروح في داخل النفس، ولا في واقع الحياة، بل يأخذها بفطرتها السوية مترابطة ممتزجة، ويعالجها بناء على هذا الأساس فيسمح ببروز بعض الجوانب أحيانا وانحسار بعض، وهذا المزج يضمن أولاً استغلال طاقات الإنسان كلّها في عمارة الأرض والخلافة، وثانياً إحداث توازن في داخل النفس وفي واقع الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣.

---

[1] انظر: قطب، محمّد بن قطب بن إبراهيم، **(منهج التربية الإسلامية)**، دار الشروق، ط16، جزءان. ج1 ص18-33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. الإيجابية السويّة: الإنسان فيه استعدادات متباينة منها الموجب ومنها السالب في كل اتّجاه والإسلام يريد الإنسان قوة إيجابية فاعلة، ولكنها سوية، وسبيل ذلك مسايرة الفطرة، ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى الاستعدادات الإيجابية في النفس الإنسانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد:١١، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٠.

4. الواقعية المثالية أوالمثالية الواقعية؛ فيراعي واقع الإنسان من حيث طاقاته المحدودة ومطالبه، وضروراته، ونقاط ضعفه، دونما إغفال للطاقات المكنونة في ذات الإنسان التي تحقق المثالية، ومن الشواهد القرآنية على هذه الخاصّية قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ النساء: ٢٨.

5. من خصائص المنهج المدرسي الذي تتطلّبه التربية الإسلامية[1] أن يكون محقّقاً لأهداف التربية الإسلامية، وأن يكون متدرّجاً موافقاً في كلّ جزء منه للمرحلة التي يوضع لها، مراعياً لحاجات المجتمع، وأن يكون سليماً من التعارض، متناسقاً مترابطاً، واقعياً مرناً، فعّالاً مراعياً للجوانب الإسلامية السلوكية العملية.

---

[1] انظر: النحلاوي، عبد الرحمن، **(أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع)**، دار الفكر، 1428هـ-2007م، ط 25. ص 159-161.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: مصادر التربية الإسلامية وأسسها

إنّ طبيعة المعرفة، وطبيعة الإنسان، وطبيعة المجتمع تشكّل الأسس التي يقوم عليها بناء أيّ منهج تربوي، وذلك باتفاق علماء المناهج في معظم بقاع الأرض[1]، وفي معرض الحديث عن الفلسفات التربوية المعاصرة –في مطلب سابق[2]– تبيّن أنّ مصدر المعرفة عند هذه الفلسفات يتفاوت في كونه الفلاسفة والحكماء (العقل)، أو الواقع وتحدّيات المجتمع، أو التجربة بشكل عام، أو التجربة الفردية، وغير ذلك، وقد اعتمد التربويون في كلّ فلسفة على مصدرها المعرفي في صياغة منهجها التربوي.

أمّا عن المنهج التربوي الإسلامي، فيشكّل القرآن الكريم والسنّة النبوية المصدرين الأساسيَيْن اللذَيْن تُستقى منهما التربية الإسلامية؛ أمّا السنّة فلها فائدتان عظيمتان في المجال التربوي؛ فهي توضّح المنهج التربوي الإسلامي الوارد في القرآن الكريم، وتبيّن تفاصيله التي لم ترد في القرآن الكريم، كذلك فإنّ شخصية الرسول ﷺ تشكّل أنموذجاً تربوياً كاملاً للإنسان، فهو ﷺ "يراعي حاجات الطفولة وطبيعتها،... ويراعي الفروق الفردية بين الناس، ويراعي مواهبهم واستعدادتهم وطبائعهم، ويراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته، ويلتمس دوافعهم الغريزية، ...وهو في ذلك كله يدعوهم إلى الله ﷻ وتطبيق شريعته؛ لتكميل فطرتهم وتهذيب نفوسهم شيئاً فشيئاً،... وتوجيه طاقاتهم وحسن استغلالها للخير والسموّ، ... لتعمل معاً وتتجاوب للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع"[3]، كذلك

---

[1] انظر: مدكور، علي أحمد، **(مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها)**، دار الفكر العربي، 2001م. ص43.

[2] وذلك في صفحة 21.

[3] النحلاوي، **(أصول التربية الإسلامية)**، ص26–27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يمكن اعتبار سيرة الصحابة ﷺ والصالحين، وجهود علماء المسلمين في المجال التربوي أصولاً مرجعية لصياغة المنهج التربوي الإسلامي[1].

المطلب الرابع: أهداف التربية الإسلامية ووسائلها

إنّ من أبرز الأهداف العامّة للمناهج التربوية المعاصرة –كما مرّ سابقاً[2]– هو إعادة بناء المجتمع من خلال معالجة سلوك أفراده، بحيث يُربّى المواطن تربية تتلائم وتطلّعات هذا المجتمع، فيكون مواطناً صالحاً، فالتقت تلك المناهج على "إعداد **المواطن** الصالح" وإن اختلفت في وسائل تحقيق هذا الهدف بسبب اختلاف الظروف المحيطة، "فالمواطن الصالح في المجتمع القومي، هو الذي يخدم هدف أمّته القومي، ولو أدّى به هذا الهدف إلى استعمار الشعوب الضعيفة، والفتك بها ونهب ثرواتها، والمواطن الصالح في المجتمع الشيوعي هو الذي يصبح آلة منتجة مُسيَّرة بيد زعماء الحزب الحاكم..."[3]، وبالتدقيق في هذا الهدف، وفي أبعاده الواقعية والعملية، يظهر القصور في هذا الهدف، فالفلسفة التربوية التي تنفع مجتمعاً ما، قد لا تنفع مجتمعاً آخر، فضلاً عن أنْ تلحق به ضرراً من خلال سلوك الأفراد، ومثل هذا لا يصحّ أن يكون هدفاً للتربية الإنسانية، وهذا يقود للحديث عن هدف تربية الدين السماوي الذي جاء به محمّداً ﷺ للإنسانية كافّة، فما هو هدف المنهج التربوي الإسلامي؟

تفرّد المنهج التربوي الإسلامي عن المناهج التربوية الأخرى في هدفه المنشود، فكان هدفه "إعداد **الإنسان** الصالح"، مهمّشاً بذلك كل الاعتبارات التي أقامها البشر من الجنس والقبيلة

---

[1] انظر: الحازمي، خالد بن حامد، **(أصول التربية الإسلامية)**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة المنوّرة، 1420هـ–2000م، ط1. ص219.

[2] ص21-ص24.

[3] النحلاوي، **(أصول التربية الإسلامية)**، ص102

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللون والدولة وغير ذلك، ليصل إلى مكنون الإنسان تحت شعار: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[1]، فيتجلّى هدف التربية الإسلامية في **عبودية الإنسان لله ﷻ في حياته الفردية والاجتماعية**، وقد اشتُقّ هذا الهدف من المهمة التي خُلق الإنسان لإجلها، وهي عبادة الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ الذاريات: ٥٦، وهذا الهدف السامي للتربية الإسلامية، قد اشتمل على الأهداف التربوية للتربية الغربية الحديثة على نحوٍ ينسجم وتحقيق الهدف الأسمى؛ فمن أبرز مظاهر شمول التربية الإسلامية على هدف تحقيق الذات – على سبيل المثال– مبدأ الجزاء على حسب العمل، ومراعاة الاستعدادات في الفرد، كذلك فقد اعتبرت التربية الإسلامية هدف النمو بكافّة جوانبه العقلية والجسمية والروحية والاجتماعية وغير ذلك، وجعلت هذا الهدف وسيلة لتحقيق الهدف الأسمى ألا وهو العبودية لله ﷻ.[2]

كذلك فقد تميّز الإسلام بإعطائه فكرة واضحة عن هذا "**الإنسان الصالح**" وتوضيح صورته أشدّ توضيح؛ "فهو إنسان يعيش بأقصى طاقته في عالم الواقع، ويحاول في الوقت ذاته أن يحقّق المثال، ولا انفصال في نفسه، ولا في عالمه بين الواقع والمثال".[3]

أمّا عن الوسيلة في هذا المنهج فقد أرسى الإسلام وسائل وتدابير عدّة من أجل الوصول إلى أهدافه التربوية المنشودة، من ذلك:[4]

---

[1] انظر: قطب، **(منهج التربية الإسلامية)**، ج1 ص13–14.

[2] انظر: النحلاوي، **(أصول التربية الإسلامية)**، ص90–101.

[3] قطب، **(منهج التربية الإسلامية)**، ج1 ص234.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص180–215؛ وانظر: النحلاوي، **(أصول التربية الإسلامية)**، ص167–230؛ وانظر: الحازمي، **(أصول التربية الإسلامية)**، ص377– 406.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. التربية بالقدوة: وهي أفعل وسائل التربية وأقربها إلى النجاح، والمنهج التربوي الإسلامي تجلّى بكماله في شخص النبي ﷺ، فكان ﷺ القدوة على مدار الزمان.

2. التربية بالموعظة: ويأتي هذا الأسلوب بناء على ما في النفس من استعداد للتأثّر بما يلقى إليها من الكلام، وهو استعداد مؤقّت غالباً، يلزمه التكرار، وترتبط الموعظة بالقدوة؛ فحين توجد القدوة الصحيحة فإنّ الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس.

3. التربية بالعقوبة: وتكون كعلاج حاسم في حال عدم نجاح الوسيلتين السابقتين.

4. التربية بالقصّة: يدرك الإسلام الميل الفطري إلى القصّة، وما لها من تأثير على النفوس فاستغلّها لتكون وسيلة من وسائل التربية، واستخدمها بكلّ أنواعها.

5. التربية بالسلوك: وذلك عن طريق تحويل الخير كلّه إلى سلوك، تقوم به النفس من غير مشقّة كذلك تعامل الإسلام مع العادات السيئة التي وجدها في البيئة الجاهلية فقام بإزالتها؛ إمّا بالقطع الحاسم الفاصل، وإمّا بالتدرج البطيء، وذلك حسب نوع السلوك الذي يعالجه، وطريقة تمكّنه من النفس.

6. تفريغ الطاقة: أي تفريغ الشحنات المفرزة في نفس الإنسان –ذي الفطرة السليمة– أوّلاً بأوّل في عمل إيجابي إنشائي، مثل تفريغ طاقة الحبّ في حبّ الله ﷻ والخير بشكل عام.

7. ملء الفراغ: لاسيّما في حال منْع النفس رغبة من رغائبها–لتقويمها–، فتكون الوسيلة الأنجح للتربية هي ملء فراغ هذه الرغبة بنشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها، أو لرغبة سواها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8. التربية بالأحداث: تمتاز على غيرها من وسائل التربية بأنّها تُحدث في النفس حالة خاصة هي أقرب للانصهار، فيستغل المربِّي هذا الأثر في صقل نفس المربَّى وتهذيبها.

وفي ختام الحديث عن المنهج التربوي الإسلامي، والذي اشتمل على مقارنات بالمناهج التربوية المعاصرة، لا بدّ من الإشارة إلى حقيقة تفوّق المنهج التربوي الإسلامي على غيره من المناهج التربوية المعاصرة؛ من حيث مصدره الربّاني، ونظرته الشمولية للإنسان، ومن حيث سموّ غايته وهدفه، ومسايرته للفطرة.

وبعد، فتلك هي المطالب المتعلّقة بالمنهج التربوي الإسلامي، وقد ذكرتها هنا كي تكون مدخلاً ومقدمةً للحديث عن المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى ﷺ من خلال كتابه (الأساس في التفسير)، وفي الفصل الثاني بداية توضيح هذا المنهج، من خلال الحديث عن منهج حوّى في تربية القلب، وإنّما استخدمت لفظ (القلب)؛ لما جاء في الحديث عن مكونات الإنسان في الإسلام من أنّ ألفاظ القلب والروح والنفس والعقل تشترك في الدلالة على اللطيفة العالمة من الإنسان، وهي أحد معاني القلب؛ فالقلب يعمّها جميعاً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية القلب

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أعمال القلوب

المبحث الثاني: أمراض القلوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

إنّ إيجاد الصلة الدائمة بين القلب البشري وبين الله ﷻ، الصلة التي تدفع القلب إلى الرجوع إلى الله في كلّ لحظة، وطاعته في كلّ أمر، هو القاعدة الرئيسة للتربية الإسلامية، التي تشكّل قوام كل شيء، وبدونها يصبح كل شيء خواء؛ فالإسلام صريح في اعتبار العمل عبادة، ما دام القلب يتجه فيه إلى الله ﷻ[1]، "فالتركيز على قضية القلب من أهمّ ملامح التربية القرآنية والنبوية، وقد أهمل الناس هذا إلا القليل، والقليل عنده دَخَن كثير، إلا أقل القليل".[2]

والقلب يتّصل بالله بصلات شتّى؛ فيتّصل به خشوعاً، وتقوى، ويتّصل به مراقبة له في كل أمر من أمور الحياة، ويتّصل به حبًّا، وبغير ذلك من الصلات[3]، لكنّ هذه الصلة لن تتجلّى بكمالها إلا إذا كان القلب سليماً من أمراض القلوب، وبهذا تتحقّق النجاة يوم الحساب؛ كما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ الشعراء: ٨٧– ٨٩.[4]

ممّا سبق يمكن القول إنّ وظيفة التربية الإسلامية تُجاه القلب هي: تربيته على التحقّق والتحلّي بالصلات المطلوبة منه، وهذا ما سيتمّ بحثه في المبحث الأوّل تحت عنوان (أعمال القلوب)، والوظيفة الثانية هي تربية القلب على التخلّي عن سائر أمراض القلوب، وهذا موضوع المبحث الثاني من هذا الفصل.

---

[1] انظر: قطب، **(منهج التربية الإسلامية)**، ج1 ص35–37.

[2] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص83.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص56.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3924.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل

أعمال القلوب

يشير حوّى إلى أهمّية سلامة القلب وطهارته في قضية الهداية؛ فالهداية والضلال يعتمدان على استعدادات القلوب للهداية والضلال، وكذلك على صفات الإنسان؛ فالقلوب السليمة مركوز فيها الحقّ، فإذا ما قابلت الوحي تذكّرت، أمّا القلوب التي لا تتذكر، فإنّها قد وصلت إلى مرحلة العمى الكامل[1]، وتأكيداً على هذا المعنى يقول ﷺ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ الإسراء:٤٥ :" فالقرآن لا يقبل أن يصل إلى قلب نجس، فهو طاهر، وطهارة القلوب هي التي تستأهل سكناه ومعناه".[2]

وفي المطالب التالية حديث عن أهمّ الأعمال، التي لا بدّ للقلب السليم أن يكون متحقّقاً بها ولا بدّ للقارئ الكريم أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الأمور:

- أنّ منهجي في الكتابة عن أعمال القلوب وأمراضها لم يكن شمولياً؛ بحيث يستقصي الحديث عن جوانب كلّ عمل، وإنّما اكتفيت بتوضيح بسيط، يخدم في موضوع توضيح ملامح التربية الإسلامية لمكوّنات الإنسان، وإلّا فإنّ هذه الأعمال قد صُنّف في كلّ منها مصنّفات، لا ترقى طريقتي في الكتابة لأيّ منها.

- أنّ المادّة المتعلّقة بهذه الأعمال والأمراض في تفسير الأساس ضخمة؛ فانتقيت منها ما هو ألصق بموضوع البحث؛ في ظلّ منهج الشيخ سعيد حوّى في تفسيره، وكلامه عن

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2740 و ص2745.

[2] **المرجع السابق**، ج6 ص3080.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياق الخاصّ والعامّ للمعاني، وكذلك في ظلّ المرويات والآثار التي نقلها الشيخ عن ابن كثير وغيره، ممّا يثري تفسير تلك الأعمال والأمراض.

- وما سبق خاضع أيضاً لحجم مباحث الفصول، في ظلّ حجم الأطروحة المسموح به.
- إنّ هدف هذه الدراسة بشكل عامّ هو إبراز فكر سعيد حوّى التربوي، وليس فكر غيره وليس مقصودها كتاب مقارنة، أو توضيح للمسائل، فهي تندرج ضمن الدراسات الوصفية بشكل عامّ.

المطلب الأول: التوحيد والإيمان باليوم الآخر

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: عمق قضية التوحيد في النفس البشرية

يشير حوّى إلى عمق قضية الإيمان وتمكّنها في الفطرة البشرية، وذلك في المواطن القرآنية المتحدّثة عن رجوع الإنسان إلى الله ﷻ ساعة الشدّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ فصلت: ٥١، فيبيّن أنّ هذا الرجوع وإفراد الله ﷻ بالدعاء، من أقوى الأدلّة على استكنان الإيمان بالله، وتوحيده في الفطرة البشرية[1]، ومن ذلك أيضاً ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1627-1628.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ يونس: ٢١-٢٣، فالتوحيد المستكنّ في الفطرة، هو الذي يقف وراء توجّهها إلى الله ﷻ حقّ التوجّه في الأزمات، بل تَعِد في خضمّ ذلك بالاستقامة على أمره؛ فالإنسان مدرك لرعاية الله ﷻ له، لكن بسبب حرص الكافرين على هذه الدنيا، ينأون عن أمر الله ويرفضون رعايته في الهداية؛ فطبيعة الإنسان لا يلائمها إلا التوحيد، وفي حال ابتعادها عن الله مريضة في النعمة والنقمة.[1]

المسألة الثانية: الإيمان باليوم الآخر

ركّز الشيخ كثيراً على ركن الإيمان باليوم الآخر بالمقارنة مع غيره من أركان الإيمان وترجع أهمّية هذا الركن في الحديث عن أمراض القلوب إلى الأسباب التالية:

1. إنّ "السبب الرئيس للكفر بالوحي هو الكفر بالآخرة والاطمئنان إلى الدنيا"[2]؛ ففي سياق تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ﴾ يونس: ٣-٤، يبيّن حوّى أنّ علّة هذا العصر هي الغفلة عن معرفة الله ﷻ واليوم الآخر، وعمّا تقتضيه هذه المعرفة من الالتزام بدين الله، واتّباع رسوله ﷺ.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2444 ، ج8 ص4273؛ وللاطّلاع على مزيد من الأمثلة، انظر: ج5 ص2435، ج6 ص 2946.

[2] **المرجع السابق**، ج5 ص2428.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2426-2427.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. إنّ انعدام الإيمان باليوم الآخر أو الشكّ فيه، أو الغفلة عنه، هو العلّة الكبرى في المواقف الخاطئة، فقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ فصّلت: ٥٤، كان خاتمة لسورة فصّلت والتي اشتملت على جملة من مواقف الكافرين الخاطئة كالإعراض عن آيات الله، واتّخاذ الأنداد من دونه ﷻ[1]، ومن مواقف الكافرين أيضاً الاشمئزاز الذي يقابل به الكافرون ذكر الله وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ الزمر:٤٥، والاستبشار بعالم الأسباب من دون الله ﷻ داء مستشرٍ في هذا العصر.[2]

3. كذلك فإنّ جرأة الكافرين على الله ﷻ إنّما هي ناجمة عن كفرهم بالآخرة؛ فسلامة التصوّر عن الذات الإلهية، مرتبطة بسلامة التصوّر عن اليوم الآخر، ومن المواضع القرآنية التي تُظهر جرأة الكافرين على الله ﷻ، قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾ النحل: ٥٧، وفي نفس السياق يرد قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠﴾ النحل: ٦٠، ممّا يُشعر أنّ هذه المواقف سببها الكفر بالآخرة؛ وفي المقابل يبيّن الشيخ من خلال سياق سورة الروم أنّ الخلل في التصوّرات عن اليوم الآخر ناجمة عن الخلل في معرفة الله ﷻ، وأنّ أعظم خلل في معرفة الله هو الشرك، ثم بيّن كيف عالجت السورة هذا

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5038.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص4904.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلل –الشرك– من خلال قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الروم:٢٨[1]؛ ويمكن الفهم ممّا سبق أنّ سلامة كلّ تصوّر تعتمد على سلامة التصوّر الآخر.

4. كذلك تظهر أهمية هذا الركن في كونه أحد الأمور التي يتوقّف عليها فهم كتاب الله ﷻ وقد أشار الشيخ إلى هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ **لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ الإسراء:٤٥، حيث إنّ من جملة الاستسلام لله ﷻ الاستسلام لكتابه، والذي هو أثر عن فهم الكتاب، وهذا الفهم لا بدّ أن يسبق بمقدّمات منها الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر، كذلك الإقبال الجادّ على الاستماع وغير ذلك من المقدّمات، وفي هذا المقام يستشهد حوّى بقول عمر ﷺ: "لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن".[2]

5. وللإيمان باليوم الآخر آثاره في السلوك البشري؛ حيث إنّ "نقطة البداية في السلوك البشري أن ينطلق الإنسان من كونه مسؤولاً أمام الله ﷻ، وأنّ عليه أن يصوغ حياته انطلاقاً من هذه الحقيقة"[3]، فالكلام عن اليوم الآخر دافع للتحلي، كما هو دافع للتخلي

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2953، ج8 ص4269.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3081؛ وقول عمر ﷺ رواه الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة الأزدي (ت321هـ)، **(شرح مشكل الآثار)**، حقّقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ–1994م، 16 جزء، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله: "الدين النصيحة"، ج4 ص84، حديث رقم 1453.

[3] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6305.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودافع للايمان، كما أنه دافع للعمل؛ ويرى حوّى أنّ سورتي الواقعة والحاقّة نموذجان على السور التي تعرض اليوم الآخر، ثم تبني على ذلك ما ينبغي أن يُبنى عليه من بناء، إنْ في مجال الإيمان أو في مجال العمل، ومن ثمّ تَقدّم الحديث عن اليوم الآخر في السورتين؛ للوصول إلى ما ينبغي أن يُبنى عليه، فسورة الحاقّة –على سبيل المثال– قدّمت للكلام عن يوم القيامة بما هو غاية في الفخامة والتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ الحاقة: ١ – ٣؛ فقرعت الآذان والقلوب، ثمّ جاء تفصيل لماهيّة الحاقّة، وذلك في الآيات من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣﴾ الحاقة: ١٣، إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ الحاقة: ٣٧، ثمّ بنت على ذلك ما بنت من بيان عاقبة الذين لا يحضّون على طعام المسكين، وكون القرآن حقّ، وأنّه تذكرة للمتّقين[1]، أمّا عن آثار التكذيب باليوم الآخر في السلوك البشري؛ ففي سورة الماعون بيانُ بعضها؛ من جفاء اليتيم، وعدم العطف على المسكين، والتهاون في الصلاة والمراءاة فيها، ومن منعٍ للماعون.[2]

لماذا ينكر الكافر اليوم الآخر:

في تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦﴾ القيامة: ٥– ٦، يبيّن أنّ الشعور بعدم المسؤولية يعدّ من أهمّ أسباب إنكار الكافر ليوم الحساب فالقيود والضوابط التي يقتضيها قبول التكليف الإلهي، والمترتّبة على الإيمان باليوم الآخر تدفع

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج10 ص6106–6119.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6700.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكافر لإنكار ذلك اليوم، ومن الأشكال المعاصرة لاعتقاد عدم المسؤولية أمام الله ﷻ: حرية الانسان المطلقة في المذاهب الوجودية[1]، وحرية الإنسان في التشريع في المذاهب السياسية.[2]

ومن حيث الواقع البشري يرى حوّى أنّ قضيتي استبعاد اليوم الآخر، وتصور أنّ الانسان حرّ في تصرّفاته، غير مسؤول عنها أمام الله ﷻ تبرزان بشكل حادّ، بل إنّهما محور أكثر ما يكتب في العالم، وفي مقام المعالجة لهذا الانحراف الفكري، يبيّن ﷺ أنّ سورة القيامة قد ناقشت هاتين القضيتين، وبقدر ما يحدث انصهار بمعاني هذه السورة من جانب، وعمل بتوجيهات سورة الإنسان من جانب آخر، يكون الابتعاد عن التصورات الإنسانية الخاطئة في باب مسؤولية الإنسان؛ فقد بعثت سورة الإنسان على السير إلى الله ﷻ، وذكّرت بشكل ضمني بالوفاء بالنذر وبإطعام الطعام وبالخوف من الله ﷻ، وبالصبر وبالشكر، وحذّرت من الكفر، وذكرت ما أعدّ الله ﷻ للكفار، وما أعدّه للأبرار، وهذه معان تعتبر أمّهات في الطريق إلى الله ﷻ، فكان من جملة ما ختمت به السورة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩﴾ الإنسان:٢٩، ومن المعاني التي ذكرتها سورة القيامة: الاعتياد على محاسبة النفس ولومها على المعصية أوالتقصير، وتلقّي القرآن بالإنصات الكامل، وحبّ الآخرة والزهد في الدنيا، والإيمان والصلاة، والعلم بالمسؤولية أمام الله ﷻ والمحاسبة.[3]

---

[1] سبق التعريف بها في الفصل الأوّل من هذا البحث، ص24.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص 6266 و ص6273.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6305-6306 وص6297-6298.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دواء الغفلة عن اليوم الآخر:

يرى الشيخ أنّ دواء الغفلة عن اليوم الآخر يكون بالذكر، وتلاوة القرآن، والعلم، وبصحبة الذاكرين، والعلماء العاملين الطالبين لوجه الله ﷻ، الراغبين في الآخرة[1]،كذلك يبيّن من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ ﴾ الرعد: ٥، يبيّن أنّ الإيمان بالله ﷻ يستتبع بالضرورة الإيمان باليوم الآخر، "فمن عرف قدرة الله لا يستكثر عليها أن تعيد الخلق"؛ فمعرفة الله لا بدّ أن يترتّب عليها ما تقتضيه هذه المعرفة".[2]

وممّا سبق يمكن القول أنّ علاج الغفلة عن اليوم الآخر، يكون بالسير في السبل التي تنمّي معرفة الله ﷻ في قلب المؤمن.

المطلب الثاني: الإذعان للحقّ، والعبودية لله ﷻ والإخلاص فيها

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: التسليم والاتّباع الكامل للحقّ

إنّ عالم الإيمان عالم تسليم، وذلك بعد أن تقوم الحجّة على صحّة النقل وصحة الفهم، وهذا سبيل راحة العقل والقلب معاً، فالدخول إلى هذا العالم بجدل الفلسفات مفسد للعقل وللقلب وللفطرة[3]، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ المعرفة **الكاملة** بالله ﷻ تقتضي الإخبات

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2426-2427.

[2] **المرجع السابق**، ج5 ص2727.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج3 ص1741.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتسليم لحكمه[1]، لا سيّما وأنّ الطبيعة البشرية مفتقرة إلى الوحي كي يهذّبها[2]، ففي ظلّ قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ الحديد: ١٦، يبيّن الشيخ أنّ الاتباع هو النتيجة التلقائية للإيمان، وذلك بأن ينقاد القلب لكتاب الله ﷻ ويطيعه[3]، ، فلا بدّ من الإيمان والتسليم؛ فإبليس لم ينكر صفات الله ﷻ، ولا وجوده ومع ذلك هو كافر[4]، ومن حيث الواقع المعاصر فإنّ أكثر المجتمعات البشرية مؤمنة بوجود الله ﷻ، لكنّه إيمان يرافقه عدم استعداد للتقلي عن الله، فالمشكلة تكمن في استعداد الإنسان.[5]

ويمكن تعليل ما سبق بكون الإيمان فطريّاً وعميقاً ومستكنّاً في فطرة الإنسان –كما سبق بيانه–، أمّا التكبّر والتعالي على أمر الله ﷻ فهو مكتسب من خلال البيئة والتفاعلات الاجتماعية وأساليب التربية، وقد غاب منهج الإسلام وتربيته الحقّة عن جلّ البيئات والمجتمعات البشرية؛ فأورث ذلك عدم استعداد للتلقي عن الله ﷻ عند هذه المجتمعات.

كذلك يبيّن حوّى أنّ التسليم المراد إنّما هو التسليم الكامل لأمر الله ﷻ، وبالرغم من كون موضوع المتابعة بالحق والخير أمراً شاقّاً، إلّا أنّ هذا لا يعفي من الالتزام بأوامر الله ﷻ كلّها

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص731؛ وفي هذا الموضع من التفسير يشير حوّى إلى نوع خاصّ من المعرفة ممّا يعين في أمر الخضوع والاحتكام لكتاب الله ﷻ، وذلك في تفسيره للآيات [23–26] من سورة آل عمران، يقول ﷺ: "هذا كلّه يقتضي معرفة كاملة بالله، بأنّه مالك الملك، المعطي المانع، المعزّ المذلّ؛ حتّى لا يحرفنا مُلك، أو رزق، أو عزّ، أو ذلّ لغيرنا عن الاستقامة على أمر الله، وقد نهينا عن موالاة الكافرين ...، طلباً لجاه أو ملك أو عزّ...، لأنّ الله ﷻ هو الذي يعطي هذا كلّه؛ فعلينا أن نستقيم على أمره، ونترك له ﷻ أمر تدبير أمورنا"، ويقول عن أهل الكتاب: "... فلو رأوا بقلوبهم لله هذا، وسلّموا، لم يمنعهم حسد عن قبول الحقّ أنّى كان، ومن ثمّ أمرنا نحن أنّ نقرّ لله بهذا، ... وأمرنا ألّا نوالي الكافرين الذين يستكبرون عن اتّباع الحقّ وقبوله".

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6515؛ وقد أشار حوّى إلى ذلك في تفسيره لسورة الفجر، الآيات [15–20].

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5748–5749؛ وانقياد القلب هو انقياد العقل، وذلك بناء على كون العقل أحد معاني القلب، وذلك إذا دلّ القلب على اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، كما سبق بيانه صفحة 27، وبانقياد العقل وطاعته، تنقاد الجوارح وتطيع.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص1881.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2425.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل لا بدّ أن يكون الالتزام بحذافيره؛ فميزان الله دقيق، وقد أشار إلى هذا المعنى في تعقيبه على قصّة يونس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الصافات: ١٣٩ – ١٤٨؛ فيونس ﷺ عندما ترك مكانه دون إذن لم يفر من عقاب الله ﷻ – وهو رسول –[1].

ومن خلال قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال:٢٤، يبيّن حوّى أنّ الاستجابة الكاملة لأمر الله ﷻ هي سبب توفيق القلوب للخير، وفي حال عدم الاستجابة ستكون العقوبة تقليب القلب، أو ابتعاده عن المعاني الإيمانية الصالحة لعدم استقامة الجوارح، أو تفويت الفرصة على الإنسان للوصول إلى الإخلاص لله ﷻ بالموت أو بالصوارف عن الاستقامة[2]، وهذا على مستوى الفرد، أمّا على مستوى الجماعة فيشير في ثنايا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٨٥، يشير إلى حقيقة كَوْن ما ورد في هذه الآية سُنّة من

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4732.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2147.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنن الله ﷻ في خلقه –وإن كانت واردة في بني إسرائيل–، فواقع الذلّ والهوان وتسلّط الأمم على أمّة الإسلام اليوم، هو عاقبة التطبيق الجزئي لكتاب الله ﷻ، الناجم عن استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، وذلك لقوله تعالى في الآية التالية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ البقرة: ٨٦؛ فلا بدّ من العودة الكاملة لكتابه ﷻ، على مستوى الفرد والأسرة والدولة والأمّة، ولا بدّ من معالجة سبب التطبيق الجزئي عن طريق غرس حب الآخرة وتفضيلها على الدنيا، وذلك في قلب كلّ مسلم، وهذا سبيل الخروج من الذلّة.[1]

المسألة الثانية: ما الذي يشمله دين الله ﷻ؟

إنّ الحديث السابق يدعوني للحديث عن ماهية الحقّ، وما الذي يشمله دين الله حتّى يكون المسلم على بصيرة من أمره، وقد وجدت الكلام المتعلّق بذلك يركّز كثيراً على قضية الحاكمية لله ﷻ في كلّ الأمور، وذلك في ظلّ ما يشهده الواقع من تعطيل لشرع الله ﷻ، فعلى سبيل المثال[2] في تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ النحل: ٨٩، يقول ﷺ: "ما من قضية من قضايا الوجود، إلا ولله فيها الحكم الحقّ، وأنّه لا يسع المسلم أن يخرج عن حكم الله، أو يتخلّى عنه"[3]، وينكر في هذا المقام على ما يشهده واقع المسلمين من استيراد أفكار وعادات وقوانين ودساتير بدون قيود[4].

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص178–179.

[2] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة، انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص99 و ج2 ص811.

[3] **المرجع السابق**، ج6 ص2984.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج 6 ص2984–2985.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أكثر حوّى في مواطن الحديث عن ذلك من النقل عن صاحب الظلال؛ ففي تفسير قوله تعالى:﴿مَاكَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يوسف:٧٦، يقول صاحب الظلال: "إنّ هذا النصّ يحدّد مدلول كلمة **الدين** –في هذا الموضع– تحديداً دقيقاً؛ إنّه يعني: نظام الملك وشرعه...، هذا المدلول القرآني الواضح، هو الذي يغيب في جاهلية القرن العشرين عن الناس جميعاً، سواء منهم من يدعون أنفسهم مسلمين، وغيرهم من الجاهليين، إنّهم يقْصُرون مدلول **الدين** على الاعتقاد والشعائر، ويعدّون كلّ من يعتقد في وحدانية الله، وصدق رسوله ﷺ، ويؤمن بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، ويؤدي الشعائر المكتوبة داخلاً في **دين الله**، مهما تكن دينونته بالطاعة والخضوع، وإقراره بالحاكمية لغير الله ﷻ من الأرباب المتفرقة في الأرض، بينما النصّ القرآني هنا يحدّد مدلول **دين الملك** بأنّه نظام الملك وشريعته وكذلك **دين الله** فهو نظامه وشريعته...، الدينونة لله وحده بالتزام ما شرعه، ورفض ما يشرعه غيره".[1]

أمّا عن الدوافع التي تقف وراء التخلي عن شرع الله ﷻ، ففي المسألة التالية حديث ضمني عن ذلك.

المسألة الثالثة: مفهوم السعادة والشقاء في ظلّ الإذعان للحقّ

إنّ السعادة ملازمة لاتّباع دين الله ﷻ، مهما كان هذا المتّبع غارقاً في الآلام، وشاهدٌ لذلك في قول سحرة فرعون بعد إيمانهم: ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝٧٢﴾ طه: ٧٢، والشقاء

[1] قطب، سيد قطب إبراهيم (ت1385هـ)، **(في ظلال القرآن)**، دار الشروق، بيروت– القاهرة، ط17، 1412هـ، 6 أجزاء. ج4 ص2020–2021.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملازم للإعراض عن دين الله، مهما كان ذلك الرافض غارقاً في اللذّات[1]، وفيما يلي مزيد بيان لمفهوم السعادة والشقاء:

1. يرى حوّى أنّ سورة طه، قد اشتملت على تصحيح للمفاهيم الخاطئة في موضوع سعادة الإنسان، وقد وضّح ذلك من خلال الآتي:

أ. "إنّ دين الله هو الذي يجعل الإنسان صديقاً مع نفسه، وهو الذي يوجد صيغة للتعايش المريح بين الخلق"[2]، ويبرهن على ذلك من خلال كون التشريعات الإسلامية تهدف إلى إبعاد المؤمنين عن كل خلاف، مثل تحريم الغيبة والخمر والربا، وغير ذلك.[3]

ب. "إنّ اللذّة لا تعني السعادة، وإذا عنت السعادة الآنية؛ فإنّها تعني الشقاء المضاعف البعيد"[4]، ومع ذلك فإنّ ميزان الشقاء والسعادة عند أهل الكفر هو نعيم الدنيا، وقد "صحّح الله هذا التصوّر من خلال النهي عن مدّ البصر نحو ما يتمتّع به الكافرون"[5]، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ طه:١٣١.

ت. السعادة لمن اتّبع، والشقاء لمن أعرض، متحقّقان في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7ص3374 و ص3410.

[2] **المرجع السابق**، ج7ص3411.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3411.

[4] **المرجع السابق**، ج7ص3411.

[5] **المرجع السابق**، ج7ص3415.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طه:١٢٤، وقد دلّت الأدلّة القرآنية على ما يتعلّق بالآخرة بشكل قاطع[1]، أمّا ما يتعلق بالدنيا فيشير حوّى إلى العقوبات الفطرية التي تترتّب على كلّ مخالفة يرتكبها الإنسان مفرداً أو ترتكبها جماعة، أو ترتكبها الإنسانية جمعاء.[2]

ث. عقوبات الله الدنيوية التي حلّت بالمكذبين السابقين، هي سبيل اهتداء لمن يكذّب فيما بعد؛ لذا استنكرت سورة طه عدم اهتداء المكذبين، مع ما يعرفونه من تلك العقوبات، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ طه: ١٢٨.

2. من خلال قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴿٢﴾﴾ العنكبوت:٢، يتطرق الشيخ إلى قضية يخطئ في فهمها كثير من الناس، وهي أنّ الإيمان لا يرافقه امتحان؛ من خوف، أو أذى، أو تقتير رزق، أو غير ذلك، بل إنّ بعض الناس يجعل هذه الأمور علامة على الخطأ في السير إلى الله ﷻ؛ فالإيمان يرافقه امتحان، والنجاح فيه هو علامة الصدق في الإيمان، ثمّ تكون العاقبة لأهل الإيمان، وقد فصّلت سورة العنكبوت في ذلك فمن الأمثلة التي ضربتها لخدمة هذه المعاني ما جاء من حكاية قصّة نوح ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

---

(1) كقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴿٢٢﴾ ﴾ الحج: ١٩ – ٢٢.

(2) انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7ص3411؛ ويحيل حوّى إلى كتابه (الإسلام) في الفصل الرابع للوقوف على تفاصيل ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العنكبوت:١٤ – ١٥؛ ففي الآيات دلالة على مقدار صبر الأنبياء مع اشتداد الظروف، وكيف أنّ العاقبة تكون لهم؛ فلم يرد ذكر للمدّة التي مكثها نوح ﷺ إلا في هذه السورة؛ لتُري مقدار الصبر رغم طول المدّة، وقد كان مع الصبر النصر.[1]

كذلك فإنّ الامتحان الدنيوي أهون بكثير من عقاب الله ﷻ للكافرين في الآخرة[2]، فالإملاء والابتلاء، " ليسا علامة على الكرامة والإهانة، بل النار والجنّة هما العلامة، فلا يخلو كافر من شقاء، ولا يحرم مؤمن من سعادة في الدنيا، والعاقبة للمتقين"[3].

3. يبيّن حوّى أنّ في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾ النحل:١١٤ تصحيحاً لما يتصوّره البعض من أنّ العبادة قرينة الحرمان، وتحريم الطيّبات والمباح، فقد بيّنت الآية أن الشكر على الحلال الطيّب جزء من العبادة –وهذا متضمّن للتمتّع بهذا الحلال–، والعبادة تقتضي هذا الشكر[4]، كذلك في وصف حال ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا ٨٤﴾ الكهف: ٨٤، هدم أيضاً لهذا الوهم؛ فلا يظنّن ظانّ أنّ الدخول في دين الله ﷻ لا يعني التمكين في الأرض، أو يعني الحرمان من الرزق، أو ينقص من قدر الإنسان، بل إنّ التمكين يكون أكبر، والرزق أحسن، والقدر أكمل.[5]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4183 و ص4166 و ص4191 و ص4240.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج8ص4240.

[3] **المرجع السابق**، ج2 ص947.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3003.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3227–3228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الرابعة: بين العبادة والاستعانة

في حديث حوّى عن مقام العبودية يظهر تأثّره الواضح بصاحب الظلال، ومن أدقّ ما ذكره حوّى عن قطب بشأن العبادة، هو شمول العبادة للفهم والسلوك والعلم والعمل، بل إنّ حقيقة العبادة استقرار معنى العبودية لله في النفس، والتوجّه الى الله ﷻ في كلّ حركة في الضمير.[1]

ويبيّن حوّى أنّ مقام العبودية لله ﷻ يقتضي العبادة له، والاستعانة به، وطلب الهداية منه وسبيل التحقّق بهذا المقام هو السير في منهاج الله ﷻ، وهذه المعاني كلّها متضمَّنة في سورة الفاتحة؛ فالاهتداء "إلى الصراط المستقيم لا يكون إلا بالله، ولا تنال عطايا الله ﷻ بالهداية إلّا بالافتقار إليه، ومظهر ذلك طلب المعونة منه، ولا يوصل إلى الافتقار مثل دوام العبادة، ولا عبادة إلا بمعرفة، ومعرفة لا يعطى فيه الحمد كلّه لله معرفة قاصرة، ينظر العبد ما أُعطي فيقول: الحمد لله، فإذا ما استقرت معرفته، خاطب ربّه:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥، ثمّ دعاه بما هو الأهم والأعظم وهو الاهتداء في الأمر كلّه".[2]

المسألة الخامسة: الإخلاص في العبودية

إنّ العبرة في الشرع إنّما هي لحسن العمل، وليس لكثرته، والإخلاص هو أحد شرطي حسن العمل، فلا تكون الأعمال حسنة حتّى تكون خالصة لوجه الله ﷻ، وعلى وفق ما أمر، وقد أشار الشيخ إلى هذا المفهوم، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ ﴾ هود: ٧[3]، فسمة الإسلام هي الوحدة بين

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص4918؛ وانظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج6 ص3387.

[2] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص39.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2536.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعور والسلوك، بين العقيدة والعمل، وبهذا تصبح العقيدة منهجاً للحياة كلّها؛ فتتوحّد الشخصية الإنسانية بكلّ نشاطها واتجاهاتها؛ فيستحقّ المؤمن عطاء الله ﷻ.[1]

المطلب الثالث: التقوى[2]

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: معنى التقوى

يبيّن حوّى أنّ كلمة التقوى قد عُرّفت كثيراً في القرآن الكريم، وقد حاول الوصول إلى تعريف دقيق لها من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وملخّص ذلك: أنّ التقوى ملكة في القلب تتكون من سلوك طريق معيّن، وتَنتج إذا وجدت آثار معيّنة، وعلامتها معانٍ محدّدة[3]، كذلك يوضّح ﷺ أنّ التقوى تأخذ **معنى خاصّاً** بحسب السياق الذي وردت فيه، فالتقوى في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنفال: ٦٩، فسّرها بأنّها عدم الإقدام على شيء لم يُعهد للمسلمين فيه، وهذا يدخل تحت معنى الترك لأجل الله ﷻ.[4]

المسألة الثانية: الطرق الموصلة للتقوى

في سياق تفسير الآيات المتعلّقة بالتقوى؛ كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

---

[1] انظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج1 ص104.

[2] وحسب نظرية الشيخ في تفسيره فقد كانت التقوى محوراً لكثير من السور القرآنية، وللاطّلاع على أمثلة من الحديث عن التقوى من خلال سياق بعض السور؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص1020 و ج7 ص3606 و ج9 ص4866-4868 و ج10 ص5548.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2932؛ ويحيل الشيخ إلى كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً) للتوسّع في مقامي التقوى والإحسان.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2198.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿٥﴾ البقرة: ٥، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾البقرة:١٨٣، يشير حوّى إلى المعاني اللّازمة لوجود التقوى؛ فلا بدّ من الإيمان بالله ﷻ، وإيمان بالوحي كلّه، وباليوم الآخر مع الإيمان بالغيب والتحرّر من الكفر والنفاق، وهذا على مستوى القلب، أمّا على مستوى العمل؛ فهناك أعمال كثيرة في كتاب الله ﷻ تعدّ من الطرق الموصلة للتقوى، يصل بعضها لأن يكون ركناً من أركان الإسلام كإقامة الصلاة والإنفاق والصوم والحجّ؛ فعلى سبيل المثال ذبح الهدي من المناسك التي يقوم بها الحاجّ، وقد جاء في شأن هذه الذبيحة قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ الحج:٣٧، فما يربّي التقوى في نفس المؤمن أغلى في ميزان الله ﷻ من كلّ مادّيات الدنيا. [1]

أمّا على مستوى المجتمع يبيّن حوّى أنّ الصوم أيضاً من وسائل تحقيق التقوى الاجتماعية كذلك القصاص لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ البقرة: ١٧٩، والقصاص لا تستطيعه إلا دولة حاكمة؛ فأصبح وجود السلطان والحكم والعقوبة ممّا يلزم لتحقّق التقوى عند أفراد الأمّة، ومن هنا يُفهم قول عثمان ﷺ: "ما يزع الإمام أكثر ممّا يزع القرآن"[2]؛ فلا تقوى على الكمال إلا بوجود الدولة المطبّقة لأحكام الله ﷻ؛ حتّى يتسنّى تطبيق الأحكام التي لا يستطيع المسلم إقامتها بمفرده، ولكي يُبرّئ ذمّته عند الله ﷻ عليه أن

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص85 وص358 و ج2 ص1200 و ج7 ص3522 و ص3593.

[2] ورد في (الأساس) بلفظ: "إنّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، وكذا وجدته في مراجع أخرى، لكن الرواية المسندة لعثمان – رضي الله عنه– كانت باللفظ الذي أثبته. انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت463هـ)، **(التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد)**، حقّقه مصطفى العلوي ومحمد البكرى، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط بدون، 1387هـ، 24 جزءاً. ج1 ص118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبذل ما بوسعه من أجل تطبيق هذه الأحكام، إمّا بالسعي نحو إقامة الحكومة المطبّقة لأحكام الله، أو بتذكيرها إن وجدت، أو بالعفو في كلّ حال.[1]

المسألة الثالثة: التلازم بين التقوى والعبادة والطاعة

إنّ ما سبق من الحديث حول الأعمال الموصلة للتقوى، يستدعي الحديث عن التلازم بين التقوى والعبادة والطاعة، ويوضّح الشيخ أنّ هذه القضايا الثلاث هي أهمّ ما في الإسلام، ويستدلّ على ذلك بكون الأوامر الرئيسة التي وجّهها الرسل ﷺ إلى أقوامهم كانت: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾ الشعراء:١٠٨، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾ نوح: ٣، وبناء عليه فإنّ أهمّ الفقه في دين الله ﷻ فقه العبادة والتقوى والطاعة؛ ومجمل هذا الفقه يكون بإجابات هذه الأسئلة: كيف نعبد الله ﷻ، وبماذا نعبده؟ وما هو مضمون التقوى؟ وكيف نتحقق به؟، ولمن نعطي طاعتنا؟، ويفتي الشيخ بإعطاء طاعة المسلم الاختيارية للعلماء الربانيين، فهم ورّاث النبوة.[2]

ويمكن توضيح التلازم بين التقوى والعبادة والطاعة من خلال ما سطّره الشيخ في ظلال سورة التين وهي أنّ أقصى ما يطالب به المسلم من قيامه بأحكام الإسلام هو التقوى، وتقوى كلّ إنسان بحسب مسؤوليته، وعلى قدر ما أُعطي يُطالب، فالتقوى والطاعة هما علامتا إسلام المسلم، وعلى قدر طاعته وتقواه يكون داخلاً في الإسلام كلّه.[3]

والحديث عن التلازم بين التقوى والعبادة، يقود للحديث عن العلاقة بين التقوى ومعرفة الله ﷻ ، وذلك لأنّه "لا عبادة إلا بمعرفة صحيحة لله ﷻ...، فمن لم يعرف الله حقّ المعرفة، لا

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص392 وص399 وص402 وص407.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج2 ص1103-1104.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3902 ج11 ص6593.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعبده حقّ العبادة، وبالتالي فلا يتحقّق بالتقوى،... وعلى هذا فما من نقص في التقوى، إلا وسببه نقص في معرفة الله ﷻ".[1]

المسألة الرابعة: بعض التصوّرات الخاطئة حول قضية التقوى

اجتهد حوّى في توضيح معالم التقوى من خلال تصفيتها ممّا يدخل فيها، وليس منها وذلك في تفسيره لبعض الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ البقرة: ١٨٩، تصفية لقضية التقوى من بعض التطلّعات الخاطئة، والتصرّفات الغالية؛ فلا بدّ في التقوى من التمييز بين مهمّة الدين ومهمّة العلم التجريبي فمعرفة الحكمة من خلق الأشياء جزء من الدين، أمّا الحقيقة الحسّية للأشياء فسبيل معرفتها العلم الكوني من خلال ما زوّد الله ﷻ الإنسان من إمكانات، أمّا بالنسبة للتصرّفات الغالية؛ فليس من التقوى التشديد على النفس بارتكاب التصرّف المعقّد غير معقول المعنى، والذي قد يكون في حسّ بعض الناس ديناً؛ فالدين ما كلّف الله ﷻ به الإنسان.[2]

ومن الفهم الخاطئ بشأن التقوى ما جاء أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ البقرة: ١٩٤، فبعض المسلمين يتصوّر أنّ من التقوى عدم

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج7 ص3524.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص137 و ص146-148.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القتال، والبقاء في حال سلام مع الآخرين على كلّ حال، أو أنّ التقوى لا يرافقها غلبة، ولا ظهور، ففي الآية تصحيح لهذا التصوّر.[1]

المسألة الرابعة: بعض آثار التقوى

للتقوى أثرٌ كبير في الانتفاع بالآيات الكونية، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾ يونس:٦، ويعلّل حوّى ذلك بكونهم يحذرون الآخرة؛ فيدفعهم الحذر إلى النظر، وهذا السبب في كون كثير من الناس بمنأى عن الانتفاع بالآيات الكونية.[2]

والتقوى أيضاً طريق للتّحقّق بالولاية، لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ يونس:٦٢- ٦٣.[3]

المطلب الرابع: الشكر والصبر

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: في العلاقة بين الشكر والصبر

يبيّن حوّى أنّ الشكر أعلى مقامات السالكين[4]، وأنّه لا سلوك بلا صبر؛ ذلك لأنّ النعمة

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص442.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5ص2428.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2482.

[4] وذلك لأنّ الشكر يساوي الدخول في الإسلام كلّه، وقد استدلّ حوّى على ذلك من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾، ففيه تذكير بأنّ ما أنعم الله ﷻ به من نعم عظيمة، إنّما كان من أجل الإسلام، فإذا لم يسلم الإنسان لله فإنّه لا يكون قد قام بواجب الشكر لله ﷻ؛ والشكر المخلّص من مقام الظلم والكفران، ما اجتمع فيه العمل، والاعتراف لله ﷻ بالفضل، والاعتراف على النفس بالتقصير؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2962 و ج5 ص2813.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينبغي أن يقابلها عبادة[1]، فطريق الشكر هو التزام أمر الله ﷻ، ولا يتمّ شيء من الالتزام بأوامر الله ﷻ ونواهيه إلا بوجود الصبر، ومن الشواهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ﴾ يونس:١٠٩؛ فقد جاء هذا الأمر بعد ذكر مجموعة من الأوامر والنواهي في سورة يونس[2] فالصبر زاد الطريق من بدايته إلى نهايته، وهو الخلق الجامع، لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ الرعد:٢٤. [3]

وقد يجرّ انعدام الصبر وما ينتج عنه من هلع وجزع إلى الكفر والعياذ بالله[4]؛ فالصبر والشكر ثمرتا الإيمان الرئيستان، وهما مفتاح الهداية، وقد أفاد الشيخ إلى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٥﴾ إبراهيم.[5]

المسألة الثانية: حال النفس الإنسانية في الشدّة والرخاء

في حديث سابق عن مفهوم السعادة والشقاء في ظلّ الإذعان للحقّ، تمّ ذكر حقيقة أنّ الإيمان لا بدّ أن يرافقه امتحان، وأنّ حكمة الابتلاء هي تمييز المؤمن الصادق من الكاذب، وهنا حديث عن طبيعة النفس في مواجهة الامتحان؛ فمن حيث الأصل فإنّ الطبيعة البشرية في حال

---

[1] وقد استدلّ الشيخ على المعنى الأخير من خلال سورة النصر؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6728.

[2] كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ يونس: ١٠٥-١٠٦.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص333 و ج3 ص1530 و ج5 ص2520 و ص2608 وص2742.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص333.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2781.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سلب النعمة قانطة يائسة، وهي فرحة فخورة منشغلة عن شكر الله ﷻ في حال إصابة النعمة وقد جاءت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ هود: ٩-١١، فهذه هي طبيعة الإنسان، إلا من كان متّصفاً بالصبر والعمل الصالح.[1]

فظهر أنّ حال الصبر –وكذا الشكر– ليس من طبيعة الإنسان، ولا بدّ من إيجاده وتنميته في النفس البشرية، وفي ظلّ حقيقة كون حمل دين الله ﷻ يستتبع تضحيات ومواقف، وأنّ دخول الجنّة لن يكون دون ابتلاء على اختلاف ألوانه؛ فقد يكون بالأمراض، والأسقام، والآلام والمصائب، والخوف من الأعداء، والفتنة عن الدين، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ البقرة: ٢١٤[2]، في ظلّ هذه الحقائق وغيرها، يمكن تعليل الذكر الكثير للصبر في القرآن الكريم، بما أورده حوّى عن صاحب الظلال في تعليل ذلك، وهو "أنّ الله سبحانه يعلم ضخامة الجهد الذي تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع".[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2536-2537.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص498.

[3] قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج1 ص141.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوضيح لكيفية التربية القرآنية لكلّ من الشكر والصبر من خلال بعض الأمثلة[1] في المسألة التالية.

المسألة الثالثة: التربية القرآنية للشكر والصبر في النفس الإنسانية

إنّ من منهج القرآن الكريم في تربية الشكر واستثارته، التذكير بنعم الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴿٧٣﴾﴾ يس: ٧١-٧٣؛ فيرى الشيخ أنّ هذه المجموعة من سورة يس يغلب عليها استثارة الشكر، وكذلك سورة الرحمن فإنّها تهيّج بواعث الشكر، من خلال التعريف على الله ﷻ، وعلى نعمه[2].

أمّا عن الصبر، فمن المواضع القرآنية التي تحدّث الشيخ في ظلالها عن تربية الصبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ المعارج: ١٩، إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ المعارج: ٣٥، فالمجموعة تَذكُر خصائص الإنسان الذي خرج عن صفة الهلع[3] إلى صفة الصبر؛ فهي تُذكّر بالخصائص التي ينبثق عنها خلق الصبر كالمداومة على الصلاة والإنفاق، يقول ﷺ: "وذلك درس كبير في التربية...، وكأنّ المجموعة تقول: تحقق بهذا كي تصبر على ما تلقاه من أخلاق الكافرين وأقوالهم وأفعالهم".[4]

---

[1] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص332 و ج7 ص4015.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج8 ص4659 ، ج10 ص5673.

[3] الهلع: الحرص، وقيل: الجزع وقلّة الصبر، وقيل: هو أسوأ الجزع وأفحشه؛ ابن منظور، **(لسان العرب)**، ج8 ص374.

[4] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6136.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥، فيرى الشيخ أنّ في الإخبار بوقوع البلاء قبل وقوعه تربية للنفوس على التوطّن عليه.[1]

المطلب الخامس: أعمال قلبية أخرى

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: الرجاء والخوف والخشية

يبيّن الشيخ أنّ تربية الخوف والرجاء في قلب المؤمن جاءت في القرآن الكريم من خلال اقتران ذكر المغفرة بشدّة العقاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴿٦﴾﴾ الرعد: ٦[2]؛ فهما جناحا القلب في سيره إلى الله ﷻ، وتظهر أهمّية هذين العملين القلبيين في كونهما من الأمور التي يتوقف عليها تمام العبادة؛ من حيث معرفة جلال الله ﷻ وإكرامه، وقد استدل الشيخ على هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الإسراء: ٥٧.[3]

ويتبع الحديث عن الخوف الحديث عن الخشية، والخشية من الله ﷻ من مقتضيات الإيمان الحقيقي به، كما أنّها عند أهلها يرافقها معرفة بجمال الله ﷻ وفضله؛ لذلك فإن الخشية يرافقها

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص331.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2729.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3084.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عادة رجاء، والخشية المقصودة هي ما كانت في أبواب الدين، وإلا فهناك خشية طبع للمحاذير وقد بيّن حوّى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ التوبة:١٨.[1]

ولهذا العمل القلبي أهمّيّته، ومن ذلك أنّه لا يتذكّر بهذا القرآن إلا من كان في قلبه خشية لقوله تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣﴾ طه: ٣؛ وفي هذا المقام يبيّن الشيخ أنّ الخشية ثمرة معرفة الله ﷻ المستقرّة في القلب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر: ٢٨؛ فمن ازداد علماً بالله ﷻ ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه به أقلّ كان آمناً، ومن ثمّ كانت المعرفة هي الفرض الأوّل على المكلّف.[2]

ومن جانب آخر فقد حفل القرآن الكريم بالآيات التي تستثير مكنونات النفس البشرية لإيصالها إلى الخشية؛ من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣﴾ الملك: ١٣؛ فعلم الله ﷻ بسرّ الإنسان وجهره من الأمور التي تستثير الخشية في قلب الإنسان.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص1130 و ج4 ص2224 وج10 ص6028.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3344 و ج8 ص4588.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص6034.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الثانية: التوكّل

يقتضي الإيمان بالله ﷻ التوكل عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ المائدة: ٢٣، والتوكّل يكون بقطع العلائق القلبية مع غير الله ﷻ [1]، وهو "مقيّد بالأخذ بالأسباب، وردّ الأمر بعد ذلك إلى الله ﷻ"[2].

وللتوكّل على الله ﷻ أهمّيته في حياة الأمم، ويُظهر حوّى هذه الأهمّية من خلال توجيه نبيّ الله موسى ﷺ لبني إسرائيل للتوكّل على الله ﷻ، وذلك في مواجهة بطش فرعون، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ يونس: ٨٤، فبدون التوكّل لا تستطيع الأمّة ولا الفرد تحقيق هدف يفرضُه الإسلام، أو التخلّص من الأوضاع الظالمة.[3]

والتوكّل مرتبط بالعبادة، ويرى حوّى أنّ الآيات التي قُرن فيها ذكر التوكّل بالعبادة، كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ هود:١٢٣، تدلّ على هذا الارتباط؛ فمن لا توكّل له، لا يستقيم على العبادة، وفي المقابل من لا عبادة له، لا توكّل له.[4]

المسألة الثالثة: حبّ الله ﷻ ورسوله ﷺ

يبيّن حوّى أنّ محبّة الله ﷻ من مقتضيات الإيمان الواضحة الكبيرة، وقد استدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥، ومحبّة الله ﷻ تكون أثراً عن

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1355.

[2] قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج5 ص2758.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2499 و ج7 ص4069.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2499 وص2610.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعور بنعمه، كما في قول النبي ﷺ : "أحبّوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبّوني بحبّ الله"[1] وحتّى يحسّ القلب بهذه المحبّة، لا بدّ له من التحرّر من أمراضه، ويشير حوّى إلى أنّ طريق هذه المحبّة هو الإقبال على الله ﷻ بالفرائض والنوافل، كما جاء في الحديث القدسي: "وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه"[2]؛ فلمّا أحبّه الله ﷻ أعطاه ما يشعره بالمحبّة، وعندئذ يفيض القلب بالمحبّة لله ﷻ بما لا يعرفه إلا أهله.[3]

ويستتبع الحديث عن محبّة الله ﷻ الحديث عن المشايعة الربّانيّة الصحيحة، والتي من أشكالها أن يواطئ القلبُ القلبَ في الاعتقاد والصفاء، ويضرب الشيخ مثالاً على ذلك بالمشايعة بين نوح و إبراهيم ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٤﴾ الصافات: ٨٣ – ٨٤.[4]

وموضوع المشايعة الربّانية والولاء والبراء من الأمور البارزة التي ظهر فيها تأثّر الشيخ حوّى بصاحب الظلال، فقد أكثر من النقل عنه في مثل هذه المواطن، ومن ذلك قول صاحب الظلال: "إنّ سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتّخاذهم أولياء شيء آخر، لكنّهما يختلطان على

---

[1] الترمذي، محمّد بن عيسى (ت 279هـ)، (**سنن الترمذي**)، حقّقه أحمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ-1975م، 5 أجزاء. كتاب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ، ج5 ص664، حديث رقم: 3789، قال الترمذي حديث حسن غريب.

[2] البخاري، محمّد بن إسماعيل (ت256هـ)، (**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**)، حقّقه مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ -1987م، 6 أجزاء. كتاب الرقاق، باب التواضع، ج5 ص2384، حديث رقم 6137.

[3] انظر: حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج1 ص353.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج8 ص4712.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض المسلمين، الذين لم تتّضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه حركة منهجية واقعية، تتّجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وفق التصوّر الإسلامي الذي يختلف عن سائر التصوّرات التي تعرفها البشرية، ... فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبرّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة".[1]

ويمكن تعليل تأثّر حوّى بصاحب الظلال في هذا الموطن وغيره من المواطن، بتشابه الرجلين في الاتّجاه الحركي والدعوي؛ فكلاهما تبنّى فكر الإخوان المسلمين، كذلك المعاصرة فكلٌ تأثّر بثقافة نفس العصر، أضف إلى ذلك إبداع صاحب الظلال في النواحي الاجتماعية والتربوية في تفسيره، وقد تيسّر لحوّى وجود هذا التفسير في السجن الذي قطنه، فكان من جملة المصادر الأربعة التي اعتمد عليها في كتابة تفسيره.

وبعد، فهذه لفتات تربوية فيما يتعلّق ببعض أعمال القلوب، وفي المبحث الثاني مزيد حديث حول ما يتعلّق بأمراض القلوب، والله المستعان.

---

[1] قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج2 ص909-910؛ حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1441.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أمراض القلوب

ذكرت فيما سبق أنّ طهارة القلب من أمراضه، إحدى الأمور التي يتوقّف عليها كمال صلة القلب بالله ﷻ، وفي المطالب التالية عرض لأهمّ هذه الأمراض:

المطلب الأول: الكفر

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أخلاقيات الكفر

إنّ الكفر حالة قلبية تنبثق عنها أخلاقياتها التي تدلّ على وجوده[1]، ويبيّن الشيخ أنّ وصف القرآن للنفس البشرية وصف محيط، وكذا في وصفه سائر أحوال النفس البشرية، ومن ذلك ما جاء في وصف النفس الكافرة، فلذلك أثره العظيم في تنبيه المؤمنين من أن تتسلّل إليهم هذه الأحوال، فتصبح عميقة الجذور في النفس والقلب، فضلاً عن أن يتخلّى المؤمن عن هذه الأحوال والصفات[2]، وفيما يلي بعض صفات الكافرين وأحوالهم ممّا ذكره حوّى في ثنايا تفسيره لبعض الآيات:

1. حبّ الدنيا[3] والصدّ عن سبيل الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص87.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2862.

[3] ويندرج تحت ذلك الخوف الناجم عن اختلال النظرة إلى موازين القوى، ويوضّح الشيخ ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ القصص: ٥٧؛ فبعض ضعاف النفوس إذا أقيمت عليهم الحجة بالإسلام، علّلوا رفضهم بخوفهم من تكالب قوى=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِي ضَلَٰلٖ بَعِيدٖ ۝٣﴾إبراهيم: ٣، فيبيّن حوّى أنّ هذه الصفات هي صفات مشتركة عند كلّ كافر؛ فالكافر يعادي الحقّ لأنه يكرهه وذلك لأن للكفر متعته، وهي آثار الكفر في الانفلات من التكليف.[1]

2. اتّباع الشهوات، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ الحجر: ٣، فالأكل والتّمتّع في الدنيا والأمل هي كلّ شيء بالنسبة للكافر، ويرى حوّى أنّ أَمْرَ الرسول ﷺ بتركهم، يشير إلى أنّ الواجب في حقّ هؤلاء ازدراؤهم، واحتقار ما هم فيه ولهذا التوجيه أهمّية كبيرة في التربية الإسلامية، في ظلّ قيام كلّ الحركات السياسية على تعليق الإنسان بالآمال الدنيوية.[2]

3. العناد، ومن ذلك ما جاء في سورة ص، من قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ ص: ٢، إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦﴾ ص: ١٦، ففي هذا الموضع القرآني عرض لبعض صفات الكافر الذي لا ينفع معه الإنذار؛ كالعزّة، والمشاقّة لله ورسوله، وتكذيب الرسل واتّهامهم[3]، وقد فصّلت

=العالم عليهم، ويردّ الشيخ على أمثال هؤلاء بأنّ الله قد يعطي الامن للكافرين فكيف لا يعطيه للمؤمنين، ومن جانب آخر فإن الدنيا دار ابتلاء وعلينا أنّ نجاهد؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص4102.

[1] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2778، وج9 ص4859 و ص5175.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2862.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج8 ص4765.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سورة القمر[1] في صفات الكافرين الذين وصلوا إلى حالة يستوي معهم فيها الإنذار وعدمه، وضربت الأمثلة، وبينت ما يستحقه هؤلاء وأمثالهم في الدنيا والآخرة.[2]

4. الكافر في وضع نفسي يبعده عن الإيمان، فمن خلال قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ آل عمران:١٠١، يبيّن الشيخ أنّ الكافر في وضع نفسي يبعده عن الإيمان؛ فقد اجتمع له ما لا يعقل معه الكفر وهو القرآن الكريم، والرسول ﷺ، واليوم بقي القرآن والسنّة والسيرة وفي ذلك كفاية الإيمان، كذلك فإنّ الكافر معرض عن آيات الله الكونية، وما تشير إليه هذه الآيات وما تدلّ عليه؛ وإلا فهذه الآيات كافيةلإخراج الكافرين من كفرهم.[3]

5. ومن صفات الكافرين المذكورة في القرآن الكريم أيضاً، الظلم، وطغيان الكافر كلّما رأى نفسه مستغنياً، والمجادلة في آيات الله ﷻ الناجمة عن الكبر، كذلك الجحود والكبرياء والبطر في النعمة، واليأس والقنوط في المحنة، والكافر جاهل في شأن الألوهية، وجهله هذا هو الذي دفعه للكفر، ومن صفات الكافرين التعنّت في المطالب فهي طريق الكفّار في كلّ عصر، كذلك الجرأة على الأنبياء والعلماء ودعاة الحقّ.[4]

---

[1] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة القرآنية وتعليقات الشيخ عليها ممّا يتعلّق بذلك، انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2866، ج7 ص3429.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5634-5635.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج2 ص842، و ج7 ص3455-3456.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص227 و ص593، ج2 ص727، ج8 ص4291، ج9 ص4989 و ص5034 وص5854، ج11 ص6606.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الثانية: الكفر هو ثمرة الأمراض القلبية والسلوكية

ظهر أنّ للكفر أخلاقياته الدالّة على وجوده، وفي المقابل فإنّ الكفر أثر عن الاتّصاف بأمراض متراكمة حالت بين أصحابها والإيمان؛ فسبب الكفر هو الأمراض القلبية والسلوكية، فإذا تحرّر الإنسان من هذه الأمراض، كانت البداية الصحيحة للاهتداء بكتاب الله ﷻ؛ فمن خلال آيات سورة الجاثية، في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ ﴾ الجاثية: ٧ –٩، يدلّل حوّى على أنّ المتّصفين بالإثم والكذب، والمعرضين عن آيات الله ﷻ، والمستهزئين بها هم الذين لا يؤمنون، فكفرهم لم يكن أثراً عن موقف عقلي أو علمي، بل أثراً عن اتّصافهم بأمراض متراكمة حالت بينهم وبين الإيمان، فاستحقّوا بذلك العذاب[1].

كذلك في تفسير قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ۝٥٨ ﴾ طه: ٥٦– ٥٨، يقول ﷺ: "في هذا السياق تعرّفنا على أنّ الذين لا يؤمنون يكذبون ويرفضون، لا لقصور في الحجة، ولا لانعدام الآيات بل لمرض في أنفسهم"[2]؛ فالكفر ورفض الحقّ ثمرة أمراض قلبية؛ وجميع الخطايا دون

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5218–5219.

[2] **المرجع السابق**، ج7 ص3368.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

درجة الكفر، إنّما هي بريد الكفر، فسير الإنسان في طريقها يجني على نفسه شيئاً فشيئاً، فإذا ما أحاطت به الخطايا وصل إلى درجة الكفر.[1]

وهذه الأمراض إمّا أن تكون قد تأصّلت على التمام والكمال، حتّى لم يعد ينفع الإنذار مع صاحبها، وإمّا أنّها لم تصل إلى هذه الحال، ففي شأن صاحب هذه الحال أن يهتدي.[2]

وفي المسألة التالية تفصيل في موضوع الكفر الذي لا ينفع معه الإنذار.

المسألة الثالثة: الكفر الذي لا ينفع معه الإنذار

إنّ الآيات المحورية[3] في حديث الشيخ عن هذا الموضوع هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ البقرة: ٦-٧؛ فقد ظهر من خلال هذه الآيات أنّ العلامة الأكبر للكفر تتجلى في كون الكافر لا يؤثّر فيه الإنذار حين وقوعه من أهله، فهؤلاء أناس علم الله أنّهم لا يؤمنون؛ فيستوي عليهم الإنذار وعدمه، فقلوبهم مختوم عليها، وما ختم عليها إلا بسبب من أعمال ارتكبوها وطريق ساروا فيها؛ فاختاروا طريق الكفر وصمّموا عليها ويرى حوّى أنّ هذا نوع خاص من الكفر، هو الكفر الكامل، وهو ما انعدمت فيه الفطرة في قلب الإنسان، ولهذا الكفر علاماته وحقيقته وثمراته، ولكون ما سبق لا يعلمه إلا الله ﷻ، كُلّف المسلمون بالإنذار لإقامة الحجة، حيث إنّ هناك كافرين لم يصلوا إلى مرحلة الكفر الكامل، ففي شأن هؤلاء أمل أن يهتدوا بإذن الله ﷻ، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص171.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5604-5606.

[3] وقد كانت هذه الآية محوراً لعدد من السور القرآنية، كسورتي الإنبياء والقمر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ الأنعام: ١٢٢ "[1]، "ومن ثمّ أمر النبي ﷺ بالتبليغ وإقامة الحجّة على الخلق أجمعين"[2]، أمّا من وصل إلى مرحلة الكفر الكامل فلا يهتدي، كما في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ البقرة: ٢٦٤.[3]

المطلب الثاني: النفاق

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ضربا النفاق بحسب تمكّنه في القلب

إنّ النفاق مرض في القلب يصيب الإنسان كما يصيبه الكفر وغير ذلك من الأمراض ويبيّن حوّى أنّ المظهر الرئيس لهذا المرض هو الولاء للكافرين والمنافقين، وقد يكون هذا الولاء خفياً، وأحياناً ظاهرياً، وقد يكون بأشكال أخرى.[4]

والنفاق بحسب تمكّنه في القلب ضربان؛ فهناك المنافق الخالص، وفي المقابل المنافق الذي في قلبه بقية إيمان، ويرى الشيخ أنّ آيات سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة: ١٧ – ١٨، تضرب مثلاً للمنافق الخالص، فمثله كالذي استوقد ناراً، فلمّا أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها، وبينما هو كذلك أطفئت ناره

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص67–69 و ص83 و ص100، ج6 ص2866.

[2] **المرجع السابق**، ج10 ص5606.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص616.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج3 ص1429.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصار في ظلام شديد لا يهتدي، وهو مع هذا أصمّ وأبكم وأعمى لا يبصر حتى لو وُجد الضياء فلن يرجع إلى الهداية التي كان عليها، وباعها بالضلالة، ويرى حوّى أنّ هذا المثل ينطبق على كثير من أبناء المسلمين في هذا العصر ممّن كانوا من أهل الالتزام والعبادة، ثمّ غرّهم عالم الكفر والضلال، فسخروا من حالهم الأوّل، وازدادوا في الكفر والضلال، ويستفاد من هذا المثل في المجال التربوي أنّه لا بد من كون منطلقات المسلم في حكمه على الأشياء منطلقات إسلامية، فمن لا يرى الأشياء بنور الإيمان فهو منافق.[1]

أمّا المنافق الذي لا زال في قلبه بقية إيمان، فبيان مثله في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ البقرة: ١٩ – ٢٠؛ فهذا المنافق يظهر له الحقّ تارة، ويشكّ تارة أخرى[2]؛ فإن ظهر له شيء من الإيمان استأنس به واتّبعه، لكن سرعان ما تسيطر عليه الشكوك فيظلم قلبه، فيقف حائراً، وهذا هو الحال الثاني، ويرى حوّى أنّ هذا المثل من أغمض أمثال القرآن الكريم، لكنّ حال كثير من أبناء المسلمين في هذا العصر مفتاح لفهم المثل من خلال واقعهم، ففي هذا العصر المليء بالشُبه والدعوات الضالّة، وُجد مسلمون –بحكم النشأة والبيئة– لم تُتح لهم فرصة للسير في طريق الإيمان كي يتحقّق في قلوبهم، فاشتملت قلوبهم على إيمان ونفاق، أو إيمان وكفر، فإن رأوا حجة

---

[1] انظر: حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج1 ص74.

[2] انظر: ابن كثير، أبا الفداء إسماعيل بن عمر (ت774ه)، (**تفسير القرآن العظيم**)، حقّقه سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420ه – 1999م، 8أجزاء. ج1 ص189.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من حجج الإسلام القوية أضاءت جوانب قلوبهم بالإيمان، فأعانهم ذلك على السير قليلاً، لكن سرعان ما ينطفئ النور بعد أن تحيط بهم شبهة ما، فيقفون حائرين خائفين من انكشاف أمرهم للمؤمنين، ومن عقاب الله ﷻ، وما انطفأ النور في قلوبهم إلا بسبب أعمال ارتكبوها، وطريق ساروا فيها فاستحقّوا ما صاروا فيه.[1]

المسألة الثانية: صفات المنافقين وأحوالهم ونماذجهم

النفاق حالة قلبية لها أخلاقياتها التي تدلّ عليها، ويبيّن حوّى أنّ قضية النفاق قد جاءت في القرآن الكريم محدّدة ومفصّلة؛ وذلك لشدّة خطر هذه الظاهرة على المجتمع الإسلامي، ولمّا كان أمر المنافق مشتبهاً على كثير من الناس، ولا سبيل لمعرفته إلا من سيماه، وفلتات لسانه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ محمد: ٣٠، جاءت آيات القرآن تفصّل في صفاتهم وأحوالهم ونماذجهم[2]؛ "وهي نماذج مستقرة في الحياة البشرية؛ ولذلك فإنّه من خلال إدراك طبيعتها وأقوالها وأفعالها نستطيع أن نتعرّف على أشباهها في كل جيل وعصر"[3] وقد أعطى الشيخ هذا الموضوع مساحة واسعة في تفسيره، وفيما يلي وقفات مع تلك النماذج والصفات والأحوال من خلال جهود الشيخ:

1. موقف المنافق من النفير والقتال، ويمكن توضيح ذلك من خلال سورة التوبة فقد شكّلت مواقف المنافقين من النفير العام لغزوة تبوك في هذه السورة "النماذج التطبيقية على مواقف الناس من النفير؛ فالإنسان هو الإنسان، والإيمان هو الإيمان، والنفاق هو

---

[1] انظر: حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج1 ص75-76 وص100.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص67-69 وص87، وج4 ص2293.

[3] **المرجع السابق**، ج4 ص2313.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النفاق، ومن خلال النماذج يأتي الدرس والتوجيه والتربية والتعليم"[1]، وهي أربعة نماذج[2]:

أ. النموذج الأوّل: نموذج يطلب الإذن بالتخلّف عن الخروج، بحجّة أنّهم إذا خرجوا للجهاد ورأوا النساء لا يصبرون فيقعون في الحرام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ التوبة: ٤٩.

ب. النموذج الثاني: نموذج طامع لمّاز؛ يعيب على الرسول ﷺ تقسيمه الصدقات ويشكّك في عدل القيادة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ التوبة: ٥٨؛ وفعلهم هذا لا يكون إلا حظّاً للنفس والشيطان، فبيّن الله ﷻ مصارف الزكاة؛ ليعلم المنافقون أنّ الله ﷻ هو الذي قسّمها.

ت. النموذج الثالث: نموذج يؤذي الرسول ﷺ بالكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة: ٦١.

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص2288.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2288-2293.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ث. النموذج الرابع: نموذج يستهزئ بالإسلام وأهله، وبالله ﷻ وآياته، وإذا ما ووجهوا بأقوالهم، ادّعوا أنّ ذلك على سبيل المداعبات والتندرات، كما في قوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ التوبة: ٦٤ – ٦٥.

2. في آيات سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾ البقرة: ٨، إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ البقرة: ١٦، في هذه الآيات عرض لحقيقة النفاق وسببه، فتتجلّى حقيقة النفاق في أنّ أهله يَكذبون في ادّعائهم الإيمان بالله ﷻ، والإيمان باليوم الآخر، وخداعهم هذا ناتج عن مرض في قلوبهم هو الشكّ، والرغبة في الدنيا، والحرص عليها؛ ومن نماذج أقوال المنافقين ومواقفهم في هذه الآيات:[1]

أ. نموذج المنافق المتظاهر بالإصلاح؛ فحين دعوته للانتهاء عن إفساده، يقابل هذه الدعوة بزعم أنّ ما يفعله إصلاح، بل ويقصر الإصلاح على عمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾ البقرة: ١١.

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص70–73 و ص87.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. نموذج المنافق المسخفّ بأهل الحقّ؛ فإذا دُعي إلى الحقّ لا يجيب، بل يسفّه أهله ويستجهلهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ البقرة: ١٣.

ت. نموذج المنافق المتملّق؛ الذي يظهر الإيمان والموالاة حين ملاقاة المؤمنين، وتظهر حقيقته إذا ما خلا إلى ساداته وكبرائه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ البقرة: ١٤.

ويرى حوّى أنّ أهل هذه النماذج لم يظهروا في عصر كما ظهروا في هذا العصر ويمثل للنموذج الأوّل بالدعاة إلى الكفر والمعصية، والعاملين بهما، من أبناء هذه الأمّة فيدّعون الإسلام، وينعتون دعواتهم الكافرة بأسماء برّاقة، من شأنها إعطاؤهم صفة المصلحين، كالتقدّمية والتقدّميين، والحرية والأحرار، وغير ذلك، أمّا النموذج الثاني فكم تجرّأ أهله في هذا العصر على أهل الإيمان من العلماء والدعاة والعُبّاد وغيرهم، فنعتوهم بالرجعية والتخلّف والجمود وضيق الأفق، وكانوا هم الأحقّ بهذه الأوصاف، وأخيراً يمثّل حوّى للنموذج الثالث بالمؤسسات الكافرة أو الخائنة، أو التجمّعات الفاسدة، فكثير من أبناء المسلمين ممّن يعمل في سلك هذه المؤسسات يتظاهر مع أهل الإيمان بالإيمان،ولكنّه مع زعمائه في عمله على غاية المتابعة والولاء فليحصّلوا ما يحصّلوا من أمر الدنيا، ففي عاقبة الأمر هم الخاسرون.[1]

3. سلّطت سورة المنافقون الضوء على بعض طبائع المنافقين، من ذلك[2]:

---

[1] انظر: حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج1 ص71-73.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5931.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. الطبيعة المنافقة تحسن الكلام في الدنيا، لاحياة فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾ المنافقون:٤.

ب. المنافق يظنّ أنّ كلّ حديث بين اثنين هو المقصود فيه، وأنّه هدف التآمر؛ فالطبيعة المنافقة كثيرة الجبن، وشديدة الشك، كما في قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ المنافقون: ٤.

ث. الطبيعة المنافقة أشدّ الناس عداوة للإسلام وأهله، ومصروفة عن الخير صرفاً تامّاً، كما في قوله تعالى: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ المنافقون: ٤.

المسألة الثالثة: سبيل الخروج من النفاق

من خلال قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المنافقون:٩-١٠، يستدلّ الشيخ على أنّ طريق الخلاص من النفاق يكون بما لايخرج عن التّحقّق بصفات المتقين؛ وذلك لكون الآيتين تأمران المؤمنين بعدم الانشغال عن الذكر وبالإنفاق، وذلك في سورة المنافقون، ممّا يدلّ على أنّ أمْرَ المؤمنين بهما، كان للنجاة من النفاق؛ لا سيّما وأنّ الكافرين والمنافقين لا ينفقون، وهو الذي صرّح به القرآن الكريم في أكثر من مكان، كقوله تعالى: ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ التوبة: ٦٧، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ النساء: ٣٧.[1]

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5936-5937.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتطهير النفس من النفاق يكون بالسلوك الحقيقي لطريق الإيمان، كذلك لا بدّ من قطع كلّ معاني الولاء في الأنفس لأعداء الله ﷻ، وتحريرها من كلّ مظاهر الولاء المنحرف.[1]

المطلب الثالث: الفسوق

يبيّن الشيخ أنّ الفاسق في المصطلح القرآني إذا ورد في سياق الحديث عن الكافرين والمنافقين فالمراد به الكافر[2]، وإذا ورد في سياق الحديث عن المسلمين العصاة، فالمراد به المقصّرون في عبادة الله ﷻ[3]، وإذا ورد في سياق الوعيد للكافرين والمنافقين فينسحب الوعيد على عصاة المؤمنين ممّن وافق الكفّار والمنافقين في معصية، فالفسوق مسبّب للإضلال.[4]

وقد بيّن القرآن الكريم الأمور التي تؤدي إلى الفسوق، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ الحجرات: ١١؛ فالاستهزاء والطعن والتنابز بالالقاب جَدّاً أو هزلاً، كلّ ذلك يوصل صاحبه إلى الفسوق.[5]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1429-1430.

[2] كما في سورة البقرة: الآيات [26-27].

[3] وهو ما سمّاه الشيخ الفسوق النسبي؛ انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5779.

[4] **المرجع السابق**، ج1 ص99.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5413-5414.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: الشرك

من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ الروم: ٣١ – ٣٢، يستدلّ الشيخ على أنّ الشرك رأس العلل، ومنه يحدث تفريق الدين، والتفرّق فيه، وبسببه تنشأ العصبية للباطل.[1]

والشرك مخلّ في التوحيد، ومن أشكال هذا الإخلال الاعتماد على الأسباب، أو نسبة الأفعال إليها دون ملاحظة أنّ ذلك لم يكن إلا بالله ﷻ، وقد غرقت كثير من البيئات في مُخلّات التوحيد الكبرى، فلا بدّ أن تكون حماية جناب التوحيد أعظم واجب على الإطلاق عند العلماء.[2]

كذلك فإنّ اتّباع غير طريق الله ﷻ شرك، عاقبته ندامة يوم القيامة، وقد دلّت الآيات من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾ البقرة: ١٦٥، إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ ﴾ البقرة: ١٦٧ على هذه المعاني؛ فلا بدّ للإنسان أن يدقّق كثيراً في قضية الاتّباع، لمن تكون؟ ولماذا؟ وكيف؟، حتّى ينجو من الندامة.[3]

وبمناسبة قوله تعالى:﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ يوسف:١٠٦ ينقل الشيخ عن صاحب الظلال أشكالاً من الشرك الظاهر والخفي في هذا العصر، فمن أشكال الشرك الشرك الواضح الظاهر الدينونة لغير الله ﷻ في شأن من شؤون الحياة، والدينونة في شرع يتحاكم إليه، والدينونة في تقليد من التقاليد كاتّخاذ أعياد ومواسم يشرّعها الناس ولم يشرّعها

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4272.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص103 و ص111.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص353.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله ﷻ، والدينونة في الزيّ؛ بحيث يخالف ما أمر الله ﷻ به من الستر، وذلك بأن يكشف أو يحدد العورات التي فُرض سترها، ويبيّن صاحب الظلال أنّ **الضابط الذي ترتفع به هذه الأمور من درجة كونها ذنباً، إلى أن تصير شركاً بالله ﷻ، هو كون الباعث على القيام بها الطاعة والخضوع والدينونة لعرف اجتماعي سائد من صنع البشر، وتركاً للأمر الواضح الصادر من ربّ البشر؛ لدلالته على الدينونة لغير الله ﷻ.**[1]

أمّا بشأن الشرك الخفي فيقول صاحب الظلال: "مشركون قيمة من قيم هذه الأرض في تقريرهم للأحداث والأشياء والأشخاص، مشركون سبباً من الأسباب مع قدرة الله ﷻ في النفع أو الضرّ سواء ...، مشركون في رجاء يتعلق بغير الله من عباده على الإطلاق، مشركون في تضحية يشوبها التطلّع إلى تقدير الناس، مشركون في جهاد لتحقيق نفع أو دفع ضرّ ولكن لغير الله، مشركون في عبادة يلحظ فيها وجه مع وجه الله ﷻ...، فهذا هو الشرك الخفي الذي يحتاج إلى اليقظة الدائمة للتحرّز منه ليخلص الإيمان".[2]

ومن وسائل تطهير القلب من الشرك إقامة الحجة على وحدانية الله ﷻ، وقد أقامت آيات كثيرة في القرآن الكريم الحجّة على ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ ﴾ النحل: ٥١ – ٥٥، أُقيمت الحجّة على وحدانية الله ﷻ أوّلاً بالوحي، ثمّ بخضوع كلّ شيء

---

[1] انظر: سيّد قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج4 ص2033؛ حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2711.

[2] سيّد قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج4 ص2032.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لله، ثمّ بكون النعم كلّها من الله، وأخيراً بما ركّبت عليه الفطرة البشرية من الالتجاء إلى الله وحده عند الشدّة[1].

"ومن أجل أن يتحرر الإنسان من كلّ مظهر من مظاهر الشرك لا بدّ له من علم وذكر، ولا بدّ له من معرفة بالله ﷻ عقلية وقلبية، ومعرفة بشريعته والتزام بها".[2]

المطلب الخامس: الكبر والحسد

من خلال قصّة آدم ﷺ يظهر أنّ الأسباب الأولى للضلال تكمن في الكِبْر والحسد والشهوة والحرص[3]، ويرى حوّى أنّ موضوع الكبر من أدقّ الموضوعات المتغلغلة في السلوك البشري ولتوضيح أثر الكبر في السلوك، يستعين ﷺ بقول النبي ﷺ: "الكبر بَطَر الحقّ وغَمْط الناس"[4]؛ "فأيُّ موقف للإنسان رفض فيه حقّاً مع معرفة أنّه حقّ، أو انتقص خلق الله ﷻ، فإنّه يكون بذلك سالكاً خطوات الشيطان، ومن غمط الناس ما نراه من استكبار الكثيرين عن الأخذ عن العلماء الربانيّين، أو طاعتهم أو التواضع لهم؛ إذ إنّ الله ﷻ جعل التواضع لعباده تواضعاً له، وهذا هو امتحانه الأكبر، إنّ إبليس لم يستنكف عن عبادة الله ﷻ، ولكن عندما كلّفه ربّه بالسجود لمخلوق مثله ظهر كبره وكفره"[5]، وغمط الناس هو حال كثير من المسلمين ممّن هم على غاية من العبادة، لكنّهم يأنفون من طاعة غيرهم، ولو كان في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين، ويرى

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2946.

[2] **المرجع السابق**، ج3 ص1706.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص133.

[4] رواه مسلم، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج1 ص93، حديث رقم: 91.

[5] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2929.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حوّى أنّ هذه الحال هي السبب في قلّة التقاء المسلمين على عمل جماعي منظّم، مع أنّهم قد يعطون أعداء الله ﷻ من الانقياد ما لا يعطونه لرسل الله ﷺ.[1]

والكبر هو منشأ الحسد والبغي، والحسد هو الأسف على الخير عند الغير، وقد يوصل صاحبه إلى الكفر؛ حيث إنّ ما حمل يهود المدينة على الكفر بمحمد ﷺ هو البغي والحسد، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ البقرة: ١٠٩، وهذا الحسد من أعظم أنواع الحسد لأنّه اعتراض مباشر على الذات الإلهية.[2]

وكلما ارتقت نفس الإنسان لم يبق عنده كبر، كذلك فإنّ الإنسان لا يصل إلى حقيقة الإسلام وفي قلبه مثقال ذرة من كبر، فليحرر المسلم نفسه من الكبر، بعرضه نفسه على الميزان الذي حدّده رسول الله ﷺ: "الكبر غمط الناس، وبطر الحقّ"[3].

وفي ختام هذا الفصل أذكر ما ذكرته في بدايته من كون المادّة المتعلّقة بعناصر هذا الفصل من تفسير الأساس ضخمة، لا سيّما وأنّ التفسير بالمأثور كان السمة الغالبة على مثل هذه الموضوعات؛ فقد أكثر الشيخ من ذكر الأحاديث والمرويات التي اعتمد في نقلها على تفسيري ابن كثير والنسفي، لإثراء الحديث عن أعمال القلوب وأمراضها، وممّا يمكن ملاحظته في هذا الفصل هو ظهور البعد الواقعي في تفسير حوّى في بعض المواطن، لا سيّما فيما يتعلّق بموضوع النفاق؛ فقد أبلى الشيخ بلاء حسناً في إسقاط النماذج القرآنية للطبيعة المنافقة على

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2929-2930.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص185-186 و ص205.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3209، ج7 ص3532-3533؛ والحديث سبق تخريجه ص88.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منافقي هذا العصر، كذلك يُلاحظ أيضاً التأثّر بصاحب الظلال، لا سيّما في موضوع الشرك الخفي وأشكاله المعاصرة.

وبانتهاء الحديث عن الإشارات التربوية المتعلّقة بأمراض القلوب يُستكمل الحديث عن منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية القلب، وفي الفصل التالي عرضٌ لمنهج الشيخ ﷺ في الحديث عن تربية جوارح الإنسان، وأخلاقه وما يتعلّق بذلك، والله الموفّق والمستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية جوارح الإنسان وأخلاقه وعلاقاته

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية الجوارح

المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية أخلاق الإنسان وآدابه وعلاقاته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل

منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية الجوارح[1]

تمهيد

إنّ هناك علاقة وثيقة بين عمل القلب وعمل الجوارح، وقد تطرقت في الفصل السابق للحديث عن منهج الشيخ سعيد حوى في تربية القلب، وفي هذا المبحث من هذا الفصل عرْض لمنهج الشيخ في الحديث عن تربية الجوارح، ولتوضيح أهمّ ملامح العلاقة المذكورة؛ أخصّص المطلب الأوّل من هذا المبحث للحديث عن ذلك، وفي المطلب الثاني أتطرّق لبعض المفهومات المهمّة المتعلّقة بقضية التكليف، ولتوضيح ماهيّة التكليف الإسلامي؛ أتطرق للحديث عن أعمال الجوارح وعباداتها في المطلب الثالث، وأختم بالحديث عن منهيّات الجوارح في المطلب الرابع من هذا المبحث، وذلك كلّه من خلال جهود الشيخ سعيد حوّى في تفسيره (الأساس)، والله المستعان.

[1] يبيّن الدكتور محمّد قطب ﷺ في كتابه (منهج الإسلام في التربية) "أنّ الكائن الإنساني وحدة متّصلة مترابطة، لا يمكن أن تحلّ إلى أجزاء، وإنما هي ضرورة البحث التي تملي علينا أن نتحدث عن كل جزء على حدة، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة". محمد قطب، **(منهج التربية الإسلامية)**، ج1 ص104.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأوّل: العلاقة بين عمل القلب وعمل الجارحة

تطرّق الشيخ ﵀ للحديث عن العلاقة بين عمل القلب وعمل الجوارح في ظلال تفسيره لعدد من الآيات الكريمة، ويمكن إبراز ملامح هذه العلاقة من خلال النقاط الآتية:

1. إنّ أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح، فالإيمان، والكفر، والكبر، كلّها من أفعال القلب.[1]

2. عمل الجوارح طريق إلى الإيمان القلبي؛ فمن خلال قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ الحجرات: ١٤، يفهم الشيخ أنّ الإيمان لم يدخل بعد، وهو على وشك الدخول إن استمرّ العمل بالإسلام، ويوضّح أنّ هذا المفهوم أصل كبير في التربية؛ ذلك لأن القلب البشري قد يموت أو تنتابه غفلة، وطريق الخلاص في الحالتين هو العمل بالإسلام؛ من قراءة قرآن وذكر وصلاة وغير ذلك من الأعمال، كما أنّ هذه الطريق هي أيضاً سبيل ترقّي القلب من طور إلى طور، حتّى يصل القلب إلى الإيمان الكامل[2] كذلك فإن تعليل أحكام الظهار بالإيمان، في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ المجادلة: ٤، دليل على أنّ الالتزام بأحكام الله ﷻ يعمّق الإيمان بالله ورسوله.[3]

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص663.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5438.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5783 و 5806.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. عمل القلب وعمل الجوارح كلاهما لازم لحياة الفطرة؛ فمدد الشريعة بالإيمان والعمل لازم لبقاء نور الفطرة مشتعلاً، فإذا انقطع هذا المدد انطفأت الفطرة، وهذه المعاني مستوحاة من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ النور: ٣٥؛ فالزجاجة القلب، والمصباح الإيمان، والزيت العمل بالشريعة فالقلب يحتاج إلى مدد دائم بالعمل بالشريعة، فذلك زيته ووقوده، ومن افتقد النور فعليه بالعمل؛ فهداية الفطرة مستمدّة من هداية الشريعة.[1]

4. عمل الجوارح أثر عن حال معيّنة للقلب؛ فالعقيدة الصالحة والقلب الصالح يثمران عملاً صالحاً، والعقيدة الفاسدة والقلب الفاسد يثمران عملاً فاسداً، وقد بيّن الشيخ ذلك من خلال قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3774 و ص3776 و ص3783.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٣ – ٦٣؛ فقلوب المؤمنين وجلة، وهم يسارعون في الخيرات، وقلوب الكافرين في غمرة، فكانت هذه الغمرة والجهالة سبباً في تفرّقهم في الدين، ولهم أعمال من دون ذلك[1]، كذلك فإنّ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ الصف: ٢ –٤، دليلاً على " أنّ من آثار الإيمان أن ينطبق القول مع العمل، وأن يكون العمل على ما يحبّه الله ﷻ"[2].

5. الكاملون في الإيمان هم الذين يجمعون بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وقد أشار الشيخ إلى هذا المعنى في ثنايا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الأنفال: ٢ – ٤؛ فلما جمعوا بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكّل، وأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة، وصفوا بأنّهم هم المؤمنون إيماناً لا تردّد فيه ولا شكّ.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3652 و 3674.

[2] **المرجع السابق**، ج10 ص5878.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2115.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. صلاح القلب وصلاح العمل، كلاهما يتوقّف عليه قبول العمل، ونجاة المؤمن عند الله ﷻ؛ "فالعمل غير المقيّد بقيود الوحي، وغير المنبثق عن الإيمان الصحيح لا ينجّي صاحبه، فلا بدّ من إيمان صحيح وعمل صحيح للنجاة"[1]، ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ، بل إنّ الإيمان مع العمل الصالح سبب للحياة الطيبة في الدنيا أيضاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧[2]، والعبادة في الإسلام ذات مدلول واسع؛ فكلّ عمل هو عبادة لله ﷻ إذا رافقته نيّة صالحة، حتّى المباح.[3]

7. من لم يعرف الله ﷻ، ولم يعبده فإنّه يكون قد عطّل الحكمة التي من أجلها خُلق فالعبادة هي المقصد الأعظم للقرآن الكريم؛ فكلّ ما جاء في القرآن الكريم من تشريع، أو توحيد أو أدب أو نظام، إنّما هو من أجل تحقيق هذا المقصد، ويشير الشيخ إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6491.

[2] انظر: ج6 ص2992 – 2993؛ وفي هذا المقام ينقل الشيخ عن صاحب الظلال ﷺ كلاماً رائعاً في وصف الحياة الطيّبة، يقول صاحب الظلال: " العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهمّ أن تكون ناعمة رغدة ثريّة بالمال؛ فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتّصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت وموذّات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتّصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله ﷻ...". قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج4 ص2193.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2898.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ ﴾ هود: ١ – ٢، وقوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦[1]

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ عمل القلب أعظم من عمل الجارحة، وكل منهما يعتمد في وجوده على الآخر، وباجتماعهما يبقى نور الفطرة مشتعلاً، ويحظى صاحبهما بحياة طيبة في الدنيا، وتتحقّق نجاته عند الله ﷻ في الآخرة.

وقد سُبق الشيخ إلى مثل هذه المفهومات، ومن عبارات العلماء الدالّة على ذلك: ما ذكره الإمام الرازي في مفاتيح الغيب، يقول ﷺ: "والقلب أشرف من الجوارح؛ فكان عمل القلب أشرف من عمل الجوارح..."[2]، وكذلك ما جاء عن صاحب تفسير اللباب من قوله: "واعلم أنّ العبادة لها ركنان؛ عمل القلب وعمل الجوارح، وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح، وهو الإسلام..."[3]، وما ذكره البقاعي من قوله: "ولما كان المقصود الأعظم طهارة القلب الذي عنه ينشأ عمل الجوارح..."[4]، وعبارة السعدي: "فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح والانقياد إليه،..."[5]، وغير ذلك.

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2533 وج10 ص5524.

[2] الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر (ت 606هـ)، **(مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م، 32جزءاً. ج2 ص407؛ وقد أشار الرازي إلى ذلك في المواضع التالية: ج28 ص18، وج26 ص432.

[3] ابن عادل، عمر بن عليّ (ت 880هـ)، **(تفسير اللباب)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، 20 جزءاً. ج1 ص489.

[4] البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت 885هـ)، **(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)**، حقّقه عبد الرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، 1415هـ–1995م، 8 أجزاء. ج5 ص527.

[5] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، **(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان)**، حقّقه عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ–2000م. ص393.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: مفهومات مهمّة في قضية التكليف[1]

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: قاعدتا بناء التكليف

إنّ الفعل الشاقّ على النفس، وكذلك الترك الشاقّ على النفس، كلاهما يشكّل قاعدة بناء التكليف؛ فالتكليف إذن إمّا طلب فعل، أو طلب ترك، ويضرب الشيخ مثالاً يجمع بينهما من سورة المؤمنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾ المؤمنون: ٢ – ٣؛ فالخشوع في الصلاة فعل شاقّ على النفس، وكذا الإعراض عن اللغو، ترك شاقّ على النفس.[2]

المسألة الثانية: التكليف يراعي الحالة النفسية للإنسان

وقد جاء حديث الشيخ عن هذا الموضوع من ناحيتين؛ أمّا الناحية الأولى فهي كون نفس الأحكام فيها مراعاة للحالة النفسية للمكلّف، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١، فيرى الشيخ أنّ من حِكم كون طلاق المرأة في الطهر المتقدّم للقرء الأوّل من أقرائها الثلاثة، التي تنقضي بها عدّتها، هو مراعاة الحالة النفسية للرجل، بحيث يطلّق زوجته وهو في كامل إدراكه وتفكيره وتعقّله فلا تُطلّق المرأة في حيض، ولا في طهر جامعها فيه زوجها.[3]

---

[1] التكليف: هو الخطاب بما فيه كلفة، وأقسام الأحكام الثابتة **لأفعال** المكلفين خمسة؛ الواجب والمحظور والمباح والمندوب والمكروه؛ انظر: الغزالي، أبا حامد محمّد بن محمّد (ت 505هـ)، **(المستصفى في علم الأصول)**، حقّقه محمّد بن سليمان الأشقر، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، جزءان. ج1 ص165، ص127.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3615.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5972 – 5973.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا الناحية الثانية فهي ورود التكليف في القرآن الكريم –وهو المصدر الأوّل للأحكام– في إطار يحمل المكلّف على غاية الالتزام، ومن الأمثلة على ذلك تشريع صلاة الجمعة وما يتعلّق بها من الخطبة وغير ذلك، حيث جاء في سياق ذمّ اليهود على تفريطهم في حمل التوراة، وذلك بالمثل الذي ضربه الله لهم في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ الجمعة: ٥، فبضرب هذا المثل رُفع الاستعداد للتلقّي عند المسلم إلى أعلاه، وبعد ذلك جاء خطاب المؤمنين بشأن صلاة الجمعة؛ فأعطى ذلك دلالات معيّنة، منها: أنّ صلاة الجمعة وخطبتها ينبغي أن تُحقّق ما بُعث محمّد ﷺ من أجله، وأن تتجنّب الأمّة ما وقع فيه اليهود، وفي ذلك درس لخطيب الجمعة وللمستمع.[1]

ومن الأمثلة أيضاً على كون القرآن يوجد الاستعداد للتطبيق الخالص عند المكلّف، ما جاء في تفسير سورة هود ﷺ؛ فقد كان من منهج الشيخ في تفسيره أن يقسّم السورة القرآنية إلى مقاطع، فكان المقطع الأوّل في سورة هود يشمل الآيات من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود: ١ ، إلى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ هود: ٢٤، وقد فصّلت هذه الآيات في موضوع العبادة، وذلك ببيان أنّ الحكمة من إنزال القرآن الكريم على ما هو عليه من إحكام وتفصيل هو عبادة الله وحده، وفصّلت في نهاية العابدين والكافرين، ثمّ تلا ذلك أربعة مقاطع[2] بيّنت أنّ عبادة الله ﷻ هي دعوة الرسل جميعاً لأقوامهم، وأنّ إعراض

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5905 وص5908 وص5911.

[2] وهي الآيات من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥﴾ هود: ٢٥، إلى قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ۝١٠٨ ﴾ هود: ١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الأقوام كان السبب في عقابهم، وهذا العقاب للكافرين سنّة الله ﷻ المستمرّة في الدنيا والآخرة؛ فمثّلت لنهاية العابدين والكافرين، ثمّ خُتمت السورة بالمقطع السادس وهو **مقطع عمل** يأمر بالعبادة، ويحذّر من مشابهة بني إسرائيل في اختلافهم في الكتاب، ويأمر بالاستقامة، وإقام الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من المعاني، والتي وردت في الآيات من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ هود: ١٠٩ ، إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ هود: ١٢٣، فكانت المقاطع السابقة لهذا المقطع مقدّمات في العبادة، ولّدت عند الإنسان الاستعداد للتطبيق الخالص لما جاء في هذا المقطع من عمل.[1]

ومن ناحية أخرى يرى الشيخ أنّ طريقة عرض المعاني في القرآن الكريم –ومنها ما يتعلّق بالتكليف– فيها مراعاة لاحتياجات النفس البشرية، وهذا جزء من عملية التكوين الشامل للنفس البشرية؛ وفي سبيل بيان ذلك يقول ﷺ: "والنفس البشرية ملول، ومن متعتها تغيُّر المشاهد، وهي تحتاج إلى أن تأخذ بعض المواضيع متداخلة، وأحياناً متسلسلة، وأحياناً تحتاج إلى أن تأخذ المعنى الواحد ضمن إطار، ثمّ تأخذه ضمن إطار آخر، والتكليف فيه مشقّة؛ فأن يُجزّأ التكليف وأن يوضع كلّ جزء منه في الإطار الذي تقبله النفس دون تلكؤ، كلّ هذه المعاني وغيرها، بعض حكم كون المواضيع القرآنية عرضت كما هي في القرآن...، فالله الذي خلق الكون والإنسان،... جعل كتابه الهادي لهذا الإنسان، بما يتّفق مع خلق هذا الإنسان وتركيبه العقلي والنفسي

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2605 و ص2611.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والشعوري،... قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ ﴾ الفرقان: ٦ "[1].

وقد جاء هذا الحديث لحوّى كالتعليل لتفرّق أحكام الاستئذان وآدبه في سورة النور؛ فآيات استئذان الأجانب وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨ ﴾ النور: ٢٧ – ٢٨، جاءت هذه الآيات في سياق تربية اجتماعية للمجتمع المسلم، وهي عملية التطهير النفسي والقلبي للمسلم، في قضية تمسّ العرض، وهي الحديث عن القذف والزنى، في حين لم يناسب هذا المقام الحديث عن استئذان المماليك والأطفال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩ ﴾ النور: ٥٨ – ٥٩؛ فقد جاءت هذه الآيات في سياق آخر

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3816.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو الحديث عن الهداية والضلال[1]؛ فموضوع الاستئذان بالنسبة للطوافين يحتاج إلى مقدّمات توطئ للالتزام بالأحكام، فكانت معاني الهداية والضلال في المقطع السابق للمقطع الذي وردت فيه هذه الآيات، هي المقدّمات التي تخدم في قضية الالتزام.[2]

المسألة الثالثة: التكليف اللازم لدخول الجنّة في حدود قدرة الإنسان

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأعراف: ٤٢، يبيّن حوّى أنّ التكليف إلزام ما فيه مشقّة، وفي المقابل فإنّ هذه المشقّة في حدود طاقة الإنسان وقدرته؛ فدخول الجنّة غير متوقّف على ما لا يمكن عمله[3].

المسألة الرابعة: حرّية الإنسان في ضوء التكليف

إنّ العبادة لله ﷻ يدخل فيها الالتزام بجميع أحكام الله ﷻ وتطبيقها[4]، وإقرار الإنسان بأنّه عبد لله مسؤول أمامه نقطة جوهرية في موضوع الهداية في الإسلام؛ وفي هذا المقام يشير الشيخ إلى وجود كتابات معاصرة، غايتها تعميق فكرة أنّ الإنسان حرّ غير مسؤول أمام الله ﷻ، وغير مكلّف، ويخصّ بالذكر الفلسفة الوجودية[5]، باعتبارها آخر قفزة لهذه الفكرة؛ فمثّلت الانفلات من

---

[1] وذلك في المقطع السابق للمقطع الذي وردت فيه هذه الآيات، وآيات المقطع السابق من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور:٣٥، إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ ﴾ النور: ٤٦.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3803–3804 و ص3816–3817.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص1901.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5970.

[5] سبق التعريف بهذه الفلسفة في الفصل الأوّل؛ انظر: ص24 من هذا البحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّ قيد؛ فلا عبادة ولا التزام ولا ضبط للشهوات، وقد أُشير إلى هذه المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ الفرقان: ٤٣[1]، وفي حين يعتبر المسلم أنّ مقامه الصحيح هو العبودية لله، يعتبر غير المسلم نفسه حرّاً؛ فلا عبودية ولا عبادة، أو عبودية وعبادة في غير محلّهما الصحيح، وهذا مفترق الطريق بين المسلم وغيره كما في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة: ١٣٨[2]، فحريّة الإنسان مقيّدة بعبوديته لله ﷻ، وما أُنيط به من تكليف، وهو مسؤول عن ذلك في الآخرة.

المسألة الخامسة: الأساس الفطري للشعائر التعبّدية

إنّ لتكوين النفس ارتباطاً بعمل البدن[3]، وينقل حوّى عن صاحب الظلال ﷺ ما مفاده أنّ تكوين الإنسان من روح مغيّبة، وجسد ظاهر كان سبباً في وجود ميل فطري لاتّخاذ أشكال ظاهرة تعبّر عن مكنون المشاعر المغيّبة؛ وذلك لغايات أهمّها: وجود تناسق بين الظاهر والباطن وإدراك الحسّ مكنونَ المضمَر، ويبيّن قطب أنّ على هذا الأساس الفطري أقام الإسلام شعائره التعبّدية كلّها، ويمثّل لذلك بكون القيام والاتّجاه إلى القبلة، والركوع والسجود في الصلاة، والإحرام

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3894-3895.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص38 وص 282-283.

[3] وقد ذكر الشيخ ذلك خلال تفسير سورة البقرة ضمن تعليله لورود الكلام عن الذكر والشكر والصبر والصلاة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ البقرة:١٥٢-١٥٣، بين الكلام عن القبلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ البقرة: ١٤٤، والكلام عن السعي بين الصفا والمروة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة: ١٥٨؛ فذلك إيذان بأنّ هذا الدين شعائر كما أنّه شرائع، وأنّه خصائص نفسية كما هو أعمال بدنية. انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص333.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتلبية والنحر في الحجّ، والامتناع عن الطعام والشراب في الصيام، كلّ ذلك أشكال ظاهرة للتّوجّه الروحي والنيّة؛ ففي كل عبادة حركة، وفي كلّ حركة عبادة.[1]

المطلب الثالث: عبادات الجوارح المفروضة

بعد الوقوف في المطلب السابق مع بعض المفهومات المهمّة في قضية التكليف، أخصّص هذا المطلب للحديث عن الأثر التربوي لأحد أنواع التكليف، و"ما من قضية من قضايا التكليف إلا وقد بيّنها الله ﷻ في كتابه، أو سنّة رسوله ﷺ، أو بما أحال عليه الكتاب والسنة من أصول[2] تستنبط منها أحكام الله ﷻ، وأنّ مجموع ذلك وغيره إسلام، أو من الإسلام"[3]، وتتفاوت هذه التكاليف من حيث طلبها الشرعي؛ فهناك العبادات الواجبة وهي الفرائض، والعبادات غير الواجبة وهي النوافل، وهنا حديث للآثار التربوية للعبادات الواجبة.

يبيّن حوّى أنّ العبادات الرئيسة في الإسلام، وهي: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، تعطي أثرها الكامل في تنوير النفس وتطهيرها، بقدر ما تُلاحظ معانيها الباطنة؛ فهي تؤثّر التأثير الكامل إذا كانت كاملة، بحيث يؤدَّى ظاهرها وهو هيئتها وكيفيتها الشرعية كاملاً، ويرافق هذا الأداء آداب القلب اللازمة لكلّ عبادة، وهو ما عبّر عنه الشيخ بعمل الباطن؛ كأن يرافق الصلاة الخشوع، والزكاة حسن النية، وتلاوة القرآن حسن التدبّر، والذكر الحضور؛ فإن رافق عملَ الظاهر

---

[1] انظر: سيّد قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج1 ص127-128.

[2] وهي ما يُعرف في علم أصول الفقه بأدلّة الأحكام كالإجماع والقياس، وغيرهما على خلاف بين المذاهب الفقهية. انظر: الغزالي، **(المستصفى في علم الأصول)**، ج1 ص189.

[3] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص111.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عملُ الباطن، كان هذا الأداء هو الكمال والتمام في التنوير والتطهير[1]، وفي المسائل التالية بعض الآثار التربوية لهذه العبادات.

المسألة الأولى: الصلاة

إنّ من أهمّ الآثار التي تتركها المواظبة على الصلاة في نفس المصلّي، حمْله على ترك الفواحش والمنكرات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ العنكبوت: ٤٥، ويبيّن الشيخ أنّ الصلاة إنّما تكون كذلك إذا كانت كاملة؛ وذلك بأن يأتي المصلّي بأركانها وسننها، ويراعي فيها ما يجب من إخلاص القلب، ودفع وساوس النفس والشيطان، ويراعي آداب الجوارح، مستحضراً أنّه منتصبٌ بين يدي جبّار السماوات والأرض، ويراعي أدب القلب وهو الخشوع فيها، فإذا ما اجتمع ذلك، كان للصلاة الدور الأكبر في التطهير.[2]

المسألة الثانية: الزكاة

من أهمّ الثمار التربوية لإيتاء الزكاة والإنفاق بشكل عامّ -إن كان في سبيل الله ﷻ-، أنّه مطهّر للنفس من شحّها، والشحّ عامل رئيس في النكوس عن التقوى، ويستدلّ الشيخ على ذلك من خلال الربط بين قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾ التغابن: ١٦، وملاحظة أنّ صفات المتّقين في مقدّمة سورة البقرة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ

---

[1] انظر: حوّى، سعيد بن ديب (ت1989م)، **(المستخلص في تزكية الأنفس)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط10، 1424هـ-2004م. ص31.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص140 و ج8 ص4214-4216؛ وانظر: حوّى، **(المستخلص في تزكية الأنفس)**، ص33.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ البقرة: ٥ ؛ فلا فلاح إلا بالخروج من شح النفس[1]؛ فالإنفاق في سبيل الله ﷻ برهان كما في قول النبي ﷺ: "والصدقة برهان"[2]؛ برهان على التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ الليل: ١٧-١٨[3]، وبرهان على الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد استدلّ الشيخ على ذلك في سياق تفسيره للفقرة القرآنية من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ البقرة: ٢٥٤، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٢٧٤﴾ البقرة: ٢٧٤؛ يقول ﷺ: "فالمال حبيب للنفس، وهو عديل الروح كما يقولون، فما لم يعرف الإنسانُ اللهَ فيحبّه، وما لم يؤمن باليوم الآخر؛ فيحبّ العمل من أجل الثواب فيه، فإنّه يصعب عليه أن ينفق، ومن ثم كان الحديث عن الله ﷻ في هذه الفقرة، أعظم منه في أيّ مكان آخر من كتاب الله، أليس فيها آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، إنّ من يقرأ هذه الفقرة ملاحظاً البداية والنهاية والوسط، سيجد نفسه مندفعاً للإنفاق"[4]، ويرى حوّى أنّ السياق

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5958-5959.

[2] مسلم، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج1 ص203، حديث رقم: 223.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6558.

[4] **المرجع السابق**، ج1 ص591-592.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآني لهذه الفقرة القرآنية حتّى خواتيم سورة البقرة، "يشعر بالاحتياجات التربوية الكثيرة للنفس البشرية، لتنضبط بأمر الله ﷻ في ما يتعلّق بالمال".[1]

المسألة الثالثة: الصوم

من أهمّ الثمار التربوية للصوم أنّه يعوّد النفس على ضبط شهواتها –شهوتي البطن والفرج[2]– ابتغاء مرضاة الله ﷻ، مبلِّغاً بذلك مقام التقوى، الذي فيه خيرا الدنيا والآخرة، وقد جاءت حكمة الصوم هذه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣؛ فإقامة شهر رمضان بفرائضه وسننه زاد من التقوى لسَنَة.[3]

المسألة الرابعة: الحجّ

أمّا الحجّ ففيه أعمال عدّة؛ ويشير الشيخ إلى بعض المعاني التربوية لبعض أعمال الحجّ "فالتجرّد من اللباس تجرّد من الدنيا، والوقوف في عرفات استعداد للانطلاق نحو البيت بلا ذنب ورمي الجمار قبل الطواف وبعده إشارة إلى الصراع المستمر مع الشيطان، والحجّ كلّه تربية على التسليم لله ربّ العالمين"[4]، وللحجّ دور كبير في استثارة مشاعر الوحدة بين المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ ﴾ الحج: ٦٧، وتذكّر هذه المعاني وغيرها أحد العوامل التي تجعل الحجّ يؤتي ثماره كاملة.[5]

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص592.

[2] انظر: حوّى، **(المستخلص في تزكية الأنفس)**، ص61.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص412-413.

[4] **المرجع السابق**، ج1 ص475.

[5] انظر: حوّى، **(المستخلص في تزكية الأنفس)**، ص65.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكلام الشيخ الآتي يلخّص ما سبق، يقول ﷺ: "إنّ الإيمان بالغيب و**التوحيد**[1] يشكّلان البذرة التي تتفرّع عنهما شجرة الإسلام، و**الصلاة** هي الغذاء اليومي لما يتفرّع عن هذه الشجرة من الثمار، و**الإنفاق** هو الذي يجتثّ الحشائش الضارّة من أرض القلب، ودور **الصوم** يتجلّى في ضبط أخطر الاندفاعات النفسية، فيتعوّد المسلم على ضبطها، و**الحجّ** ينمّي استسلام العبد لربّه وبقدر ما يعطي المسلم لكلّ فريضة مداها في نفسه، ومن نفسه، فإنّه يكمل بذلك تقواه؛ فالصلاة في أوقاتها، والصوم في وقته، وأداء الحجّ، ووجود الإنفاق، كلّ ذلك زادٌ للقلب، من آثاره القيام بأمر الله ﷻ في كلّ شيء، والاستقامة على أمر الله".[2]

وفيما سبق يظهر تأثّر حوّى الواضح بالإمام الغزالي، لا سيّما فيما يتعلّق بكون الآثار التربوية لأعمال الجوارح مفتقرة في وجودها إلى مرافقة الآداب القلبية اللازمة لكلّ عبادة، فمن النصوص التي عبّر بها الإمام الغزالي عن مثل هذه المعاني، قوله: " بيان المعاني الباطنة التي تتمّ بها حياة الصلاة، اعلم أنّ هذه المعاني تكثر العبارات عنها، ولكن يجمعها ستّ جمل، وهي: حضور القلب، والتفهّم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء، ..."[3].

كذلك فإنّ كتاب حوّى (المستخلص في تزكية الأنفس)، والذي تعرّض فيه لمثل هذه المعاني، هو خلاصة مستقاة من كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي.

---

[1] وقد جاء التفصيل بشأن ما يتعلّق بهذا الركن في الفصل الماضي ص45؛ لكون أعمال القلوب المكان الأليق به، والله تعالى أعلم.

[2] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج1 ص412-413.

[3] الغزالي، (**إحياء علوم الدين**)، ج1 ص161

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: النوافل

النوافل –كما سبق بيانه[1]– هي ميدان لمن أراد مزيد قربى إلى الله ﷻ، كما في الحديث الشريف: "وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه"[(2)]؛ فالحديث الشريف يبرز الأثر الأكبر للنوافل على الإجمال، وهو ارتفاع المنزلة عند الله ﷻ، وفي المسائل التالية حديث عن آثار النوافل التربوية، لا سيّما أثر قراءة القرآن الكريم كونه مصدر الهداية الأوّل.

المسألة الأولى: قراءة القرآن وتدبره

وهي من أهمّ العبادات النوافل التي ركّز حوّى على دورها في تربية الإنسان، ومن هذه الأدوار التربوية أنّ القرآن الكريم يصنع النفس البشرية بالحقّ من خلال البناء المتدرّج، وذلك بوضع الإنسان في الظرف الملائم له، وهو ظرف العبودية لله ﷻ، ثمّ إجمال المعاني وتفصيلها وعرض المعنى الواحد على طرائق شتّى من العرض[(3)]، وتكريره بشكل متجدّد، بما لم يألفه الناس ويعرفوه، وفي أعلى مستوى من البيان والإحاطة[(4)].

---

[1] وذلك صفحة 71 من هذا البحث.

[(2)] البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج5 ص2384. حديث رقم 6137.

[(3)] كذلك فإنّ طريقة عرض المعاني في القرآن على اختلافها طريقة معجزة، ويمكن التمثيل لذلك بما قاله الشيخ في كلمة أخيرة في سورة سبأ، حيث أشار إلى كيفية معالجة القرآن الكريم لقضايا العقيدة، وذلك من خلال السياق القرآني في سورة سبا؛ يقول ﷺ: "إنّ طريقة القرآن في المعالجات والعرض طريقة معجزة، والمعاني التي يعرضها القرآن هي في بابها معجزة، فأنت عندما ترى القرآن يحدّثك بأروع البيان عن حال الكافرين في الآخرة بما لا يمكن أن يخطر ببال بشر، ثم يكون بجانب هذا حديث عن أدقّ خلجات النفس البشرية، ثمّ يكون بجانب هذا حديث عن كليّات هذا الوجود وجزيئاته، ثمّ يكون كلّه مرتبطاً بمحور ضمن وحدة كلّية للقرآن؛ فإذا لم يكن هذا كلّه معجزاً فما هو المعجز؟!". حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4555.

[(4)] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2099؛ وقد أبرز حوّى أثر القرآن هذا، في إنكاره لعملية غسيل الدماغ والتي تمارسها الدول الدكتاتورية، وهي عملية تقوم "على وضع الإنسان أو الشعب في ظروف صعبة، تجعل عنده استعداداً لتقبّل ما يلقى إليه، ثمّ تبدأ عملية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتظهر أهمّية قراءة القرآن كذلك في كونه مذكّراً بالحقائق الموجودة أصلاً في فطرة الإنسان ففي قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ طه:١ – ٣، دليل على أنّ الحقائق التي يعرضها القرآن موجودة في الفطرة، والقرآن مذكّر بها ففطرة الإنسان مفتقرة إلى هذا القرآن، وأيّ شذوذ عن كتاب الله ﷻ تعذيب لهذه الفطرة وشقاء لها[1].

ومن جانب آخر فإنّ القرآن الكريم يخاطب الكينونة البشرية كلّها؛ فيسعدها كلّها، وذلك لأنّه تنزيل ممّن يعلم الجهر والسرّ وما هو أخفى من السرّ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ طه: ٧، فلا بدّ أن يكون هذا الكتاب مُسْعِداً لهذه الجوانب كلّها[2].

والقرآن تأثيره في القلوب عجيب، ومن الآيات التي تصف هذا التأثير ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ۝٢٣ ﴾ الزمر: ٢٣، لكن في المقابل يبيّن الشيخ أنّ أخْذ الإنسان من هذا القرآن متوقّف على قدر استعداده وإيمانه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ يونس: ٥٧؛ فالكافرون والمنافقون لا نصيب لهم فيه[3]، كذلك فإنّ المؤمن يرى

الإلقاء المتكرّر المتجدّد؛ حتّى تصاغ نفسية الفرد أو الشعب بالشكل الذي يريده الحاكم"، كذلك يبرز حوّى ذلك لبيان قصور نظم التربية المعاصرة.

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3343–3344.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3345.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص4871 و ج5 ص2483.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من حكمة القرآن –وهو حكيم في تربيته وتشريعه وتعليمه– بقدر نور بصيرته، وقد أُشير إلى المعنى الأخير في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ يونس:١.[1]

ومن الظواهر القرآنية التي وقف الشيخ عندها كثيراً، وأبرز دورها في التأثير على نفس الإنسان، ظاهرة التكرار في القرآن الكريم؛ وذلك ببيان أهمّيته وبعده في النفس البشرية، ومن تلك الآثار:

- أثر التكرار في تحقيق العظة لا سيّما تكرار القصص[2]، فالقصّة في القرآن الكريم في كلّ مكان ترد فيه فإنّها تخدم سياق السورة التي وردت فيها وموضوعها العامّ ومحورها في الترتيب القرآني، كذلك تأتي القصّة القرآنية في إطار تحقيق العظة، حيث إنّ من خصائص القرآن الكريم أنّه موعظة، كما في قوله تعالى: ﴿ مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ يونس: ٥٧ ؛ وذلك بأن تأتي القصّة في أكثر من موضع؛ ليأخذ التالي العظةَ من حيث تلا، مع آداء القصّة دورها في السياق الواردة فيه؛ فعلى سبيل المثال قصّة نوح ﷺ في سورة يونس خدمت سياق السورة من خلال نفي العجب من إرسال الرسول المنذِر، وذلك لأنّها جاءت في سياق ذِكْر أناسٍ يتعجّبون من إنزال الوحي وإرسال الرسول، كما في قوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾ يونس: ٢؛ فخدمت القصّة في تفنيد هذه الدعوة، وكذلك خدمت القصّة قضية كون

---

[1] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2422.

[2] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة انظر: حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج3 ص1695 و ج6 ص3153–3154 و ج7 ص3408.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن موعظة وهدى، من خلال بيان أنّ عاقبة المنذَرين رهيبة في الدنيا فضلاً عن الآخرة.[1]

- أثر التكرار في غسيل القلب، لتجلية ما ران على فطرة الإنسان، فالقرآن يذكّر بمعنى في سورة على طريقة وبأسلوب وتسلسل، وعلى طريقة وبأسلوب وتسلسل في سورة أخرى وهكذا، "فإذا وُجد **القلب الذي يحسن التلقّي عن الله ﷻ**، فإنّه لا ينتهي من تلاوة كتاب الله مرّة إلا وقد تحقّق وتعلّق، ثمّ إذا كرّر زاد التحقّق، والتعلّق حتى يُخلص الإنسان لله وكتابه وشرعه، فإذ رافق هذا عبادة، وإقامة فرائض ونوافل، كان غسيل القلب كاملاً"[2] ويمثّل الشيخ لذلك بقضية التقوى في القرآن الكريم؛ فسياق سورة البقرة يربّي على التقوى وسياق سورة آل عمران فصّل في أساس التقوى، وسياق سورة النساء يفصّل في ماهيّة التقوى، وهكذا.[3]
- كذلك فإنّ فطرة قلب الإنسان تحتاج إلى تكرار التنبيه[4]، أضف إلى ذلك أنّ بعض المعاني تحتاج النفس البشرية أن تتذكّرها ليل نهار؛ فمثل هذه المعاني وُجدت في القرآن الكريم متكرّرة بأشكال وأجراس وأحجام وطرق متعدّدة، ممّا لا ينقضي العجب فيه[5] فالموضوع يتكرّر في القرآن الكريم بحسب احتياجات تعميقه في النفس، ويتجزّأ بحسب احتياج السياق للجزء الذي ورد منه، ويتجزّأ كذلك ليذكّر الإنسان أكثر من مرّة، فالقرآن

---

[1] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2490 و ص2493-2494.

[2] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص 1268.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج2 ص1267-1268.

[4] ومن الأمثلة على ذلك ما نقله الشيخ عن صاحب الظلال ﷺ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١﴾ فصلت: ١. انظر: ج9 ص5000؛ سيّد قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج5 ص3107.

[5] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5000 و ج7 ص3607 وج2 ص1015 وص1019.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكريم إلى جانب كونه كتاب علم وحكمة وتشريع، هو كتاب تربية وتزكية وإعجاز وتوجيه للبشر في كلّ شيء.[1]

ويمكن التمثيل لما سبق من الآثار بمثال واحد يغطيها جميعاً، وهو تكرار قضية التقوى في القرآن الكريم، فقد وقف الشيخ عند هذه القضية كثيراً، وذلك مرتبط بنظريته التي سار عليها في التفسير[2]؛ فقد تضمّنت سور قرآنية كثيرة الحديث عن التقوى؛ فمثلاً جاء في مقدّمة سورة البقرة وصف المتّقين[3]، ثمّ جاءت سورة آل عمران[4] وكأنّها تفصيل لصفات المتّقين، فبدأت بـ:﴿الٓمٓ ۝١﴾، وخُتمت بقوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠ ﴾، كما بدأت الآيات التي وصفت المتقين في سورة البقرة بـ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾، وخُتمت بقوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

[1] **المرجع السابق**، ج2 ص1019.

[2] انطلاقاً من قول النبي ﷺ بشأن سورة البقرة: "إن كادت لتستحصي الدين كلّه"، يرى الشيخ أنّ كلّ المعاني القرآنية تنبثق عن معان أُجملت في سورة البقرة، وقد ربط الشيخ كلّ سورة من سور القرآن بآية أو أكثر من سورة البقرة، شكّلت هذه الآيات محاوراً لسور القرآن، وذلك راجع لارتباط المعاني الواردة في السورة بمعنى المحور الذي ارتبطت فيه، فعلى سبيل المثال يرى حوّى أنّ سور الحجر والنحل والإسراء والكهف ومريم، جاءت تفصّل في حيّز قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٠٨ ﴾ البقرة: ٢٠٨؛ فخدمت في موضوع الدخول في السلم كافّة، وللتوضيح يمكن الاطّلاع مثلاً على ما يتعلّق بسورة النحل في هذا الشأن: انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2963 و ص2989.

أمّا عن البعد التربوي في نظرية الشيخ هذه، فقد ظهر لي أنّ القضية التربوية –على سبيل المثال قضية التقوى–، قد تمّ معالجتها وتوضيحها من خلال الحديث في مقاطع السور –حيث قُسمت كلّ سورة إلى أقسام و مقاطع بحسب حجمها–، وفي خاتمة كلّ مقطع يعرض حوّى ملخص ما ورد في المقطع، ثمّ يبيّن الرابط بين المعاني الواردة، ومحور السورة من سورة البقرة، والمحاور المتعلّقة بقضية التقوى من سورة البقرة، هي: مقدّمة السورة الآيات [1–5]، والآيات [21–25]، ويوضّح حوّى هذه الصلة ضمن حديثه عن السياق العامّ للآيات؛ إذ أنّه لم يُغفل الحديث عن السياق الخاصّ للسورة، وهكذا قل في سائر السور.

[3] وذلك في الآيات [1–5].

[4] من الأمور التي فصّلتها سورة آل عمران ممّا أجمل في مقدّمة سورة البقرة، ما يتعلّق باهتداء المتقين بالكتاب؛ فالاهتداء الكامل بالكتاب هو لأولي الألباب، وعرّفت السورة من هم أولو الالباب، كما في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾، وبيّنت أنّ الاهتداء بالكتاب يدخل فيه التسليم للمتشابه، والعمل بالمحكم، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ ﴾ آل عمران: ٧. انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص974.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾، أمّا سورة النساء ففصّلت في الطريق للتحقّق بالتقوى والإيمان والعمل الصالح بالمفهوم الأوسع؛ فقد وضّحت السورة التقوى وما يدخل فيها في مقاطعها كلّها، فهي بشكل عامّ قد فصّلت في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ البقرة: ٢١[1]، وقد كانت هذه الآية وما يتلوها محوراً أيضاً لعدد من السور القرآنية، والتي فصّلت في قضية التقوى بأشكال أخرى، ومن ذلك سورتا هود والحجّ[2]، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلّ على ضخامة معنى التقوى في الإسلام[3]، ودور تكرار هذا المعنى وتجزئته في تحقيق الأغراض سابقة الذكر.

والعرض السابق للتقوى من خلال سور القرآن الكريم يندرج تحت تفصيل الشيخ لنظريته في الوحدة القرآنية، والتي أشرت إليها في حديثي في الفصل الأوّل عن كتاب الأساس.

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص1266-1270.

[2] حيث إنّ الأمر بالعبادة للوصول إلى التقوى في سورة البقرة كان مرفقاً بالتعريف على الله ﷻ، كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢، وقد فصّلت سورة الحجّ في قضية التقوى من خلال جزء المعرفة؛ فقد ركّزت السورة على معرفة الله كثيراً، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الآيات التالية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ الحج: ٣، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾ الحج: ٨، ﴿ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ الحج: ٥، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝٦٣﴾ الحج: ٦٣، ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٦٥﴾ الحج:٦٥. انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3608؛ أمّا سورة هود فقد فصّلت في قضية التقوى من خلال جزء العبادة، وما يدخل فيها، وما ينبثق عنها، وما هي عاقبة أهلها وعاقبة المعرضين عنها، على نسق عجيب تلتقي فيه البدايات والأواسط والنهايات؛ فبدايتها بيان أن عبادة الله وحدة هي الحكمة من إنزال القرآن على ما هو عليه ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، ووسطها بيان لفحوى دعوة الأنبياء وهو عبادة الله وحده ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾، وخاتمتها أمر بالاستقامة والعبادة ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝١١٢﴾. انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2611 و ص2615.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3607.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج الشيخ سعيد حوّى في مدارسة القرآن الكريم:

يبيّن حوّى أنّ منهجه في مدراسة القرآن الكريم مع إخوانه كان بقراءة قدر من القرآن الكريم ثمّ التعرّف على مفردات القرآن في ذلك القدر، ثمّ الوقوف عند الأوامر والنواهي، ويتلو ذلك وقوف عند الأحكام الفقهية، وذلك عند المرور على آيات الأحكام، وأخيراً كانت الوقفات الطوال مع بحث الأخلاق –أخلاق متّقين أو كافرين أو منافقين– فيما تمّ مدارسته من القرآن الكريم.[1]

المسألة الثانية: **الذكر**

يستشهد الشيخ بقول الإمام القرطبي ﷺ: "أصل الذكر التّنبّه بالقلب للمذكور، والتيقّظ له وسمّي باللسان ذكراً لأنّه دلالة على الذكر القلبي، غير أنّه لمّا كثُر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم"[2]، و من الآثار التربوية التي يتركها الذكر في نفس الذاكر لله ﷻ؛ أنّ الذكر يؤهل صاحبه للانتفاع بالذكرى كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ هود: ١١٤، كذلك فإنّ لذكر الله ﷻ أكبر الأثر في نهي النفس عن الفحشاء والمنكر والصلاة هي أعظم الذكر، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6251.

[2] القرطبي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ)، **(الجامع لأحكام القرآن)**، حقّقه أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ–1964م، ط2، 20 جزءاً. ج2 ص171.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2608، ج8 ص4231–4232.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويلاحظ الشيخ أنّ الأمر بالعبادة في القرآن الكريم، يتْبعه أمر بذكر الله ﷻ؛ فكلّ شيء في القرآن الكريم جاء من أجل تحقيق مقصد العبادة، والذكر مرافق لهذا المقصد؛ لا سيّما ذكْر الاستغفار، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ هود:٢ – ٣، وفي هذا ملحظ تربوي؛ وهو أن يستشعر العبد قصوره بعد أداء العبادة، ويحمي نفسه من العجب؛ فيبقى في عبادة دائمة، فلا أحد يقوم بحقّ الله في العبادة حقّ القيام[1]، ومن الأمثلة على ذلك، الأمر بالذكر بعد قضاء مناسك يوم النحر، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرٗا﴾ البقرة:٢٠٠.[2]

أمّا عن هيئة الذكر وما يدخل فيه، فيبيّن حوّى أنّ أذكار النبي ﷺ ودعواته أعظم تطبيق لمعاني العبودية، وأعظم تحقيق لأوامر الله ﷻ، وفيها أعظم تجسيد للمعاني الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: "اللهمّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ"[3]، وأمّا عمّا يدخل فيه، فيبيّن الشيخ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ المنافقون: ٩، يبيّن ﷺ أنّ الذكر يدخل

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2533 و ج1 ص469.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص473؛ ومن ذلك أيضاً ما جاء في الآيات التالية: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩﴾ البقرة: ١٩٩، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ﴾ النساء:١٠٣، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ الجمعة:١٠.

[3] البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب القدر، باب لا مانع لما أعطى الله، ج6 ص2439، حديث رقم: 6241.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيه الفرض كالصلوات الخمس، و المندوب كالسنن الرواتب، وقراءة القرآن وغير ذلك من الأذكار التي تجري على اللسان، ويبيّن أنّ النهي في الآية الكريمة أوّل ما ينصبّ على الانشغال عن الفرائض.[1]

وقد كان من منهج الشيخ في حديثه عن الذكر، الاستعانة بالحديث النبوي؛ لاسيّما فيما يتعلّق بفضائل الأذكار[2]، وذلك عند تفسيره للآيات المتعلّقة بذكر ما[3]، كالاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ويأتي ذلك في إطار بيان أهمّية الذكر، ولفت نظر القارئ إلى تلك الأهمّية، وما يتبع ذلك من أثر في التطبيق العملي، ومن ذلك ممّا يتعلّق بالاستغفار، قوله ﷺ: "من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم، وأتوب إليه، غُفر له، وإن كان قد فرّ من الزحف"[4]، وقد جاء ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾ البقرة: ١٩٩.[5]

وفي الفصل الأخير مزيد حديث عن أهمّية الذكر لطالب التزكية، وذلك في مبحث وسائل التزكية.

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5935.

[2] وقد اعتمد الشيخ في نقل الأحاديث المتعلّقة بفضائل الأذكار على تفسير ابن كثير؛ وللاطّلاع على بعض تلك المواضع، انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2581، و ج8 ص4215 و ص4450 و ص4451 و ص4477، وج9 ص4905.

[3] مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦، ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ٥٣﴾الزمر:٥٣.

[4] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ)، **(سنن أبي داود)**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون، 4 أجزاء. كتاب الوتر، باب في الاستغفار، ج1 ص560، حديث رقم: 1519، حكم الألباني على الحديث: صحيح.

[5] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص469.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الثالثة: التفكّر

إنّ للمؤمن إحساساته الإيجابية بظواهر هذا الكون؛ فيرى في الكون ما لا يراه الكافر، وثمرة تلك الرؤية تتجلّى بخشية أو ذكر أو دعاء أو أُنس وغير ذلك[1]، وقد أشار حوّى إلى ذلك في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ الرعد: ١٣، وما ذكره حوّى يدلّ على عظيم الأثر التربوي الذي يتركه التفكّر في الإنسان؛ فأَثَرُ الكون في العقل، حَرَّكَ القلب بخشية وأنس وحَرَّكَ الجوارح بذكر ودعاء.

كما أنّ الأثر الأعظم للتفكّر يتمثّل في كون النظر العقلي في الكون يدلّ على الله ﷻ، فالله ﷻ "يمنّ على الإنسان بما خلق، ممّا يثير إحساسات المشاعر الجمالية، التي هي نعمة من نعمه، فأَنْ يخلق كلّ شيء للإنسان، وأَنْ يخلق هذا الإنسان بحيث يستفيد من هذا الكون بكلّ أنواع الاستفادة من الإحساس بجماله إلى غير ذلك، فهذا كلّه يدلّ على الله بشكل قطعي"[2]، فظواهر الكون تدلّ العبادَ على الله ﷻ وصفاته بمحض التفكر، والآيات الكونية تتفق تماماً مع الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ البقرة: ٢١٩.[3]

ومن الآثار التي يتركها التفكّر في سلوك صاحبه بعد معرفة الله ﷻ الفرار إليه؛ ففي سورة الذاريات بعد ذكر عدد من الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2747

[2] **المرجع السابق**، ج6 ص2919.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص602.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٤٧ ﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿ ٤٨ ﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ ﴾ الذاريات: ٤٧-٤٩، جاء قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الذاريات: ٥٠؛ فرؤية الآيات تقتضي الفرار إلى الله ﷻ وعدم الإشراك به.[1]

كذلك فإنّ من يقرأ الكون باسم الله ﷻ، موعود بالإكرام العظيم وبمزيد من العطايا والعلوم وقد أشار حوّى إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿ ١ ﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿ ٢ ﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿ ٣ ﴾ ﴾ العلق: ١ – ٣.[2]

وقد كان من منهج حوّى في تفسيره للآيات المتعلّقة بموضوع التفكّر الإحالة على كتابه (الله ﷻ)، وقد بيّن حوّى في مقدّمة كتابه هذا أنّ الطريق إلى معرفة الله ﷻ هي آثاره الدالّة عليه وهذه الآثار هي: الكون ، والقرآن، والمعجزات والكرامات، وقد خصّص كتاب (الله ﷻ) لموضوع الظواهر الكونية[3] وحسب، وذلك من حيث دلالتها على الله ﷻ، وكيف أنّ هذه الظواهر كافية وحدها للدلالة على الله ﷻ.[4]

ويشير حوّى في كتابه آنف الذكر إلى أهمّية الفكر إلى جانب العقل والعلم في الاستفادة من آثار الله ﷻ الدالّة عليه؛ فيقول ﷺ: "إنّ الطريق إلى الله ﷻ هي آثاره التي تدلّ عليه، وهي طريق وحيد، والعقل والفكر والعلم شروط أساسية لسالك هذا الطريق؛ إذ بدون عقل لن نَعرف

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5532 و ص5744.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص6601.

[3] ويتطرّق في كتابه هذا إلى تسع ظواهر كونية كنماذج على الظواهر الكونية الكثيرة، هذه الظواهر هي: ظاهرة حدوث الكون، ظاهرة الإرادة، ظاهرة الحياة، ظاهرة الإجابة، ظاهرة الهداية، ظاهرة الإبداع، ظاهرة الحكمة، ظاهرة العناية، ظاهرة الوحدة.

[4] انظر: حوّى، سعيد بن ديب (1989م)، **(الله ﷻ)**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1410هـ-1990. ص8-9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية، وبدون فكر لن يُعرف صاحبها، وبدون علم لن تكون معرفة للآية أو لصاحبها"[1]، وفي ذات السياق يشير إلى أنّ القرآن الكريم قد لفت بشكل واضح وكبير للعقل والفكر والعلم والآثار، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ الأحقاف: ٤، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الرعد: ٤، وقوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ النحل: ١١، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ الذاريات: ٢٠ – ٢١، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ يونس: ١٠١، وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ سبأ: ٦؛ فالإسلام يفرض على المسلم أن يفكّر وأن يتعلّم، فالفكر والعلم جزءان من شخصية المسلم.[2]

وقد وقف حوّى في تفسيره على بعض الظواهر الكونية، كظاهرة الهداية، وذلك في مواطن عدّة؛ منها ماجاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ النور: ٣٥، فقد نقل حوّى عن ابن عباّس ﷺ قوله من أنّ معنى ذلك هو "هادي أهل السماوات والأرض"[3]، ويحيل في ذلك

---

[1] **المرجع السابق**، ص17.

[2][2] انظر: حوّى، **(الله ﷻ)**، ص9، وص17-18.

[3][3] ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج6 ص57؛ وانظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3772-3773.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقام إلى كتاب (الله ﷻ) للتوسّع في ظاهرة هداية الله ﷻ، وقد سرد حوّى في ذلك الكتاب أمثلة تبين مظاهر الهداية لبعض مخلوقات الله ﷻ [1]، كذلك فقد بيّن ﷺ أنّ ظاهرة الهداية تعمّ مخلوقات الله جميعاً، الحسّية والمعنوية، وممّا قاله بهذا الشأن: "لقد خلق الله كلّ شيء، حسّياً كان أو معنوياً من الأخلاق الفاسدة إلى الأخلاق الحسنة، إلى الإنسان، إلى الوجود كلّه، وأعطى كلّ شيء هدايته فالكبر مهتد إلى طريقه، وكذلك الحسد، وكلك الضلال، وكذلك كلّ نوع من أنواع الضلال، وكذلك الهداية، وكذلك أعواد شجر العنب التي تلتفّ حول أيّ شيء تصادفه، وكذلك الشمس، وكذلك القمر. وبالنسبة للإنسان خاصّة: ذاته، ونفسه، وجسمه، وكلّ شيء فيه مهتد إلى طريقه إذا ترك على سجيّته، ولكنّ هذا الإنسان بما أُتي من ملكات أهّلته للتكليف، جُعل الخير والشرّ له فتنة: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥، ونتيجة لهذا، فُرض عليه أن يحاول التغلّب على كثير من ميوله ورغباته وأهوائه وشهواته، وأن يكيّف ذاته حسب هدى معيّن، حَدّه له الوحي الإلهي ليقوم بدوره على هذه الأرض ضمن طريق مخصوص". [2]

كذلك فقد كان من منهج حوّى في الحديث عن الآثار التربوية للتفكّر الإكثار من النقل عن صاحب الظلال؛ فقد أبدع سيّد قطب ﷺ بأسلوبه الأدبي الراقي في وصف المشاهد الكونية بما يستثير العقل والقلب معاً، ومن مواطن النقل عن قطب ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يونس: ٦٧ ، يقول صاحب الظلال: "والمنهج القرآني يستخدم المشاهد الكونية كثيراً في معرض الحديث عن قضية الألوهية والعبودية

[1] من ذلك ظاهرة هداية الطفل للرضاعة من أمّه، وهداية الدجاجة لتقليب بيضتها، وكذلك ما نقله حوّى عن كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) من أنّ الجراد البالغ من العمر سبعة عشر عاماً في ولاية نيوانكلاند، يغادر شقوقه تحت الأرض حيث عاش في ظلام مع تغيير طفيف في درجة الحرارة، ويظهر بالملايين في 24 أيار من السنة السابعة عشرة تماماً، بحيث يضبط مواعيده للظهور في اليوم تقريباً بهداية يعجز عنها الإنسان لولا أنّه يستعمل "التقويم". انظر: حوّى، (الله ﷻ)، ص70-73.

[2] **المرجع السابق**، ص77.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك أنّ هذا الكون بوجوده وبمشاهده، شاهد ناطق للفطرة، لا تملك لمنطقه رداً، كذلك يخاطب الناس بما في علاقتهم بهذا الكون من تناسق، وهم يجدون هذا في حياتهم فعلاً؛ فهذا الليل الذي يسكنون فيه، وهذا النهار الذي يبصرون به، هما ظاهرتان كونيّتان شديدتا الاتّصال بحياتهم وتناسق هذه الظواهر الكونية مع حياة الناس يحسونه هم– ولو لم يتعمّقوا في البحث و"العلم"– ذلك أنّ فطرتهم الداخلية تفهم عن هذا الكون لغته الخفية! ... وهي لغة متجدّدة بتجدّد المعرفة وكلما ارتقى الناس في المعرفة كانوا أقدر على فهمها، متى تفتّحت قلوبهم بالإيمان ونظرت بنور الله في هذه الآفاق!".[1]

المطلب الخامس: منهيات الجوارح

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأهواء والشهوات

إذا كان الحديث عن منهيّات الجوارح يأخذ طابعاً تربوياً، فإنّ التركيز على موضوع الأهواء والشهوات له أهمّيته التي لا تُغفل في هذا المقام، حيث أشار حوّى إلى أنّ الشهوات الحسيّة والمعنوية هي باب الخطيئة؛ فحرص آدم ﷺ على الخلود واستجابته لشهوة الطعام كانا سبب الخطيئة، وهذا شأن الإنسان في كلّ العصور، تحكمه أحد شهوتين؛ إمّا شهوة العزّ والرئاسة، أو شهوة الفرج والبطن، وقليل هم السالكون في طريق الله ﷻ، فالإنسان في طبعه لا يريد أنّ يقيّد هواه وشهوته، بل يعادي الحقّ لذلك، ويعينه على هذا الفرار من التكليف تصوّر عدم قدرة أحد عليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ البلد:٥. [2]

---

[1] قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج3 ص1805؛ حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2489.

[2] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص122، ج11 ص6266 و ص6529.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن جانب آخر فإنّ نهي النفس عن الهوى، إلى جانب خوف الله ﷻ هما ركنا النجاة من النار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٤٠ – ٤١.[1]

والأصل أن يكون الهوى تابعاً لما جاء في كتاب الله ﷻ، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧، يبيّن الشيخ أنّ أهل الكتاب خالفوا هذا الأصل، فأرادوا أن يكون شرع الله ﷻ تابعاً لأهوائهم وفي هذا المقام يشير الشيخ إلى الواقع المعاصر للمسلمين من هذا الأصل، فكثير من المسلمين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم، ويكذّبون فيما سوى ذلك، وقد يقتلون الدعاة إليه إن كان لهم سلطان، حتى صار تبيين الإسلام كما هو مهمة عسيرة على العلماء المخلصين، لكثرة مسايرة المدعوين للأهواء.[2]

ومن منهج الإسلام في ضبط الغرائز والشهوات، تشريع الأحكام التي تضبط تلك الشهوات في نفس الإنسان، ومن الأمثلة على ذلك تشريع أحكام الزواج وأحكام غضّ البصر وحفظ الفروج وستر العورات، وذلك فيما يتعلّق بقطع الذريعة إلى الزنا، وهو ما عبّر عنه قطب بالحيلولة دون الاستثارة، وإبقاء الدوافع الفطرية سليمة، وسورة النور من أوضح السور في تجلية هذا المنهج

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص6363.

[2] **المرجع السابق**، ج1 ص184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ النور: ٣٠.[1]

المسألة الثانية: أبعاد تربوية لبعض منهيّات الجوارح

في تفسير حوّى للآيات التي اشتملت على ما يدخل في منهيّات الجوارح من المعاصي والكبائر والأخلاق المذمومة، اشتمل التفسير على تفصيل في الأحكام الفقهية؛ لا سيّما فيما يتعلّق بالقصاص والحدود كالزنا والخمر السرقة، ولم تخلُ بعض المواضع من الإشارات التربوية ومن ذلك:

- الإقبال على ما حرّم الله ﷻ دليلٌ على فساد الفطرة؛ ففي قوله تعالى إخباراً عن النبي ﷺ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ الأعراف: ١٥٧، إعلان بأنّه لم يُحرَّم على هذه الامّة إلا ما هو خبيث مستقذَر عافته الفطرة السليمة؛ فلو أنّ نفساً لم تستقذر البول والغائط وأقبلت عليهما في الأحوال العادية، لم يدلّ ذلك إلا على فساد فطرتها، فكذلك من يقبل على أكل الخنزير، وشرب الخمر، وغير ذلك ممّا حرّم الله ﷻ، فكلّ ذلك يدلّ على فساد فطرة المقبل، فضلاً عن مجاوزته لحدود الله ﷻ الذي له حقّ التشريع، وقد تكون الحكمة في تحريم بعض الأمور إبقاء التركيب الفطري للإنسان على سلامته.[2]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3734؛ سيّد قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج4 ص2511.

[2] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص374-375.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- النفس التي تقبل الربا هي نفس جشعة مستغلّة؛ ففي تفسير حوّى لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ ﴾ البقرة: ٢٧٨، يبيّن أنّ الاقتصاد الإسلامي يربّي ضمير الإنسان، وبقدر ما يدلّ الإنفاق على النفس الزكية، يدلّ الربا على النفس الشريرة الجشعة المستغلّة، ومن جانب آخر يشير إلى ما ذكره صاحب الظلال من أنّه لا بدّ أن يكون في عقيدة كلّ مسلم استحالة أن يكون فيما حرّمه الله شيء يتوقّف عليه قيام الحياة البشرية وتقدّمها، واستحالة أن يكون هناك شيء خبيث هو حتمي لقيام الحياة وتقدّمها، فإن كان شيء من ذلك؛ فإنّما هو ناتج عن سوء التصوّر وسوء الفهم؛ فاستحالة تصوّر قيام النظام الاقتصادي العالمي على أساس غير الأساس الربوي ليس سوى وهم.[1]

وبعدُ، فقد حاولت فيما سبق توضيح ملامح تربية جوارح الإنسان في القرآن الكريم من خلال تفسير الأساس، واستكمالاً للحديث عن تربية الإسلام للإنسان، أتطرّق في المبحث التالي للحديث عن منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية أخلاق الإنسان وآدابه وعلاقاته من خلال ما استنبطه من القرآن الكريم، والله المستعان.

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص630 و ص659؛ سيّد قطب **(في ظلال القرآن)**، ج1 ص322-323.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

منهج الشيخ سعيد حوّى في التربية الأخلاقية والاجتماعية

تمهيد

يأتي الحديث عن الأخلاق بعد الحديث عن تربية القلب والجوارح، لكون الأخلاق ثمرة ما سبق، ومن إشارات حوّى إلى ذلك، ما ذكره من كون التذكير بالآيات يستتبع عند المؤمنين سلوكاً، وأنّ السلوك النظيف أثر عن العبادة[1]، كذلك فإنّ تربية أخلاق الإنسان جزء لا بدّ منه في الحديث عن تربية الإنسان؛ ذلك لأنّ التخلّق بمكارم الأخلاق أحد منطلقات الهداية، بل إنّ استحقاق الإنسان للهداية يكون بقدر تحقّقه بصفات أهل الخير[2]، فلا يمكن إهمال هذا الجانب من الإنسان، "والقرآن الذي دلّ الإنسان على طريق الهدى، دلّه من جملة ما دلّه على الطريق الذي يكون به المسلم هو الإنسان الأعلى في هذا الوجود، تطلّعات وأخلاقاً وقيماً ومبادئ وأهدافاً، وكما ربّاه على الكمال في الأخلاق الفردية، ربّاه على الكمال في الأخلاق الجماعية بحيث يكون عضواً كاملاً في أمّة كاملة، كما ربّى هذه الأمّة على الكمال في كلّ شيء".[3]

وللتفصيل فيما سبق، وما يتبع ذلك من الحديث عن الآداب والعلاقات، أخصّص المطلب الأوّل من هذا المبحث للحديث عن أخلاق الإنسان وآدابه، وفي المطلب الثاني حديث عن علاقات الإنسان الأسرية والأخوية والمجتمعية.

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2597، وج8 ص4644.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2092، ج5 ص2750.

[3] **المرجع السابق**، ج9 ص5440.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأوّل: التربية الأخلاقية

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تربية الأخلاق

إنّ الوحي لا بدّ منه لتهذيب الطبيعة البشرية، وقد بعث الله ﷻ لهذه الأمّة رسولاً بوحي ومعه أشرف الكتب، يهدي للتي هي أقوم، وبقدر ما تُبنى هذه الأمّة على ضوء المعرفة الصحيحة لكتاب الله ﷻ تكون سائرة في طريق بناء الإنسان الصحيح؛ لأنّ الله منزّل القرآن هو الأعلم بالإنسان.[1]

وقد بنى حوّى نظريته في الأخلاق على آية في كتاب الله ﷻ؛ فيرى ﷺ أنّ الأخلاق الأساسية الجامعة في الإسلام هي ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ المائدة: ٥٤ – ٥٦؛[2] ولتوضيح ذلك يحيل على كتابه (جند الله ثقافةً وأخلاقاً)[3]، وفيما يلي إجمال لأهمّ ما جاء في الكتاب ممّا يتعلّق بموضوع الاخلاق الجامعة في الإسلام.

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3050–3051، ج7 ص4124، ج11 ص6517.

[2] يرى ابن كثير ﷺ أنّ هذه الآيات فيها صفات المؤمنين الكُمّل؛ انظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج3 ص136.

[3] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1431.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظرية الشيخ سعيد حوّى في الأخلاق: في حديث حوّى في القسم الثاني من ذلك الكتاب وضّح أنّ الأخلاق الأساسية في الإسلام كثيرة، ولكن عند تتبّعها وُجد أنّ كثيراً من الأخلاق التي ذكرت في الكتاب والسنّة، تتفرّع عن أصل جامع، وقد اتّجه البحث عن هذه الأخلاق، في سبيل الوصول إلى هذه الأصول الجامعة التي تتفرّع عنها كلّ الأخلاق الأخرى، وبعد التتبّع وصل ﷺ إلى نتيجة مفادها أنّ أمّهات الأخلاق التي تتفرّع عنها كلّ الأخلاق الإسلامية، هي التي وصف الله ﷻ بها حزبه في القرآن الكريم؛ فما من خُلق في الإسلام إلّا ويرجع إلى صفة من هذه الصفات.[1]

وقد وقف حوّى على المواضع التي ورد فيه ذِكْر كلمة (حزب الله) في القرآن الكريم فكانت موضعين؛ أحدهما في سورة المائدة في الموضع السابق، والآخر في سورة المجادلة[2] في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢، وقد برهن على أنّ الصفات المذكورة هي صفات حزب الله[3]، وهذه الصفات هي:

- المحبّة، لقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾
- الذلّة على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

---

[1] انظر: حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، **(جند الله ثقافة وأخلاقاً)**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1413ه-1992م. ص191.

[2] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5797.

[3] وذلك لأنّ آيات سورة المائدة المذكورة قد ابتدأت بذكر الردّة، وانتهت بذكر الغلبة، وتوسّط ذلك حديث عن القوم الذين واجهوا الردّة فاستحقّوا الغلبة، فهم حزب الله. انظر: حوّى، **(جند الله ثقافة وأخلاقاً)**، ص192.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- العزّة على الكافرين، لقوله تعالى: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾
- الجهاد، لقوله تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾
- الولاء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾

أمّا سورة المجادلة فقد أشارت إلى الصفة الأخيرة فحسب، على اعتبار أنّها ذروة صفات حزب الله[1]، "فلا يكون الإنسان من حزب الله ﷻ إلّا إذا صفت مودته، وصفى ولاؤه للمؤمنين وحجب ولاءه ومودّته عن الكافرين والمنافقين والفاسقين".[2]

وما من خُلق ذُكر في القرآن الكريم، إلّا ويرجع لأحد الأخلاق المذكورة في الآيات السابقة[3]؛ فالتقوى مثلاً مرجعها إلى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ التوبة:٤، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرجعه إلى قوله تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾، وهكذا.

ويبيّن ﷺ أنّ البناء الأخلاقي للمسلم لا يُستكمل إذا فقد واحداً من الأخلاق الإسلامية الجامعة، كما أنّ إحياء هذه الأخلاق مجتمعة هو الطريق الوحيد للقضاء على الردّة أو شبه الردّة الحالية المنتشرة في العالم الإسلامي، ويذكر من أشكال تفريط المسلمين بهذه الأخلاق، تضخيم خُلق من هذه الأخلاق، وتصغير خلق آخر، مع أنّهما قد يكونان سواء في ميزان الإسلام، بل

---

[1] انظر: حوّى، **(جند الله ثقافة وأخلاقاً)**،ص193-194.

[2] **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5797.

[3] وقد عقد حوّى في كتابه آنف الذكر فقرة لكلّ صفة من هذه الصفات، تحدّث فيها عن ما تغذيه كلّ صفة، وما يدخل فيها من أخلاق، وبيّن فيها أنّ كلّ الأخلاق الإسلامية ترجع إلى هذه الصفات الخمس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحتّى الأخلاق التي نالت الحظّ الأكبر من الاهتمام لم تُفهم الفهم الصحيح المستوعب لكلّ جوانبها، فكان عاقبة ذلك أن ضاع كثير من أمّهات الأخلاق الإسلامية ونسيانها؛ ممّا أدّى إلى فقدان الشخصية الإسلامية لجمالها، وكمالهما، وتناسق سلوكها وتكامله.[1]

والتفريط هذا أدّى إلى البون الواسع بين شخصية المسلم في القرون الأولى، وشخصيته فيما تلا من العصور؛ فالمسلم الأوّل تجسّدت فيه كلّ أخلاق الإسلام، في حين أنّ المسلم المعاصر فيه جوانب من الإسلام متضخّمة، وفي المقابل قد فرّط في جوانب أخرى، فهناك عالِم لا يعرف القتال، وفي المقابل مقاتل لا يعرف الله ﷻ، وهكذا ضاعت الشخصية الإسلامية النموذجية التي يفترض أن يكون عليها كلّ مسلم.[2]

وهذه النظرة التكاملية عند الشيخ في موضوع الأخلاق والشخصية النموذجية الإسلامية جديرة بالتدبّر، وبحث واقعها العملي والتطبيقي على مستوى الفرد والجماعة المسلمة؛ حتّى يُستكمل البناء الأخلاقيّ للشخصية الإسلامية، فتكون عضواً كاملاً في أمّة كاملة، متّصفة بما وصف الله ﷻ به حزبه في كتابه العزيز، عندها تنال الغلَبة والفلاح.

ومن ضمن الجوانب المهمّة في حديث الشيخ عن الأخلاق في تفسيره الإشارة إلى أخلاق الجماعة المسلمة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

[1] انظر: حوّى، **(جند الله ثقافة وأخلاقاً)**، ص189 وص192.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ص190.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح: ٢٩، فالصفات المذكورة في الآية الكريمة هي صفات من يستأهل الغلبة والنصر والرعاية، فلا بدّ لكلّ مسلم أن يأخذ حظّه ممّا ورد فيه؛ من الإيمان والعمل الصالح والوحدة والتلاحم والتفاني ووضاءة الوجوه من أثر العبادة والركوع والسجود، كذلك الرحمة على المؤمنين، والشدّة على الكافرين.[1]

هذا وقد كان لحوّى في تفسيره وقفات عند أفراد الأخلاق كالعدل والتواضع والأمانة وغير ذلك من الأخلاق، وكان من منهجه في الحديث عن ذلك يتجلّى في ذِكْر فضائل تلك الأخلاق وإردافها بالآثار التي تثريها، معتمداً في ذلك على ما ذُكر في تفسيري ابن كثير والنسفي من المرويات، وفي بعض الأحيان يذكر حال الأمّة من الأخلاق المذكورة، ومن الأمثلة على ذلك[2]:

ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ النور:٣٣، يذكر حوّى خُلق العفّة، ويفصّل في الطرق المؤدّية إلى بلوغه؛ كالصوم والتفكر والذكر، والبعد عن المهيّجات كالنظر وغير ذلك، وبمناسبة هذه الآية ينقل حوّى عن ابن كثير وغيره مجموعة من المرويات للتفصيل في موضوع العفّة، ومن ذلك قول النبي ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[3]، وذلك في سبيل بيان الطرق المؤدّية للعفّة.[4]

---

[1] انظر: حوى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5387.

[2] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة؛ انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص450 ج2 ص1090، ج3 ص1325 ص1609، ج7 ص3713 و ص3719 ، ج8 ص4428 و ص4488 و ص4710 و ص4720، ج9 ص5130 .

[3] البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ (من استطاع منكم الباءة فليزوج)، ج5 ص1950، حديث رقم: 4778.

[4] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3735، وص 3764

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبمناسبة قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ آل عمران: ٧٥ – ٧٧، يقول حوّى: "ممّا مرّ معنا ندرك أنّ من أخلاق المسلمين أداء الأمانات إلى أهلها في كلّ الظروف، والوفاء بالعهد، والصدق في اليمين، ولقد تساهل بعضهم في هذه المعاني بسبب من ظروفنا الصعبة، وبسبب من عموميات فهموها والذي نقوله: إنّ المسلم لا يصدر في كلّ عمل إلّا عن فتوى بصيرة من أهلها، وحالات الضرورة والاضطرار تقدّر بقدرها، وما يعتبر أمانة أوغير أمانة، وما يعتبر حقّاً للمسلم، أو غير حقّ، وما يعتبر إكراهاً أو غير إكراه، وما هو ملزم من الإيمان، وما ليس ملزماً بسبب من الإكراه، إلى غير ذلك من أمور، كلّه تحكمه –كما قلنا– الفتوى البصيرة من أهلها".[1]

ومن خلال قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ آل عمران: ١٣٤، يبيّن أنّ خلقي كظم الغيظ والعفو من أخلاق المتّقين، فهم لا يُعمِلون غضبهم في الناس، ويحتسبون ذلك عند الله ﷻ، ومع كفّ الشرّ يعفون عمّن ظلمهم؛ فلا يبقى في أنفسهم وَجْد على أحد، وهذا أكمل الأحوال

[1] **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص807.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو من مقامات المحسنين، ومن فضائل التحقّق بكظم الغيظ ما جاء في حديث النبي ﷺ: "من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره في أيّ الحور شاء".[1]

المسألة الثانية: آداب المعاملة

إنّ أبرز ملامح حديث الشيخ عن الآداب هو الإجمال في ذلك، والإشارة إليها من خلال كلامه في سياق السور، كذلك فقد اعتمد على أقوال العلماء، والآثار المروية في إثراء تلك الآداب، والتي كان أغلبها عن ابن كثير ﷺ.

ومن السور التي برز فيها الحديث عن الآداب، سورة النور؛ فقد ذكر حوّى أنّ هذه السورة قد اشتملت على أمّهات من القضايا الاجتماعية والسلوكية والإيمانية والأخلاقية، ذات أثر كبير على المجتمعات البشرية[2]، وممّا اشتملت عليه سورة النور فيما يتعلّق بموضوع الآداب، مايلي:

ذكرت السورة آداب الاستئذان؛ فنهت عن دخول بيت الآخرين إلا بإذن، وأمرت الأرقّاء والأطفال أن يستاذنوا على أهليهم في ثلاث أوقات، أمّا الكبار فالاستئذان في كلّ حال، كما ذكرت آداب المسلم مع المساجد، وذكرت خصائص روّاد المساجد، وأذنت للإنسان أن يأكل من بيوت محدّدة، كذلك حدّدت بعض آداب المسلمين في اجتماعاتهم، وأمرت بالأدب الكامل مع الرسول ﷺ، وغير ذلك من الآداب.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص879 و ص882؛ والحديث رواه الترمذي، **(سنن الترمذي)**، كتاب البرّ والصلة، بابٌ في كظم الغيظ، ج4 ص372، حديث رقم: 2021، وحكم الترمذي على الحديث: حديث حسن غريب.

[2] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3683.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3826-3827.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أعظم السور التي تحدّثت عن الآداب سورة الحجرات؛ حيث وجّهت المسلم نحو مجموعة كبيرة من الآداب، منها: عدم التقدّم بين يدي الكتاب والسنّة برأي أو قول أو فعل وخفض الصوت عند رسول الله ﷺ، كذلك أمرت السورة بامتحان خبر الفاسق وعدم التسرّع في البناء عليه، والإصلاح بين المؤمنين، وردّ الباغي عن ظلمه، ولو بالقتال إن أصرّ على الظلم وأمرت كذلك بالعدل في الإصلاح، وإعطاء المؤمنين الإخاء، ونهت عن السخرية بأهل الإيمان وطعن أهل الإيمان، والتنابز بالألقاب، وأمرت باجتناب الظنّ السيء بأهل الخير بدون مبرّر وترك التجسّس وبخاصّة على أهل الحقّ لأهل الباطل، ونهت عن الغيبة، والتفاخر في الأحساب والأنساب والقوميّات، ونهت كذلك عن ادّعاء الإيمان، وغير ذلك من الآداب.[1]

ويرى حوّى أنّ هذه السورة هي سورة الآداب الإسلامية، للأهمّية البالغة لتلك الآداب؛ فلا بدّ للمسلم من دراسة هذه السورة، ودراسة حيثيّات الآداب المذكورة فيها.[2]

ولم يخلُ تفسير الشيخ أيضاً من اللفتات التربوية المتعلّقة بالآداب في ثنايا تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك[3]:

ممّا يتعلّق بآداب الحوار، ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ﴾ الإسراء:٥٣، يقول ﷺ: "وفي هذا الأمر أدب من أرقى الآداب الإسلامية وأصعبها؛ إلّا من عصمه الله ﷻ وحفظه، وهو أن يقول المسلم لأخيه المسلم الكلمة الطيّبة في كلّ حال،...

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5439.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5439.

[3] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة؛ انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص43، ج3 ص1591 و ص1661، ج7 ص33713 و ص3719 و ص3729، ج8 ص4321، ج9 ص5411.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلمة التي لا تجرح قلباً، ولاتقطع أواصر، وإذا كنّا مأمورين بالكلمة الطيّبة، وترك الكلمة الخشنة، فمن باب أولى أن نكون منهيين عن الفعل الخشن مزاحاً وجدّاً".[1]

وممّا يتعلّق بآداب المجالس، ما ذكره الشيخ في تفسير سورة المجادلة[2]؛ فقد ذكرت السورة أدباً رفيعاً فيه هضم للنفس في ذات الله ﷻ، وهو الإفساح للغير، والنهوض لأجل أن يجلس الغير، كذلك علّمت السورة من خلال آيات المناجاة كيف يكون محور الحديث في مجالس المسلمين، وذلك في سياق الحديث عن المناجاة الظالمة بين أعداء الله ﷻ؛ فعلّمت المسلمين أدب التناجي الحقّ التقيّ، وأدب المجالس، وأدب مناجاة رسول الله ﷺ، فللمسلمين آدابهم وللفاسقين طرائقهم[3].

وممّا يتعلّق بأدب المسلم في الأمور التي لا يعلمها، الإقرار بعدم العلم؛ فقد اعتاد كثير من الناس الهجوم على الحديث في كلّ شيء دون أن يكون عندهم علم فيه، وإنّما هي الظنون أو الأوهام، وقد أفاد الشيخ هذا الأدب من جواب الملائكة ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ البقرة: ٣٢[4]، كذلك من أدب المسلم في الأمور التي يجهلها، ردُّ العلم إلى الله ﷻ، وهذا أدب إسلامي عامّ في كلّ قضيّة لا يكون المسلم على علم تامّ بها، وهذا الأدب مستنبط من قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ الكهف: ٢٢.[5]

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3096-3097.

[2] وذلك في تفسير الآيات [8-13].

[3] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5789-5791.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص120-121.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3172.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممّا يتعلّق بآداب الضيافة ما ذكره حوّى تعقيباً على قصّتي إبراهيم ولوط ﷺ [1]، فمن ذلك: الاستقبال الطيّب للضيف، والتعجيل له بالطعام، والحرص عليه والدفاع عنه.[2]

المطلب الثاني: التربية الاجتماعية

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: العلاقات[3] الأسرية

إنّ العلاقات الأسرية في تفسير الأساس، كشأن معظم التفاسير تجلّى قسم كبير منها في تفصيل الأحكام الفقهية المتعلّقة بتنظيم تلك العلاقات، وذلك في ظلال الآيات المشتملة على تلك الأحكام، وكان من منهج حوّى توضيح تلك الأحكام، ثمّ ذِكْر آراء المذاهب الفقهية في تلك المسائل، فاتّسمت تلك المواضع بكثرة النقول، والفوائد الفقهية، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير سورة البقرة من ذكر أحكام الإيلاء، والحيض، وأحكام الطلاق والرجعة، وأحكام الرضاعة وأحكام العدّة، وغير ذلك من الأحكام.[4]

كذلك لم يخلُ الحديث عن الأحكام الفقهية من بعض اللفتات التربوية، ومن الأمثلة على ذلك، ما ذُكر عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ

---

[1] وذلك في سورة هود، الآيات: [69-83].

[2] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2587، ج10 ص5517.

[3] يبيّن حوّى أنّ من أهمّ الأمور في إقامة العلاقات بشكل عامّ الحكمة؛ والحكمة هي علم الكتاب والسنّة، والعمل بهما، ووضع الأمور في مواضعها، ولا يكون هذا إلا بتوفيق من الله ﷻ؛ فيضع الحكيم الأمور في مواضعها في إطار تعامله مع زوجته وأولاده وجيرانه وعمله وسائر مسؤولياته؛ انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص621.

[4] للاطّلاع على بعض تلك المواضع؛ انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص524-538، ج2 ص1176-1178.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢٢١، حيث إنّ معاشرة أهل الشرك ومخالطتهم تبعث على حبّ الدنيا، وإيثارها على الآخرة، فأحكام الله إنّما جاءت بما ييسّر للمؤمنين طريق الجنّة والمغفرة؛ فحرّمت الزواج من المشركين، فالمؤمنون أولى بالمصاهرة والموالاة.[1]

ومن جانب آخر كان الحديث عن العلاقات الأسرية من خلال الوقوف على بعض الحقوق المتبادلة بين أعضاء الأسرة، فمنها ما تعلّق بعلاقة الزوجين، ومنها ما تعلّق بحقوق الأبناء على الآباء، ومنها ما تعلّق بحقوق الآباء على الأبناء، وفيما يلي بعض الأمثلة[2]:

أمّا عن العلاقة بين الزوجين، فيذكر حوّى قاعدة التقابل في الحقوق بين الرجال والنساء والواردة في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ البقرة: ٢٢٨، ومن أوجه هذا التقابل ما أورد ابن كثير في تفسيره من قول النبي ﷺ عندما سُئل عن حقّ الزوجة على زوجها فقال ﷺ: " تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت".[3]

ويتحدّث الشيخ عن مفهوم وقاية الأهل في ظلال بعض الآيات، من ذلك قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص514.

[2] للاطّلاع على مزيد من الأمثلة؛ انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص1176، ج8 ص4425-4427 و ص4436، ج10 ص6001.

[3] انظر: ج1 ص538؛ ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج1 ص610؛ والحديث رواه الإمام أحمد، ابن حنبل، أحمد بن محمّد بن هلال (ت241هـ)، **(مسند الإمام أحمد بن حنبل)**، حقّقه: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م، 50 جزءاً، مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، ج33 ص217 حديث رقم 20013، حكم شعيب الأرنؤوط على الحديث: إسناده حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ التحريم: ٦، ومن خلال سياق سورة التحريم، يفهم حوّى أنّ عملية الوقاية تقتضي عدم الرضوخ لرغبات الزوجات، كذلك تقتضي تأديب الزوجات، وحمل النفس والأهل على الطاعة الكاملة، ويعلّل ﷺ الأمر بالجهاد في هذا السياق بكثرة الأحوال التي تحاول فيها المرأة صرف زوجها عن شؤون الجهاد؛ ليهتمّ بشؤون عائلته، وللزوجة تأثير كبير على زوجها، لاسيّما العامل في مجال الدعوة؛ فقد بلغ الأمر ببعض العاملين أن يكون الزواج بحقّهم نقطة تحوّل من الإيمان إلى الكفر لإرضاء الزوجة؛ فحذّرت السورة من الرضوخ لرغبات الزوجات، وحملت على بذل الجهد لتقويم النساء.[1]

ويبيّن مقتضيات كون المرأة لباساً لزوجها والزوج لباساً لها، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ البقرة: ١٨٧، من توفّر شروط اللباس في كلّ منهما؛ فيكون ساتراً لا يكشف عورة صاحبه، طاهراً من كلّ دنس، خاصّاً بصاحبه، متناسباً مع مكانته.[2]

وممّا يتعلّق بحقوق الأبناء ما ذُكر بشأن تربية الأطفال من خلال قصّة زكريا ﷺ في سورة مريم ﷺ، فقد بيّن الشيخ أنّ ما ذكر من خصائص يحيى ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ مريم: ١٢ – ١٤، يعتبر نقاط مهمّة في طريق تربية الأطفال، بل إنّ تربية الأبناء على هذه الخصائص هي أسمى الغايات، وهذه الخصائص هي:

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص6011 و ص6016.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص423.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تربية الولد على أخذ الكتاب بجدّ وعزم، والتربية على فهم الحكمة والتحقّق بها كي يكون حكيماً والتربية على الطهارة في الأخلاق والسلوك، والتربية على التقوى والإسلام والطاعة، كذلك تربية الولد على البرّ وتجنّب العقوق، وتربيته على التواضع والطاعة.[1]

كذلك فإنّ وصايا لقمان[2] ﷺ لابنه[3] تؤخذ بعين الاعتبار في تربية الأبناء، ذلك لأن الله ﷻ قال في حقّ لقمان: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ لقمان: ١٢، فكانت وصاياه هي ذروة الحكمة؛ لأنّ الولد أحبّ الخلق إلى الوالد، ولا يوصي أبٌ ابنه إلّا بأغلى ما عنده.[4]

أمّا عن حقوق الآباء على الأبناء، فأهمّها برّ الوالدين، ومن أصعب ما يختبر به المرء في هذا المقام، ما أشار إليه حوّى عند قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ العنكبوت: ٨، فقد جاءت الوصية في سياق الحديث عن الجهاد، يقول حوّى: "من أصعب الامتحانات التي يمرّ بها المؤمن المجاهد موقف والديه منه، ومن أصعب الأمور أن يتصرّف التصرّف المناسب في هذا الموطن، ومن ثمّ ألزم الله ﷻ المؤمن هنا بشيئين: الإحسان، وعدم الطاعة في المعصية، وهما أمران لا يستطيعهما معاً إلّا موفّق، ومن ثمّ ذكر الله ﷻ في هذا

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3257-3258.

[2] يورد ابن عطية في المحرّر الوجيز اختلاف العلماء في شأن لقمان ﷺ هل هو نبي أم رجل صالح فحسب؟!، فممّن قال بنبوءته عكرمة والشعبي، وقال بصلاحه فحسب مجاهد وغيره. انظر: ابن عطية، عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت 542هـ)، **(المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**، حقّقه عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ. ج4 ص347؛ وقد نقل حوّى عن ابن كثير كون أكثرية العلماء على أنّ لقمان عبد صالح. انظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج6 ص333؛ حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4327.

[3] وهي ما ورد في سورة لقمان، الآيات [13-19].

[4] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4317-4318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السياق ما أعدّه لمن آمن وعمل صالحاً"[1]؛ فبرّ الوالدين لازم على المسلم في كلّ الأحوال ويحكمه الإحسان وعدم الطاعة في معصية.

المسألة الثانية: العلاقات الأخوية

يبيّن حوّى أنّ الإخاء في الله ﷻ من أعظم القربات، فالقرابة التي تعود على صاحبها بالنفع هي ما كان أساسها الإيمان؛ فقرابة الدين غامرة لقرابة النسب، ولهذا الأمر شواهده من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى في خطاب نوح ﷺ في شأن ولده: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ هود: ٤٦.[2]

كما أنّ عقد الإخاء أبدي، فهي خلّة باقية إلى يوم القيامة، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الزخرف: ٦٧، فلا بدّ أن يكون للمسلم مودة وطاعة وإخاء في الله ﷻ، وليحذر من تضييع إخاء كسبه فذلك العجز الكبير.[3]

ومن الأمور التي تمكّن علاقة الإخاء في القلب، تطهيره من الغلّ، فيرى الشيخ أنّ اقتران ذكر انتفاء الغلّ بالأخوة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الحجر: ٤٧، دليل على أنّ الغلّ والأخوّة متنافيان؛ فلا بدّ للمسلم أن يحرص على تطهير قلبه من الغلّ في علاقته مع المؤمنين، وأن يبتعد عن كلّ موطن يؤدّي إلى أن يكون

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4178.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص 2558 و ص2590، ج9 ص5173.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5173.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبباً في إيجاد غلّ في قلب غيره عليه؛ فالشيطان قد يُوقع بين المؤمنين، فيجد قبولاً، ثمّ تتطوّر الأمور من سيء إلى أسوأ وهكذا.[1]

ومن آداب الأخوّة ما جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ ﴾ طه: ٢٩ – ٣٤، يقول حوّى: "من كلام موسى عندما سأل الله أن يؤيّده بأخيه نفهم أدب الأخوّة في الله ﷻ، والغاية منها؛ فالأدب شدّ الأزر، والاشتراك في الأمر، والهدف ذكر الله ﷻ وتسبيحه، فما لم يتحقّق بالأخوّة كثرة الذكر، لا تكون أخوّة خالصة في الله، وإذا كان لها هدف آخر غير ذلك فليست أخوّة في الله".[2]

أمّا عن خوارم هذه العلاقة فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الحجرات: ١١–١٢، ففي الآيات تعميق معنى الإخاء الإسلامي بتحريم خوارم

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2880 وص2883.

[2] **المرجع السابق**، ج7 ص3358.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإخاء، وهي: الاستهزاء والطعن والتنابز بالألقاب وسوء الظنّ والتجسّس والغيبة، وهذه الأمور تنتشر عادة في أيّ مجتمع بشري.[1]

المسألة الثالثة: العلاقات داخل المجتمع

إنّ من المعاني الكبرى في الإسلام موضوع لزوم الجماعة، وقد دلّت سورة الفاتحة من خلال الخطاب الجماعي: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ الفاتحة: ٥ – ٦ على أنّ الأصل في المسلم أن يكون جزءاً من كلٍّ هو جماعة المسلمين، وأنّ الأصل في التربية الإسلامية أنّها تقوم على التربية الجماعية.[2]

والحديث عن العلاقات المجتمعية يستدعي الحديث عن روح الجماعة عند أمّة الإسلام وفي هذا السياق يشير حوّى إلى ضرورة التفكير في الأسباب والأمراض التي تحول دون وجود هذه الروح عند الأكثرين من المسلمين، فروح الفردية في هذا العصر عاتية، وبعض المسلمين عاجز عن التعامل مع بعضهم الآخر، بل أصبح أبناء المسلمين بعضهم أعداء بعض، كلٌ ينصر طبقة من طبقات الكفر والنفاق والفسوق، والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ التوبة: ٧١، ومن خلال ما تمّ الإشارة إليه في تمهيد هذا المبحث من كون القرآن قد اشتمل على الهداية الكاملة في موضوع الأخلاق الفردية والجماعية وربّى الأمّة على الكمال في كلّ شيء، يتبيّن أنّ المشكلة تكمن في التناقض بين واقع المسلمين وبين ما كلّفوا به، وهو ما أشار إليه حوّى، كما أرجع الأسباب في انعدام روح الجماعة إلى أمراض عامّة كانعدام الثقة، أو أمراض فردية مثل حبّ الدنيا، وإيثار العافية، والشحّ، والإعجاب

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5416.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج1 ص39.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالرأي، والحسد، وغير ذلك من الأمراض، التي تمنع المسلم من مشاركته لجماعة المسلمين في الميدان الذي تفترض فيه المشاركة، فلا بدّ إذن من المعالجة، حتّى تعود الأمّة أمّة واحدة تتحرّك حركة واحدة، وتتّجه اتّجاهاً واحداً. [1]

أمّا عن تفاصيل العلاقات في المجتمع المسلم يبيّن حوّى أنّ "العلاقات الاجتماعية في الغالب إمّا تعاون على البرّ والتقوى، أو تعاون على الإثم والعدوان، على أيّ مستوى من مستويات التعامل"[2]، ومن أشكال التعاون على البرّ والتقوى التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهمّية هذا النوع من العلاقات في صلاح المجتمع، أخصّص الآتي للحديث فيه.

التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ من مظاهر تكاتف الجماعة المسلمة تواصيها بالحقّ وأمرها بعضها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، فإذا تمسّكت بذلك اهتدت، ولم يضرّها من ضلّ، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ المائدة: ١٠٥، وإذا تركت هذه الأمور لا تكون مهتدية[3]، كذلك لا بدّ من السعي قدر المستطاع من أجل استقامة أمور الأمّة لأنّ في ذلك نجاة الجميع، فالآيات الموجَّهة لبني إسرائيل[4] أُنّب فيها الجميع بفعل البعض واللاحق بفعل السابق، ورغم ما تقرّر شرعاً من أنّ الإنسان لا يُسأل عن فعل غيره، إلّا أنّ

---

[1] انظر: **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص49-50، ج4 ص2317، ج9 ص5440.

[2] **المرجع السابق**، ج3 ص1312.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج3 ص1533.

[4] كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠﴾ طه: ٨٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطاب كان شاملاً لبني إسرائيل بسبب الموافقة والاستمرار على فعل المنكر، وفي هذا درس لأمّة المسلمين بأن لا تقرّ خطأ وقع في أحد من أفرادها.[1]

ويشير حوّى إلى الطبيعة الإنسانية في استثقال النصيحة، حتّى في صفوف المؤمنين، إلاّ الصدّيقين منهم، وجاءت هذه الإشارة في تفسير قوله تعالى في شأن صالح ﷺ: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأعراف: ٧٩.[2]

وممّا يمحّص النصيحة أن تكون خالصة من المطامع كافّة، فإذا تُوهّم فيها شيء من المطامع لم تنفع، لذا كان من جملة ما واجه الرسل به أقوامهم عدم طلب أجر على الدعوة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ﴾ هود: ٥١.[3]

ولا بدّ للمؤمن أن يتخلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى يكون داخلاً في جملة الأمّة الممدوحة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ آل عمران: ١١٠.[4]

---

[1] **(الأساس في التفسير)**، ج1 ص237.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص1941.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2571.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج2 ص850.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ختام هذا المبحث، وفي سبيل الوقوف على المصادر التي تأثّر بها الشيخ في موضوع الأخلاق، تجدر الإشارة مرّة أخرى[1] إلى العلماء الذين تتلمذ حوّى على أياديهم في علم التصوّف لا سيّما الشيخ محمّد الحامد، والشيخ محمّد الهاشمي؛ لأثرهما الكبير في صقل شخصية حوّى الأخلاقية، وفكره التربوي، والذي انعكس على هذا التفسير وغيره من مؤلفات حوّى.

وبعدُ، فقد كانت تلك المطالب عرضاً لأهمّ لفتات حوّى التربوية فيما يتعلّق بأخلاق المسلم وآدابه وعلاقاته الأسرية والاجتماعية، وقد تجنّبت فيها ذكر الجوانب الفقهية خشية الإطالة والتصاق الجانب التربوي منها بموضوع الأطروحة، وبختام هذا المبحث، يُستكمل الحديث عن منهج الشيخ سعيد حوّى في تربية الإنسان قلباً وجوارحَ وأخلاقاً، ليصبح الحديث في الفصل التالي حول منهج الشيخ ﷺ في تربية الإنسان المسلم الداعية المربّي، والمسلم التلميذ، وللحديث متعلّقاته من التفصيل في شأن ما هيّة الدعوة، والله المستعان.

[1] تمّ ذكر ذلك سابقاً في الفصل الأول، في سيرة الشيخ العلمية ص5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

منهج الشيخ سعيد حوّى ﷺ في الحديث عن عناصر عملية الدعوة

(المربّي، التلميذ، الدعوة)

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن المربّي والتلميذ

المبحث الثاني: منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن الدعوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل

منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن المربّي والتلميذ

تمهيد

كثيراً ما اتّجه الخطاب التربوي للشيخ في تفسيره إلى من يتولون عملية التربية الإسلامية فتارة يخاطب الداعية، وتارة المربّي، وتارة وارث النبوّة، وتارة العالم، وقد اعتبرت في بحثي هذا جميع هذه الألفاظ دالّة على ذات واحدة، وقد كان الخطاب عبارة عن توجيهات إيمانية وعملية وأخلاقية، ولم يخلُ خطاب حوّى كذلك من توجيهات تربوية لطالب التزكية أو السالك أو المريد وهذه الالفاظ أيضاً اعتبرتها دالّة على ذات واحدة.

وفي سبيل بيان حيثيّات ذلك أتطرق في المطلب الأوّل لحديث حوّى عن أهمّية وجود المربّي كمدخل للمطلبين اللاحقين، وسأتطرق للحديث عن التوجيهات الإيمانية المتعلّقة بشخص الداعية في المطلب الثاني، وفي المطلب الثالث سأتطرق للتوجيهات العملية والأخلاقية، وأخيراً سأعرض في المطلب الرابع من هذا المبحث بعض التوجيهات المتعلّقة بطالب التزكية، والله المستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأوّل: حديث الشيخ عن أهمّية وجود المربّي

تحدّث حوّى عن أهمّية وجود المربّي للأمّة بشكل عام في ظلال تفسيره لعدد من الآيات، ويمكن إجمال هذه الأهمّية في النقاط التالية:

1. الأمّة تحتاج إلى من يجدّد لها الدين: وقد أشار حوّى إلى هذا المعنى في ثنايا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ البقرة: ٢١٣، وقوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام:﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ مريم: ٥ – ٦، ووجه الدلالة في الآيات، أنّ الناس بحاجة للأنبياء للفصل في خلافاتهم، ولإرجاعهم عن الكفر، وأن الجيل اللاحق قد ينحرف؛ فيحتاج إلى نبي جديد، ولا بعثة بعد محمّد ﷺ، والقرآن فيه تبيان كلّ شيء؛ فما تحتاجه هذه الأمّة هو مجدّدين لهذا الدين وحسب، والتجديد مهمّة أولياء هذه الأمّة وعلمائها، وقد بيّنت السنة النبوية سنّة الله في أن يبعث لهذه الأمّة من يجدّد لها دينها على رأس كل قرن[1]، كما في قول النبي ﷺ: " إنّ الله تعالى يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها"[2].

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3258–3259، ص2389–2390، ج7 ص3846.

[2] انظر: أبا داود، **(سنن أبي داود)**، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ج4 ص178 رقم الحديث:4293، حكم الألباني على الحديث: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. "مدد الفطرة إلى القلب لايستمر إلا إذا وجدت تغذية من رجل صالح، من لدن محمّد ﷺ إلى قيام الساعة"[1]، وقد أفاد الشيخ ﷺ هذا المعنى من تفسير ابن عبّاس ﷺ للزيتونة[2] في قوله تعالى: ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٌ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ النور: ٣٥؛ حيث فسّرها بالرجل الصالح؛ فاستئناف الحياة الإسلامية يلزمه إحياء هذه الرتبة.[3]

المطلب الثاني : التوجيهات الإيمانية للداعية

إنّ أبرز التوجيهات الإيمانية التي غلبت على خطاب الشيخ ﷺ، توجيه الداعية نحو الصبر؛ لذا سيقتصر حديثي في هذا المطلب عن الصبر، وأمور أخرى يستدعيها هذا الحديث وذلك في ظلال الآيات التي تحدثت عن مشاقّ الدعوة، وكذلك الآيات التي عرضت موقف الكافرين من الدعاة إلى الله ﷻ، ويتلخّص هذا التوجيه في أنّ **طريق الدعوة طريق شاقّ، لا بدّ فيه من تحقّق الداعية بالصبر**، وعلى سبيل البيان لذلك استشهد بما يلي:

يرى حوّى أنّ التوجيه الربّاني لمحمّد ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الأحقاف: ٣٥، يدلّ على عظم مشاقّ طريق الدعوة، حتّى تحتاج نفس كنفس محمّد ﷺ إلى مثل هذا التوجيه، كذلك يبيّن حوّى بعد استقرائه لقصص الأنبياء ﷺ في سورة الأنبياء، أنّ صفة الصبر مشتركة عند كل الأنبياء، وفي هذا درس للنذير[4].

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3783-3784.

[2] انظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج6 ص60.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3784.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5270، ج7 ص3486.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أمر لقمان ﷺ لابنه بالصبر، بعد أمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ لقمان: ١٧، دلالة على أنّ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بدّ أن يناله أذى من الناس فجاء الأمر بالصبر[1].

وفي سياق تفسير حوّى لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ ﴾ آل عمران: ١٨٦، ينقل عن ابن كثير ﷺ قوله: " فكلّ من قام بحقّ، أو أمَر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بدّ أن يؤذى، فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله ﷻ"[2].

والحديث عن الصبر يستدعي الحديث عمّا يواجهه الداعية، ممّا يستدعي صبراً وثباتاً

وقد كان من منهج حوّى تسليط الضوء على المواقف السلبية، والتهم والشبهات المعاصرة بحقّ الداعية، وذلك في سياق تفسيره للآيات التي اشتملت على مواقف المعادين لرسل الله ﷺ؛ فيتحدّث عن التوعية الشعبية ضد أهل الحقّ في ظلّ قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦ ﴾ الشعراء: ٥٣ – ٥٦، يقول ﷺ: " وهو التدبير المستمر للطغاة في كل العصور ضد أهل الحقّ يحشرون الناس، ويجمعونهم بسلطة السلطان،... ويقولون عن أهل الحقّ: إنّهم فئة قليلة منحرفة

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4319.

[2] ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج2 ص180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن إرادة الشعب، ... وأنّهم يقومون بأعمال إجرامية ضد السلطة، وأنّ على جميع الشعب أن يكون حذراً وواعياً..." [1].

ويتحدّث عن اتّهام الداعية في نيّته، وأنّه لا يريد وجه الله في دعوته الإصلاحية في ظلّ قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨ ﴾ يونس: ٧٨، ويفنّد الشيخ هذه الدعوة، بكون الداعية قد سلك بدعوته الطريق الأصعب، وقد نبّه الشيخ في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ ﴾ القلم: ٥١، نبّه على حقد الكافرين الشديد على صاحب الدعوة، فلو كانت الدنيا مراد الداعية؛ لاتّجه إلى طريق المداهنة وخدمة الطغاة فهي الطريق الأسهل[2]، وقد فصّل حوّى في المعنى الأخير في ثنايا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ القلم: ٩، حيث قال ﷺ: "دلّ هذا على أنّ أهل الكفر والتكذيب تنصبّ محاولاتهم على أن يتخلّى صاحب الدعوة عن شيء من دعوته، ولكن شتّان بين إدهانهم وإدهان صاحب الحق، فصاحب الدعوة إذا لان فذلك على حساب الحق، وأمّا هم فإذا لانوا فذلك على حساب الباطل، وما أرخص الباطل، وأغلى الحقّ"[3].

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج7 ص3918.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2496، ج10 ص6067.

[3] **المرجع السابق**، ج10 ص6053.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممّا يواجهه الداعية اتّهامه بالرذالة وضحالة الرأي، وقد أشار الشيخ إلى هذا المعنى في ظل قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ هود: ٢٧.[1]

وقد كان إلى جانب توجيه الداعية إلى الصبر في مقابلة مواقف الكافرين واتّهاماتهم توجيهاتٌ عملية ذكرها حوّى، وسيتم التطرق لها في المسألة الثانية (التوجيهات العملية والأخلاقية)، من هذا المطلب.

إضافة لما سبق فقد جاء التوجيه للصبر في المواضع القرآنية التي تتحدث عن استبطاء النصر، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ ﴾ الحج: ١٥، يبيّن حوّى أنّ كثيراً من الدعاة يتركون دعوة الله ﷻ، لاستبطائهم النصر لها، وفي هذا المقام يدعو إلى الصبر في كل الظروف[2].

وفي مقام آخر في ظلال قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧ ﴾ إبراهيم: ٤٧، توجيهٌ للداعية نحو الثقة المطلقة بوعد الله في النصرة؛ لأن مقتضى اتّصافه بأسمائه المذكورة، حصول ما أخبر عنه، وهذه الثقة سمة رئيسة من سمات الداعية ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور[3]، وفي موقف هود ﷺ في قوله تعالى:

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2553؛ للاطلاع على مزيد ممّا يتعلّق بثبات الداعية وما يواجهه، انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3368-3369، ج8 ص4195، ج11 ص6133.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3537.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2819.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ ﴾ الأعراف: ٧١، تجسيد لثقة الداعية المطمئن وهذه الثقة هي مناط القوّة التي يستشعرها الداعية إلى الله ﷻ.[1]

المطلب الثالث: التوجيهات العملية والأخلاقية للداعية

من التوجيهات العملية والتربوية للداعية[2] والتي عرّج عليها حوّى في تفسيره:

1. توجيه الداعية للدعاء، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ طه: ٢٥ – ٣٥، يوجّه حوّى الداعية للدعاء لاسيّما هذه الدعوات –وهي على لسان موسى عليه السلام–؛ لأهمّيتها في أمر الدعوة، ويعلّل رحمه الله كلّ واحدة منها؛ فانشراح الصدر يحتاجه تحمُّل آداء الدعوة، وبدون تيسير الأمور ينكسر قلب الداعية، ولا بدّ من طلاقة لسان لإقامة الحجّة، وبدون أخ يستشار ويُبثّ إليه، يشعر الداعية بغربة محزنة.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص1937.

[2] للاطلاع على المزيد من التوجيهات العملية والأخلاقية، انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5024، ج4 ص2312.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3358.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ﴾ طه: ٤٢، يرى الشيخ ﷺ أنّ في الآية " دلالة على أنّ رجل الدعوة لا ينبغي له أن يفتر عن ذكر الله ﷻ، ومتى فتر قصر، ولم يستطع الدعوة والمتابعة، والمجابهة على ما يقتضيه أمر الله ﷻ".[1]

3. أهمّية السجود والتسبيح للداعية، يشير حوّى إلى هذه الأهمّية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الحجر: ٩٧ – ٩٨، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ طه: ١٣٠، في ظلّ هذه الآيات يشير حوّى إلى أهمّية التسبيح والسجود للداعية، وذلك في صموده أمام أقوال أهل الكفر وإيذائهم؛ فالسجود والتسبيح هما زاد الداعية في دعوته كما أنّ التسبيح بحمد الله هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة.[2]

4. توجيه الداعية لقيام الليل والذكر، وقد جاء ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ المزمل: ١ – ٨، يقول ﷺ: "وهذا يفيد أنّ رجل الدعوة عليه أن يكرّس ليله لقيام الليل، وأن يجتمع له في ليله

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3360.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2898، ج7 ص3414.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونهاره ذكر، وأن يكون له انقطاع إلى الله ﷻ، ويعطي لأمور الدنيا بالقدر الذي لا بدّ منه".[1]

5. أهمّية الطهارة الحسّية والمعنوية للداعية، وقد جاء هذا التوجيه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ المدثر: ٤ – ٥؛ فيبيّن حوّى أن السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الأوامر هو سياق إنذار؛ لقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ المدثر: ٢؛ وبناء على ذلك يوجّه حوّى الداعيةَ المنذِر إلى طهارة فعله بأن يكون خالياً من المعاصي، وطهارة مظهره، فكلّ ذلك مؤثر في نجاح دعوته؛ فإنّ الناس إذا رأوا أيّ عيب في الداعية نفروا من دعوته، ولم يقبلوها.[2]

6. أهمّية إصغاء الداعية للمخاطب، وقد جاء هذا التوجيه في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ﴾ التوبة: ٦١، ففي ظلّ هذه الآية التي اشتملت على وصف الله ﷻ للنبي ﷺ بالإصغاء الشديد وتصديق أهل الإيمان على سبيل مدحه ﷺ، في حين أنّ المنافقين يرون ذلك نقيصة، يسلّط حوّى الضوء على أهمّية إصغاء الداعية لمن يخاطبه؛ لأثره العظيم في تأليف القلوب وكونه من أبرز صفات القادة العظام.[3]

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج11 ص6205.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6230.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2312.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7. ضرورة تقدير الداعية للموقف الذي سيجابهه، وقد جاء هذا التوجيه في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾ الشعراء: ١٢، وقوله تعالى على لسان موسى ﷺ: ﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ الشعراء: ١٤، فمن خلال تقدير موسى ﷺ الصحيح لما سيواجهه من آل فرعون؛ يوجّه الشيخ الداعية إلى ضرورة تقدير الموقف الذي يمكن أن يجابهه، وطلب العون من الله ﷻ.[1]

وبعدُ، فهذه هي أهمّ التوجيهات الإيمانية والعملية والأخلاقية المتعلّقة بشخص الداعية، وقد كان من منهج حوّى ﷺ استثمار كلّ فرصة للحديث عن الدعوة ومشاقّها، وسرعان ما يجود بما استنتجه من ظلال آية كريمة، أو من وحي تجربة شخصية، وقد عُرف ﷺ بجهوده الدعوية ومعاناة مشاقّ الدعوة، وما ترتّب عليها من السجن والنفي وغير ذلك، وقد انعكست ظلال ذلك على تفسيره في مثل المواطن السابقة وغيرها.

المطلب الرابع: التوجيهات المتعلّقة بطالب التزكية

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: توجيه طالب التزكية بشأن أدبه مع المربّي

إنّ أبرز توجيهات حوّى لطالب التزكية كانت تدور حول الآداب التي يجب أن يراعيها مع مربّيه[2]، ومن ذلك ما جاء في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3911.

[2] للاطلاع على مزيد من توجيهات الشيخ لطالب التزكية، انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2092، ج8 ص4448.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ النور: ٦٢ – ٦٣، فأشار ﷺ إلى أنّ الآداب المذكورة هنا بحقّ النبي ﷺ، يجب أن تُراعى مع ورّاث النبوّة، ومن له إمرة شرعية من المسلمين، وهذه الآداب هي: الاحترام في النداء والكلام، والاستجابة، وعدم الانصراف إلا بالإذن[1].

كذلك في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩ ﴾ الأحزاب: ٦٩، يشير الشيخ إلى قضية مهمّة ومؤثرة في وحدة الصفّ الإسلامي، وينطلق منها لإرشاد طالب التزكية؛ فينبّه ﷺ على خطورة إيذاء وتحطيم القيادة الإسلامية –إلا في حال كونها غير رشيدة–، وهذا أخطر ما تواجهه الجماعات من قبل أفرادها؛ لكون الثقة في القيادة من أهم عوامل نجاح أعمال هذه القيادة؛ وبناء على ما سبق يحذّر حوّى طالب التزكية من الاعتراض على شيخه، ويصف هذا الاعتراض بأنّه السمّ القاتل للقلب، إلا إذا كان الاعتراض بحقّ الشرع القطعي، وبالطريق الذي حدّده الشارع؛ فما أصعب البناء، وأسهل الهدم[2].

وفي ذات السياق يحذّر حوّى في تعقيب له على قول الجنّ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ ﴾ الجن: ٥، وتعقيبٍ على قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3824.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج8 ص4491.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ الجن: ٢٦ – ٢٧، يحذّر من إعطاء العصمة لغير أهلها، وتجاوز الثقة حدودها، فذلك من أشدّ أسباب الضلال في تاريخ البشرية؛ فلا ثقة إلا بما وافق القرآن الكريم فقلب النبي ﷺ وحده المعصوم، ويشدّد النكير على من عامل بعض أفراد هذه الأمّة وكأنهم معصومو القلوب، فأوّلوا نصوص الشرع، بل وصل الحدّ ببعضهم إلى ترك الشرع كلّه[1].

المسألة الثانية: توجيهات متعلّقة بالسلوك إلى الله ﷻ

ومن التوجيهات المتعلّقة بسلوك الطالب إلى الله ﷻ، توجيه الطالب نحو الإكثار من ذكر الآخرة؛ لما لذلك من أهمّية أشار الشيخ إليها عند قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ ص: ٤٦، ويشير ﷺ إلى أهمّية الانتباه إلى هذه الآية في قضية السلوك إلى الله ﷻ، وفي توضيح ذلك يستعين بالقول المأثور: "الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلِصون، والمخلِصون على خطر عظيم"[2]، فيرى الشيخ أنّ هذا الخطر العظيم ينجو منه المخلَص، وهو رتبة فوق المخلِص، وسبيل المؤمن حتّى يصبح مخلَصاً هو تذكّر الآخرة كما بيّنت الآية السابقة.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6176، 6186.

[2] وقد ذكر الغزالي هذا القول في تفسيره، وقال في نسبته: (وقيل)؛ انظر: الغزالي، **(إحياء علوم الدين)**، ج3 ص414؛ ووجدت للقول نسبة للنبي ﷺ وذلك عند الآلوسي؛ انظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله (ت1270هـ)، **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، حقّقه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 16 جزءاً. ج1 ص309، وعند البقاعي في **(نظم الدرر)**، ج1 ص478، ولم أقف على القول في مصادر الحديث، وقد نسبه حوّى للحسن البصري.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4801.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

منهج الشيخ سعيد حوّى في الحديث عن دعوة الداعية

تمهيد

"إحياء القلوب على الله ﷻ" عقيدة ردّدها حوّى في أكثر من موطن من مواطن الحديث عن مهمّة الداعية، ليُبرز الموقع الصحيح للداعية في دعوته؛ فيقول ﷺ في أجواء سورة يس، تعقيباً على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ يس: ١١-١٢، وقوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٠ ﴾ يس: ٧٠، يقول: "هذا يفيد ضمناً أنّ إحياء القلوب على الله ﷻ، والله يتولّاه، لكن لا بدّ من الأسباب؛ المنذِر بنذارته، والمنذَر ببذل الجهد، والله ﷻ هو الذي يتولّى عملية الإحياء، ومن ثمّ فإنّ على الدعاة إلى الله ﷻ أن يلاحظوا هذا؛ فيعقدوا حلقات الوعظ، ويدعوا الناس إليها، وعلى الناس أن يحضروا، وعلى الدعاة ألّا يهملوا الوعظ أبداً في كلّ حال، وعلى الناس أن يسمعوا، والتقصير في هذا يؤدي إلى فقدان حياة القلوب، وبالتالي إلى ضعف الإسلام"[1].

بناء على ما سبق فإنّ الداعية بدعوته أحد سببي إحياء القلوب؛ ونظراً لهذه الأهمّية أخصص هذا المبحث للحديث عن منهج الشيخ في الحديث عن دعوة الداعية، ضمن عناصر المطالب التالية، والله المستعان.

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج8 ص4649.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الفئة التي يستهدفها الداعية ونقطة البداية مع المدعو

يبيّن حوّى أنّ صاحب الدعوة عليه أن يبلّغ دعوته للجميع، لكن تبقى فئة الشباب هي الوجهة الأولى للداعية؛ لأنّهم أقرب لقبول الحقّ، وهم الذين يستجيبون للدعوات الإصلاحية، وهم معدن النصرة، وقد لاحظ الشيخ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ يونس: ٨٣[1]، كذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ ﴾ الكهف: ١٣، ومن قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ الكهف: ٦٠، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ ﴾ الأنبياء: ٦٠، وبمناسبة الآية الأخيرة، يذكر حوّى قول ابن عبّاس ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلّا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلّا وهو شاب" وتلا هذه الآية.[2]

أمّا عن نقطة البداية مع المدعو فقد تحدّث الشيخ ﷺ عن البداية مع طالب التزكية، أو المريد، أو السالك، في ظلال كثير من الآيات، فلم تكن بداية فحسب، ولكن بدايات، وبيّن ﷺ أنّ مقدار نجاح الداعية في النهايات متوقّف على مقدار نجاحه في هذه البدايات، ومن المواضع القرآنية التي أشار الشيخ في تفسيره لها، إلى بدايات في التربية:

1. قوله تعالى: ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾ الرعد: ٢٧ – ٢٨، يوجّه الشيخ الداعية إلى التركيز

---

[1] جاء في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى أنّه لم يؤمن بموسى ﷺ مع ما جاء به من الآيات البيّنات، والحجج القاطعات، والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية **وهم الشباب**، على وجل منه ومن ملإه، أن يردّوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر...". ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج4 ص287.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2498، ج6 ص3167، ص3208، ج7 ص3477. وقد ورد قول ابن عبّاس في تفسير ابن كثير، ج5 ص349.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على مواضيع التوبة والإنابة، والإيمان بالله ﷻ والإكثار من ذكره، ويبيّن أنّ هذه البدايات قد ركّز عليها صالحو الصوفية، ومن ثمّ كانوا أنجح الناس في نقل الإنسان من حال إلى حال، وفي هذا المقام يؤكّد حوّى على ضرورة أن يكون للمسلم حظّه اليومي من الأذكار، لا يتخلّى عنها مهما كانت الأحوال، وعلى رأس هذه الأذكار الصلاة فهي أعلاها[1]، وفي ذات السياق يشير إلى أهمّية الذكر في البداية في ظل قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١؛ فبقدر هذه البداية يكون الاقتداء برسول الله ﷺ، وإن كان رجاء الله واليوم الآخر بجانب الذكر في طريق الوصول إلى الاقتداء، إلّا أنّ مجيء الرجاء بصيغة المضارع، والذكر بصيغة الماضي، يشعر أنّ الذكر الكثير طريق لتنمية الرجاء أيضاً؛ فلا بدّ للمربّي أن يلاحظ هذه البداية بالإضافة إلى توجيه السالك نحو العمل الصالح والإخلاص؛ حتّى يكون السالك سائراً على قدم رسول الله ﷺ.[2]

2. قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ طه: ١٢ – ١٣، وفي ظل هذه الأوامر الإلهية يبيّن الشيخ أهمّية تعليم الأدب وتعلّمه في بداية التربية؛ يقول ﷺ: "علّمه أوّلاً التواضع في هيئته؛ إذ أمره بخلع النعلين، ثمّ طالبه بأدب الإنصات، فدلّ ذلك على أنّ تعليم الأدب وتعلّمه هو البداية الصحية في التربية؛ وكم من مربّ لم يبدأ بتعليم الأدب ففاته كلّ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2768–2769.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3242–3243.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيء...، ومن ثمّ نلاحظ أنّ كلّ رسل الله ﷺ كانوا يطالبون أقوامهم بأمرين: التقوى والطاعة؛ للتلازم التامّ بين الأدب مع الله ﷻ والأدب مع رسله ﷺ؛ فعلى ورّاث النبوّة أن يلاحظوا ذلك، وعلى الراغبين في العلم والتعلّم والوصول إلى الله أن يعطوا ذلك حقّه"[1].

3. قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾ طه: ١٤، يرى حوّى أنّ في الآية دلالة على أنّ معرفة الله هي البداية، وأنّ الصلاة هي التي يثنّى بها، وفي هذا المقام يشير إلى أنّ أيّ بداية غير هذه البداية أو ما يؤدي إليها فليست من التربية الإسلامية في شيء.[2]

4. وفي مواضع قرآنية أخرى[3] يبيّن أنّ اتّباع القرآن وخشية الله، والشكر، والإنفاق والتقوى والإيمان، وتلاوة القرآن الكريم، والذكر والصلاة كذلك، هي بدايات في طريق الهداية[4].

والناظر في الآيات التي استنبط الشيخ منها البدايات يرى أنّ الهداية، وجدوى الإنذار والتيسير لليسرى، كلّ ذلك مترتّب على أمور؛ وهو ما جعل الشيخ يعتبر تلك الأمور بدايات في طريق الوصول إلى تلك الغايات.

كذلك يمكن الجمع بين ما ذكر من هذه البدايات تحت بداية **معرفة الله، والذكر**؛ فمعرفة الله تقتضي تقواه، وإيماناً به، وخشية منه، وشكراً له، وأدباً معه ومع من يدعو إلى سبيله، وإنفاقاً في سبيله، والذكر يشمل الصلاة، وتلاوة القرآن، والأذكار من التسبيح والاستغفار وغير ذلك.

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7ص3353.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص 3353-3354.

[3] قوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ العنكبوت: ٤٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾ يس: ١١، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ ﴾ الليل:٥-٧.

[4] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4241، 4621، 4659، ج11 ص6555.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشير حوّى إلى ضرورة توفير ما تحتاجه هذه البدايات من بيئات مناسبة، تجعل السالك ينصهر في تلك البدايات؛ فعلى سبيل المثال التركيز على تلاوة القرآن في البدايات، يقتضي تعلّم أحكام التجويد، وهكذا[1].

المطلب الثاني: عناصر مؤثرة في عملية الدعوة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مراعاة طبيعة المدعو ومحلّه في أسلوب الدعوة

ويمكن توضيح هذه المسألة من خلال قصص الأنبياء ﷺ مع أقوامهم في سورة هود؛ فقد بيّن حوّى أنّ كلّ قصة من هذه القصص لها مدلول خاص في الدعوة؛ بحيث تسع ما يمكن أن يصادفه الداعية، والاختلاف في أسلوب الدعوة مع هذه الأقوام نابع من اختلاف طبائعها ويوضّح هذه القضية من خلال تذكير الأنبياء ﷺ لأقوامهم؛ فتذكير نوح ﷺ في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾ هود: ٢٦، يرافقه الوعظ، وتذكير هود ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠ ﴾ هود: ٥٠، يرافقه التأنيب، وتذكير صالح ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١ ﴾ هود: ٦١، يرافقه التذكير بالنعمة؛ فلكلّ طريقة محلّها وأهلها[2].

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4241.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2574-2575.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أجواء نفس السورة يوضّح الشيخ قضية مراعاة الداعية لطبيعة المدعو كذلك من خلال ردود الأنبياء نوح وهود وصالح ﷺ على أقوامهم؛ فقد اختلفت الردود أيضاً بسبب اختلاف الطبائع؛ يقول ﷺ: "كان ردّ صالح ﷺ إظهار العجز عن ترك دعوة الله ﷻ، والتذكير بالمعجزة بينما كان ردّ هود ﷺ هو التحدّي لهم والتوكّل على الله ﷻ، وكان ردّ نوح ﷺ النقاش المفصّل لكلّ جزء من أجزاء كلامهم، وفي كلّ قدوة، ولكلّ كلمة محلّها، والناس طبائع، ولكلّ طبيعة كلمة تناسبها، ولكلّ من الدعاة طبيعة، والقرآن يسع النفس البشرية كلّها، وفيه لكلّ نفس ما يناسبها ضمن إطار الحقّ ودائرته"[1].

المسألة الثانية: اختيار الوقت المناسب للدعوة

أشار الشيخ إلى أهمّية اختيار الداعية للوقت المناسب لما يرغب أن يقدّمه في ظلّ قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩ ﴾ طه: ٥٩؛ حيث اختار موسى ﷺ يوم الزينة[2] ضحىً، للوقت الذي سيحاجّ فيه سحرة فرعون؛ وذلك ليحضر تلك المحاجّة أكبر قدر من الناس؛ فتقوم الحجّة بصحّة رسالة موسى ﷺ عليهم أجمعين[3].

ومن ناحية أخرى يشير ﷺ إلى أهمّية الدعوة في كلّ الأحوال –حتّى في تلك التي يظنّ الداعية فيها عدم جدوى الدعوة–؛ لما لذلك من آثار عاجلة أو آجلة قد لا يدركها الداعية؛ وقد جاءت هذه الإشارة في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ

---

[1] **المرجع السابق**، ج5 ص2576.

[2] يوم الزينة: "يوم العيد؛ يوم يتفرّغ الناس من الأعمال، ويشهدون ويحضرون ويرون". الطبري، محمّد بن جرير (ت310هـ)، **(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، حقّقه محمود وأحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ–2000م، ط1، 24 جزءاً. ج18 ص324.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3370.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾ طه: ٦١ – ٦٢؛ فيقول ﷺ: "وفي قول موسى هذا، درس بليغ للدعاة ألّا يقصّروا في الوعظ في كلّ حال، وحتّى لأشدّ أنصار الظالمين، فهؤلاء السحرة حشدهم فرعون ليجابه موسى عليه السلام؛ فأفاد هذا الوعظ مرّتين؛ مرّة في خلخلة صفّهم، ومرّة بعد ذلك؛ إذ أسلموا جميعاً، فلا يتركنّ المسلم دعوته في أيّ ظرف"[1].

ويؤكّد حوّى على المعنى الأخير، من خلال قصّة مؤمن آل فرعون في سورة غافر، ففيها دليل على أنّ إنذار الكافرين إن لم يفد في تحقيق الإيمان، فقد يفيد في شؤون أخرى؛ وذلك لأنّ كلام مؤمن آل فرعون أثّر في صرف فرعون عن قتل موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ غافر: ٢٦، ليصبح موقف فرعون خلال الإنذار هو التعرّف على إله موسى عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧ ، وليس هناك طاغية كفرعون، وقد تزحزح عن موقفه بسبب الإنذار البليغ.[2]

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج7 ص3370.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص4960.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: سلوك الداعية في دعوته

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الداعية على نفسه

والمراد من ذلك هو أنّ يعرّف الداعيةُ الناسَ بمنزلته في العلم؛ فقد بيّن حوّى أنّ ذلك لا يعدّ من باب التزكية، إذا كان الهدف من ذلك تحقيق مقصد أخروي، أو مقصد تحتاجه الدعوة إلى الله ﷻ، أو إذا جهل الناس منزلة الداعية في العلم[1]، وقد أشار إلى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٠٧ ﴾ الشعراء: ١٠٧، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ ﴾ يوسف: ٣٧ – ٣٨.[2]

المسألة الثانية: توجيهات بشأن قضية التعريف على الله ﷻ

لم يقتصر حوّى على بيان أنّ معرفة الله ﷻ من أهمّ البدايات في تربية السالك –كما ذُكر في مطلب سابق–، بل تطرّق في بعض المواضع لتوجيه الداعية في **كيفية التعريف**؛ فمن الفوائد التي استنبطها ﷺ من قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ ﴾ الأنبياء: ٢٢ – ٢٣، أنّ تعريف الله

---

[1] والتعريف في حال جهل الناس بالمنزلة نقله الشيخ عن الإمام النسفي ﷺ، وعبارة النسفي ﷺ: "وفيه أنّ العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده، وغرضه أن يقتبس منه، لم يكن من باب التزكية". النسفي، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، ج2 ص110.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2656، ج7 ص3932.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷻ على نفسه في القرآن الكريم، كان تعريفاً كاملاً، وبالقدر الذي يحتاجه الإنسان، وتقوم به الحجّة عليه، وما فوق ذلك، خبره في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠ ﴾ طه: ١١٠ ؛ وبناء على هذا يوجّه حوّى في شأن التعريف على الله ﷻ، والتعريف على مسؤولية الإنسان في مقابل ذلك؛ فيقول ﷺ: "ففي الدعوة إلى الله ﷻ علينا أن نبرهن أنّ الله موجود، وأنّه أرسل رسولاً وعلى أنّه أنزل وحياً، ... وفي عملية التعريف على الله ﷻ، نذكر أنّ كلّ شيء بعلمه وإرادته وقدرته، وفي عملية التعريف على مسؤولية الإنسان نثبت أنّ الإنسان مكلّف مختار، ونبرهن على أنّ اختيار الإنسان لا يتنافى مع إحاطة العلم والإرادة والقدرة؛ لأنّ القدرة تعمل على وفق الإرادة والإرادة تعمل على وفق العلم، والعلم كاشف لا مجبر، عند هذا يقف الكلام... في النهاية لا بدّ أن يكون واضحاً أنّ أحداً ليس من حقّه أنّ يسأل الله؛ فالله هو الربّ، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ الأنبياء: ٢٣، ...إنّ التسليم لله تعالى هو غاية العقل وغاية الحكمة".[1]

وممّا ركّز الشيخ عليه في قضية التعريف على الله ﷻ، التعريف بجلاله وجماله؛ فقد بيّن ﷺ أنّ هذا التعريف أصل أصيل في التذكير، وقد استدلّ على ذلك في أكثر من مقام، ففي قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١ ﴾ الحجر: ٥١؛ أُمر النبي ﷺ بإخبار قومه عن ضيف إبراهيم ﷺ، وقد اشتمل هذا الإخبار –كما في الآيات اللاحقة[2]– على تبشير إبراهيم ﷺ بغلام عليم، وهذا مظهر رحمة جماليّ، كما اشتمل الإخبار كذلك على هلاك قوم لوط ﷺ

---

[1] حوّى، (**الأساس في التفسير**)، ج7 ص3446.

[2] الآيات [52–74] من سورة الحجر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالصيحة، وهو مظهر نقمة جلاليّ؛ فاشتمل نبأ النبي ﷺ لقومه على إخبار عن رحمة الله ونقمته، وفي هذا درس للداعية.[1]

المسألة الثالثة: التبشير

من الأمور المهمّة التي يجب أن يأخذها الداعية بعين الاعتبار في دعوته، بثّ الأمل بنصر الله في نفوس المسلمين؛ لما لهذا الأمر من دور عظيم في دفع المسلم إلى أقصى حدود العمل وبذل الجهد، وقد جاء هذا التوجيه، في تفسير حوّى لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ التوبة: ٣٣، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾ الفتح: ٢٨، ويستنكر حوّى في هذا المقام على المربّين الذين أصبح كلامهم كلّه يأساً، ويربون المسلمين عليه، ويردّ عليهم من خلال قول النبي ﷺ: "من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم"[2]، وكذلك يستنكر على كلّ من يظنّ أنّ الإسلام قد انتهى دوره، ويردّ عليه من خلال السنّة الصحيحة، ممّا يدلّ على أنّ الإسلام سينشط بعد فتوره، ومن ذلك قوله ﷺ: "مثل أمّتي مَثل المطر، لا يدرى أوّله خير أم آخره؟"[3].

المسألة الرابعة: توجيهات متعلّقة بأخطاء السالكين

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص2884، ج11 ص6243.

[2] وقد وجدت الحديث بلفظ: "من قال هلك الناس، فهو أهلكهم". مسلم، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب النهي من قول هلك الناس، ج4 ص2024، حديث رقم: 2623.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص2275، ج9 ص5373؛ لمزيد حول مناقشة هذا الموضوع، يحيل الشيخ إلى كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً).

والحديث أخرجه الترمذي، **(سنن الترمذي)**، كتاب الأمثال، باب مثل أمّتي مثل المطر، ج5 ص152، حديث رقم: 2869، حكم الترمذي على الحديث: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا بدّ أن يصادف الداعية بعض العقبات في دعوته؛ سواء مع دائرته الخاصّة من طلّاب التزكية، أو في دعوته لعامّة الناس، وما أنا بصدد ذكره في هذا المقام، هو العقبات المتعلّقة بأخطاء الطالب في سلوكه، وموقف الداعية من ذلك، ويمكن توضيح هذه المسألة من خلال مايلي:

1. الصحبة مقيّدة بقيود الشرع، وما اتُفق عليه من شروط؛ وقد أفاد حوّى هذا المعنى من قصّة موسى مع الخضر ﷺ؛ أمّا من حيث موافقة الشرع؛ فإنّ الأفعال التي قام بها الخضر ﷺ ليست مشروعة في الظاهر، ومع علم موسى ﷺ بأفضلية الخضر ﷺ منه في بعض جوانب العلم؛ إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من النكير عليه، والنبي موسى ﷺ محلّ قدوة؛ لكونه من جملة الأنبياء الذين قال الله في حقّهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ الأنعام: ٩٠؛ وبناء على ذلك يبيّن الشيخ أنّ المسلم إذا رأى ما ظاهره منكر، لا يسعه إلا أن ينكره بغضّ النظر عن فاعله، مراعياً الأدب في الإنكار، لاسيّما إذا كان المُنكَر عليه صالحاً؛ لاحتمال أن يكون للمسألة وجه، إن كانت المسألة ممّا يحتمل وجوهاً، ويؤكد الشيخ على هذا المعنى ليردّ على بعض الشيوخ الذين يطالبون تلاميذهم بالأدب الذي طالب به الخضرُ موسى ﷺ ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي ﴾ الكهف: ٧٠، فيقول: " إنّ شريعتنا كاملة، وكلّ وضع له في شريعتنا حكم، وعلى الداعية إلى شيء أن يقيم الدليل؛ وإلّا فاتّباع كتاب الله، وسنّة رسوله هو الأولى".

أمّا من حيث الالتزام بشروط الصحبة؛ فقد اشترط الخضر على موسى ﷺ عدم السؤال كما في قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ ﴾ الكهف: ٧٠؛ فإذا كان السير مشروطاً بشرط وحدث إخلال بهذا الشرط، فإنّ المخلّ يفارق، إلا إذا تنازل الطرف الآخر عن حقّه[1].

2. في حال قيام طالب التزكية بعمل سيء؛ فإنّ موقف الداعية حيال ذلك هو التبرؤ من العمل وليس من ذات الطالب، ويستدلّ حوّى على ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ ﴾ الشعراء: ٢١٦، وفي ذات السياق فيما يتعلّق بالدعوة الشاملة يستدلّ بقوله تعالى: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ المائدة: ٦٣، على أهمّية مخالطة الناس وتقويم أخطائهم، وينكر على من يعتزلهم من العبّاد والزهّاد[2].

3. من خلال قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ ﴾ عبس: ١ – ٤، يبيّن حوّى أنّ على الداعية الإقبال على طالب التزكية كائناً من كان، وأن يعطيه الرعاية الكاملة، وألّا يتشوّف لمن ترفّع عن دعوته؛ فمهمّة الداعية التزكية والتذكير؛ "فكم من إنسان لا تعطيه أهمّية ويكون خيراً من مئات من من الناس الذين يظن فيهم الخير، ثم لا يخرج منهم شيء كثير".[3]

4. في ظلّ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3212 ص3217.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3960، ج3ص1435.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6374 ص6382–6383.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ الحج: ٥٢ –٥٣، يبيّن حوّى أنّ الشيطان لن يترك المدعوين بلا إلقاء، وأنّ لله ﷻ سُنّة هي أن يكون المناخ الملائم لنفاذ أمر الإلقاء هو القلب المريض والقاسي، وما دام القلب كذلك؛ فإنّ للشيطان سبيلاً إلى فتنة الإنسان وفي سبيل خلاص القلب من ذلك يشير حوّى إلى أهمّية الدور الذاتي الذي يبذله الطالب؛ فمهمّا كان المربّي قويّاً لن ينجح في علاجه إذا لم يبذل الطالب جهده، وفي هذا المقام، يرشد الشيخ إلى ترك كل ما يقسّي القلب، ككثرة الكلام ونحوه، وضرورة التسلّح بالعلم.[1]

ومن جانب آخر لا بدّ أن يأخذ الداعية بعين الاعتبار أنّه إذا حدثت استجابة لإلقاء الشيطان، فإنّ ذلك سيثمر موقفاً من الطالب ضدّ الداعية، ويبيّن حوّى موقف الداعية تجاه ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ الحج: ٦٠؛ فقد يقابل الداعية الموقف بمثله، ولا حرج عليه إن فعل، وفي حال ظُلمه فإنّ الله سينصره، وهذا النصر سنّة من سنن الله ﷻ أيضاً، ولا بدّ أن يكون الداعية على ذكر دائم لهاتين السنّتين، حتّى لا يشعر بالأسى في ظلّ ما سيواجهه في دعوته؛ فبمعرفة السنّة الأولى (إلقاء الشيطان المستمر وتأثيره في مرضى القلوب)، لن يتفاجأ الداعية عند رؤية خلل

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص 3582 ص3596–3597.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في تصرفات الأتباع، وبمعرفة السنّة الثانية (صدور موقف ضد الداعية) سيصبح الداعية أكثر إقداماً على العقوبة العادلة.[1]

المطلب الرابع: توجيهات متعلّقة بعملية الإنذار

إنّ من مهام الدعاة إلى الله ﷻ البشارة والنذارة ويكون ذلك بالأقوال والأفعال، وفقد بيّن حوّى ﷺ أنّ "الإنذار في حقّ الكافرين والغافلين مقدّم على التبشير، كما يقدّم التبشير في حقّ المؤمنين"[2].

وقد كان الغالب على توجيهات الشيخ المتعلّقة بالدعوة أنّها متعلّقة بجانب الإنذار، ويمكن تعليل ذلك؛ بكون العصاة والغافلين هم الوجهة الأهمّ للداعية، رغم عموم دعوته.

وقد وجدتُ أنّ جلّ توجيهات الشيخ ﷺ المتعلّقة بعملية الإنذار مستوحاة من سورة نوح ﷺ؛ فيرى الشيخ أنّ السورة اشتملت على عدّة دروس في الإنذار، ومن الدروس التي ذكرها الشيخ[3]:

1. إظهار الشفقة والحرص على المدعويين، وقد أفاد الشيخ ذلك من نداء نوح ﷺ لقومه وإضافتهم لنفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾ نوح: ٢.
2. تحديد مضمون الدعوة وطبيعتها؛ بحيث لا يترك الداعية فرصة لأحد يعطي الآخرين تصوّراً خاطئاً عنه؛ فنوح ﷺ حدّد مضمون دعوته وهو: العبادة والتقوى والطاعة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ نوح:٣.

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3583 ص3599.

[2] **المرجع السابق**، ج5 ص2533.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6149-6160.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. ضرورة التربية على العبادة والتقوى والطاعة مجتمِعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ نوح:٣؛ فباجتماع هذه المعاني ينتقل المجتمع من طور إلى طور، ويبيّن حوّى أنّ الدعاة الكاملين هم الذين يربّون على هذه المعاني مجتمعة، ضمن صيغة قرآنية إسلامية، وإذا لم تكن التربية على هذا النحو فستكون النتيجة قصوراً في أحد هذه المعاني، لاسيّما الطاعة؛ فقد أنكر حوّى إهمالها على كثير ممّن يشتغلون في الدعوة في هذا العصر، فأنتج ذلك طاعة للكافرين من قبل كثير من المسلمين.

4. اشتمال دعوة الداعية إلى الله ﷻ على الوعد الآخروي، وهي بهذا تتميّز عن الدعوات الدنيوية، وقد أفاد حوّى هذا المعنى من قوله تعالى على لسان نوح ﷺ داعياً قومه: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ نوح: ٤.

5. استمرارية الدعوة في كلّ الأحوال، والدأب الدائم على الدعوة؛ لتفاوت الناس في الأوقات المناسبة لدعوتهم، وجاء هذا الدرس في ظلّ قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ ﴾ نوح: ٥.

6. استخدام كلّ الوسائل العلنية والسرّية في تبليغ الدعوة، كما في قوله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ ﴾ نوح: ٨ – ٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

7. التركيز في الدعوة على الاستغفار، وتعظيم الله، كما فعل نوح ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾ نوح: ١٠، وقوله تعالى:﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ ﴾ نوح: ١٣[1].

8. استدعاء المدعويين من الطريق التي يحبّونها، ويأتي ذلك ضمن أسلوب الترغيب في الدعوة؛ فقوم نوح ﷺ كانوا أهل دنيا، فرتّب على استجابتهم له، تحقّق رخاء دنيوي من إرسال الأمطار، وإمدادهم بالمال والبنين، وغير ذلك، كما في قوله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ نوح: ١٠ – ١٢.

أمّا عن دروس الإنذار من غير سورة نوح ﷺ، فمن ذلك:

1. التدرّج في الإنذار، ويوضّح حوّى ذلك من خلال مثال من سورة المؤمنون؛ فقد أنذر الله ﷻ كافري قريش بثلاثة أشياء حتّى يخرجهم من غمرة قلوبهم؛ أنذرهم بداية بأخذ المترفين كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤ ﴾ المؤمنون: ٦٤، ثمّ بأخذ الجميع، كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾ المؤمنون: ٧٧، ثمّ بالموت وما يجدونه بعده من عذاب البرزخ ، كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن

[1] وقد أشار حوّى إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ ﴾ المدثر: ٣، حيث قال ﷺ: "إنّ الأمر بالتعظيم في سياق الأمر بالإنذار، إشعارٌ بأنّه بدون تعظيم كامل لله في القلب لا تتأتّى عملية الإنذار". حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6229.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠، والإنذار الأخير كان من خلال ذكر الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠١.[1]

2. أهمّية الإنذار بيوم القيامة:

والإنذار بيوم القيامة وغيره يندرج تحت أسلوب الترهيب في التربية، وقد ظهر من خلال البند السابق أنّ الإنذار الأخير كان بيوم القيامة، وقد أكّد حوّى على أهمّية هذا النوع من الإنذار من خلال عدّة آيات؛ ففي كلمة أخيرة عن سورة الشورى، والتي اشتملت على قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ الشورى: ٧، يقول ﷺ: "إنّ من حِكَمِ إنزال القرآن الكبرى الإنذار بيوم القيامة ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾، ومن ثمّ فعلينا أن نلاحظ هذا المعنى في التعليم والوعظ والتربية؛ لأنّ القرآن ذكَره وكأنّه الحكمة الوحيدة، أقول هذا لأنّ الإنذار باليوم الآخر يكاد يكون معدوماً في تعليم العلماء وخطب الخطباء، على حساب مواضيع أخرى لا ننكر أهمّيتها، ولكن يجب أن نعطي كلّ قضية حجمها"[2].

وفي حديث الشيخ عن سياق سورة المدّثر، يبيّن كيف أنّ السورة صبّت في سياقها الرئيس على التذكير بيوم القيامة في البداية والوسط والنهاية؛ فمن البداية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ المدثر: ٨ ، ومن وسطها، قوله تعالى:﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ المدثر: ٢٦ ، ومن

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3653 ص3668.

[2] **المرجع السابق**، ج9 ص5113.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النهاية، قوله تعالى:﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ المدثر: ٤٢، وقد ذُكر فيما سبق أن سياق سورة المدّثر هو الإنذار؛ لقوله تعالى: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ المدثر: ٢ ، ويرى حوّى أنّ مجيء التذكير بالآخرة في هذا السياق، يدلّ على أنّ الإنذار مرتبط ارتباطاً كاملاً بموضوع اليوم الآخر، ويبيّن أنّه لا مذكّر بالآخرة كالقرآن الكريم؛ فأداة الإنذار هو القرآن الكريم، وفي هذا السياق يبيّن ﷻ أنّ من الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم لتهيئة النفس لقبول الإنذار: التعريف على الله ﷻ، وعلى القرآن الكريم؛ فهو تذكرة، كما في قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾﴾ المدثر: ٥٤؛ وبناء عليه، يوجّه حوّى الدعاة للإكثار من تفسير القرآن الكريم، وربط الناس به، وقد أشار إلى المعنى الأخير في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ القمر: ٤، ففي الآية إشارة إلى أنّ القرآن الكريم هو النذير الكافي والمستمر إلى يوم القيامة؛ فلا بدّ من التركيز على ربط الإنسان به.[1]

3. التذكرة تنفع القلوب المؤمنة:

ذكرُ في البند السابق من خلال سورة المدّثر أنّ القرآن الكريم تذكرة، وفي قوله تعالى في سورة طه: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾﴾ طه: ٣، بيان لأهل هذه التذكرة، والخشية من ثمار الإيمان –كما تمّ بيانه سابقاً–، وقد بيّن حوّى في أكثر من موضع أنّ التذكرة إنما تنفع القلوب المؤمنة، وأنّها لا توضع عند غير أهلها، وقد استدلّ على ذلك، من خلال عدّة آيات منها، قوله تعالى:﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ ﴾ الزمر: ١٦، وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذاريات: ٥٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6242، ج10 ص5606.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧، ومن الآية الأخيرة يستدلّ حوّى على أنّ الإنسان المتأمّل والمتدبّر ينتفع أيضاً بالتذكرة.[1]

وخلاصة أمر التذكرة أنّ فحوى الدعوة متوقّف على الشخص المدعو، وكلٌ له خطابه؛ فمن يخاف وعيد الله يُذكّر بالقرآن حتّى يرجع، كما في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ق: ٤٥ فالمؤمن ينتفع بالذكرى بلا شكّ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذاريات: ٥٥ فما دام في قلوب المسلمين إيمان، لا مكان للقول بأنّه لافائدة من العمل أو التذكير، أما الكافرون فقسمان: منهم من في قلبه محلٌ لوعيد الله، فهذا يذكّر بالقرآن، لعلّ الذكرى تنفعه، ومن ليس في قلبه محل لوعيد الله، فنقطة البداية معه أن تقام عليه الحجّة بوجود الله[2]، والمخطّط الآتي يلخّص السابق:

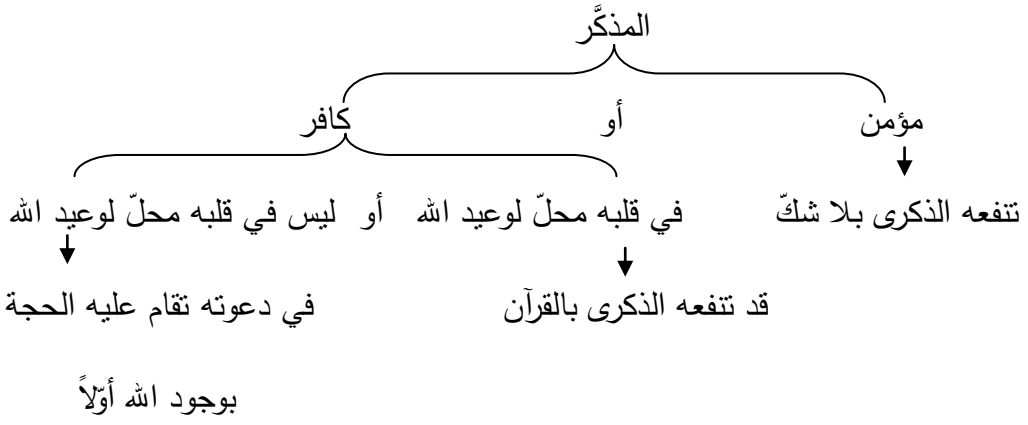

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص4864 و ص5463، ج10 ص5523.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج10 ص5530.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد، فهذه أبرز توجيهات الشيخ ﷺ المتعلّقة بعناصر عملية الدعوة، وقد اجتهدت في جمعها وتبويبها وترتيبها، بالشكل الذي يوضّح ملامح منهج الشيخ في الحديث عن ذلك، وأرجو أن أكون وفقّت في هذا العرض، والله المستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

وسائل التزكية ومعيقاتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: وسائل التزكية

المبحث الثاني: معيقات التزكية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾

آل عمران: ١٦٤

إنّ التزكية إلى جانب تلاوة القرآن وتعليم الكتاب والحكمة، هي وظائفٌ للمربّي الأوّل لهذه الأمّة ﷺ؛ فالتزكية إذن هي إحدى وظائف المربّي[1]، وقد تعدّدت أقوال الباحثين في العلاقة بين التربية والتزكية؛ فمن قائل بأنّهما مترادفتان[2]، وقائل بأن التزكية تمثل تعديل السلوك في التربية الحديثة[3]، وقائل بأنّها مطلب فوق التربية[4]، وما رجّحته خلال بحثي هو القول الأخير وهو أنّ التزكية ثمرة التربية ومطلب فوقه، والتربية هي الوسيلة المعينة على تحقيقه، وهذا ما يمكن استنتاجه من قول الآلوسي ﷺ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾ النساء: ٣، حيث علّل ﷺ الأمر الإلهي بقوله: " لتقلّ شهواتكم وتحفظوا فروجكم فتستعينوا بذلك على **التربية**، لما يحصل لكم من **التزكية** عن الفاحشة" [5]؛ فتنفيذ الأمر هو نوع تربية، وثمرته هنا التزكية عن الفاحشة.

---

[1] انظر: النحلاوي، **(أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع)**، ص139.

[2] انظر: فحلة، حسن أحمد، ***أثر السنّة في توجيه العلوم التربوية والاجتماعية***، **مؤتمر السنّة النبوية في الدراسات المعاصرة**، جامعة اليرموك، الأردن، 2007/4/18. مقالة 7 ص37.

[3] انظر: **المرجع السابق**، مقالة 7 ص36.

[4] انظر: الجيوسي، عبد الله محمّد، ***البناء النفسي للمسلم في ضوء السنّة النبوية وأبعاده الحضارية***، **مؤتمر السنّة النبوية في الدراسات المعاصرة**، جامعة اليرموك، الأردن، 2007/4/18. مقالة 13 ص4.

[5] الآلوسي، **(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)**، ج2 ص419.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك فقد تبنّى هذا القول من المحدثين الشيخ محمّد قطب ﷺ، حيث قال في كتابه منهج التربية الإسلامية: " **التربية** الإسلامية على منهج الله هي التي تعين الإنسان على **تزكية** نفسه أي: تقويمها على الفطرة السليمة".[1]

وفي الفصول السابقة تمّ الحديث عن منهج الشيخ في تربية الإنسان؛ قلباً وجسماً وأخلاقاً كذلك تمّ الحديث عن منهج حوّى في الحديث عن عناصر عملية الدعوة، وفي هذا الفصل أتطرق للحديث عن الغاية من ذلك كلّه، وهو تزكية النفس؛ من حيث ما يعين عليها، وما يعيقها فمن تحقّق بالتربية الإسلامية للقلب والجسم والأخلاق، وتحقّق بالتربية الإسلامية للمتعلّم إن كان متعلّماً، أو للعالم إن كان عالماً، هو مظنّة أن تكون نفسه مزكّاة، لكن لا بدّ لصاحب هذه النفس أن يكون على وجل، فهناك ما يعيق التزكية، وفي المقابل هناك ما ينمّيها، فلا بدّ أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الأمور.

وفي سبيل بيان كيفية تنمية هذه الثمرة –التزكية– والمحافظة عليها، وحتّى إيجادها، أتطرق في المبحث الأوّل من هذا الفصل للفتات حوّى التربوية فيما يتعلّق بوسائل التزكية، وفي المبحث الثاني سأتحّدث عن اللفتات التربوية المتعلّقة بمعيقات التزكية، والله المستعان.

[1] محمّد قطب، **(منهج التربية الإسلامية)**، ج2 ص477.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأوّل

وسائل التزكية

أتطرّق في هذا المبحث للحديث عن وسائل التزكية، وذلك ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: البيئة الصالحة (حياة المسجد، الصحبة الصالحة، التفوّق المدني)

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أهمّية المساجد في مدد الإيمان

يبيّن حوّى هذه الأهمّية من خلال السياق القرآني الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾ النور: ٣٦، فقد سُبقت الآية بوصف قلب المؤمن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥ ﴾ النور: ٣٥ ، يقول ﷺ: "وهذا يفيد أنّ مدد الإيمان مظنّته[1] المساجد، ومن ثمّ فعلى العلماء أن يقيموا حلقات العلم والقرآن في المساجد، من أجل أن يوقدوا مصباح الإنسان، وهو قلبه"، ثم يكمل قائلاً: "المساجد لها الدور الأوّل في إيجاد الإيمان، ووجود المؤمن، وهذا يجعل مسؤوليتنا كبيرة في عمارة

[1] بل مئنّته المساجد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المساجد..." ثمّ يكمل: " التربية الإيمانية الكاملة إنّما تكون في المسجد؛ إذ هي وحدها التي تتوافر فيها شروط التربية الصالحة".[1]

ومن ناحية أخرى يبيّن حوّى أن للمسلم آداباً مع المساجد، هي تعظيمها، وذكر الله ﷻ فيها.[2]

المسألة الثانية: الصحبة الصالحة

ويمكن توضيح ذلك من خلال ما جاء عن حوّى في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ التوبة: ١١٩، ويبيّن أنّ الصادقين إمّا مجاهد أو عالم، وقد اعتمد على نصوص القرآن الكريم في الوصول إلى هذه النتيجة، فمن الأدلّة على أنّ العالم يدخل في الصادقين، ورود قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢، في سياق الأمر بالكينونة مع الصادقين، وذلك في الآية السابقة، ومن الأدلّة على كون المجاهد داخل في الصادقين، قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٣، فحدّدت هذه الآيات وغيرها في كتاب الله ﷻ مفهوم الصادقين بما يقطع الدعاوى، حتّى يتسنّى للمسلم معرفتهم، فيلزمهم[3] يقول الشيخ ﷺ: "فالكينونة ينبغي أن تكون مع الذين يزاولون الجهاد، ومع العلماء، ولا يصحّ أن

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص3775. وينقل الشيخ في هذا السياق قول ابن كثير: **"لما ضرب الله ﷻ مثل قلب المؤمن... ذكر محلّها وهي المساجد، التي هي أحبّ البقاع إلى الله تعالى من الأرض"**. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج6 ص62.

[2] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3786.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج4 ص2368-2369.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون الكينونة مع أهل النفاق...، وخُتمت السورة –سورة التوبة– بوصف رسول الله ﷺ [1] ليقتدي به الصادقون، الذين ينبغي أن يكون الإنسان معهم".[2]

المسألة الثالثة: التفوّق المدني

ومن جانب آخر يرى الشيخ أنّ المدنية الإسلامية يجب أن تكون أرقى المدنيّات؛ لما لذلك من إخضاع نفسي لبقية المدنيات وأهلها، وكذلك من سبيل للقضاء على بعض أسباب الردّة المعاصرة، والمتمثّلة في التفوّق المدني للكافرين، حيث أدّت إلى وجود عقدة نقص عند المسلمين ومن جانب آخر أتاحت الفرصة للكافرين لمهاجمة المسلمين والتفاخر عليهم، وقد نبّه الشيخ ﷺ إلى هذا الدرس العظيم، من خلال قوله تعالى في شأن ملكة سبأ: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ النمل: ٤٤[3]، فكان التطور المدني في حضارة سليمان ﷺ سبباً لإخضاعها نفسياً، ومن ثمّ إسلامها.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ مريم: ٧٣، بيان لهذا المنطق عند الكافرين، والذي هو منطق أكثر الناس اليوم؛ إذ يحتجون برخاء عيش الشعوب كالأوروبية والأمريكية رغم كفرهم فيرفضون الإسلام، ويردّ الشيخ هذه الحجّة بتقرير حقيقة أنّ الغنى والفقر لا يتعلّقان بحقّ أو

---

[1] وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ التوبة: ١٢٨.

[2] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص2383.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص4017.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باطل[1]، وشاهد لذلك في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ المؤمنون: ٥٥-٥٦، ففي الآية نفي لارتباط فكرة الرخاء بفكرة رضا الله ﷻ.[2]

المطلب الثاني: مجالس القرآن والذكر والعلم

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: غياب العلم يزيد الاستعداد للفتنة

إنّ الظنون والأوهام تشكّل بناء الكفر؛ فالكفر لا يقوم على شيء يقيني، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ** وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦﴾ الأنعام: ١١٦، ولاتقف الأمور عند هذا الحدّ، بل إنّ غياب العلم يزيد من الاستعداد للفتنة في صفوف المؤمنين، وهذا درس استنتجه حوّى من قصّة السامري مع أتباع موسى عليه السلام[3]، يقول رحمه الله: "فقد استغلّ السامريّ روح الورع التي ربّاها موسى عليه السلام في أتباعه ليوجهها توجيهاً سيئاً، يخدم أغراضه الكافرة، وذلك قد يحدث دائماً إذا لم يوجد علم ووعي"[4] وبناء عليه يرى حوّى أنّ الاستعداد للفتنة يبقى دائماً، إذا لم يكن المسلم على غاية من العلم والوعي؛ فقد تكون الفتنة باسم الدين نفسه، وفي مقام آخر يبيّن حوّى أنّه لا ينبغي لأحد أن يتوقّف عن طلب العلم، وإن وصل نهايته؛ فهذا نبي الله موسى عليه السلام، كان شرطه في اتّباع

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3301-3302.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3647.

[3] وذلك في سورة طه، الآيات [83 – 97].

[4] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3382.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخضر ﷺ أن يأخذ العلم منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ ﴾ الكهف: ٦٦.[1]

المسألة الثانية: أهمّية تعاهد القرآن

على ضوء ما جاء في المسألة السابقة من أهمّية العلم والوعي في محاربة الفتنة، بيان في هذه المسألة لأهمّية العلم بما جاء في القرآن الكريم؛ فقد بيّن ﷺ أنّ أعظم أنواع الجهل هي الجهل بالكتاب والسنّة؛ وذلك لأنّ المسلم لن يعرف حدود وقيود شرع الله ﷻ إلا من خلالهما كذلك فإنّ سلامة التصوّر وسلامة السلوك تتوقّفان على معرفة ما جاء في الكتاب والسنّة، فينهى حوّى عن أن تتوقّف همّة المسلم دون استيعاب الكتاب والسنّة، ومن خلال قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ يونس:٥٧، يبيّن حوّى أهمّية أن يكون للمسلم وردَه اليومي من القرآن الكريم؛ فالقرآن يعالج الإنسان بأنواع معالجات، لا تُبقي جانباً من جوانب الإنسان إلا وتربّيه تربية كاملة.[2]

كذلك يشير ﷺ إلى أهمّية إعطاء الخطاب القرآني مدلوله العملي، وجاءت هذه الإشارة في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ ﴾ الغاشية: ١٧ – ١٨، تعقيباً على قول شريح القاضي ﷺ؛ حيث قال: "اخرجوا بنا حتّى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت"[3].

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1751، ج7 ص3382، ج6 ص3209.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2947، ج9 ص5052-5053.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6499؛ وقول القاضي شريح نقله الشيخ عن ابن كثير. ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج8 ص387.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويؤكّد الشيخ على أهمّية تعاهد القرآن الكريم في ظلّ تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ﴾ فصلت: ٤١؛ فيقول: "ومن عزّته أن لا يبقى في قلب، إذا لم يعط حقّه من العناية والرعاية"[1]، ويستشهد بقول الرسول ﷺ: "تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصّياً من الإبل من عقلها".[2]

المسألة الثالثة: أثر الذكر في التزكية

يسلّط حوّى الضوء على هذا المعنى أثناء تفسيره لسورة الأعلى؛ حيث بدأت السورة بالأمر الإلهي: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ الأعلى: ١، ثمّ بعد آيات جاء قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ الأعلى: ١٤ – ١٥، وفي ظلّ هذا السياق يقول ﷺ: "ومجيء ذكر الفلاح وربطه بالتزكية والصلاة، في سياق الأمر بالتسبيح لا يخفى؛ فالتسبيح جزء من الصلاة، وهو طريق إلى تزكية النفس، فبقدر استقرار التنزيه في النفس البشرية تكون تزكيتها وبقدر ما تُسبّح النفس، يكون استقرار التنزيه"[3]؛ فالتسبيح –وهو نوع ذكر–، مؤدٍ للتنزيه والتنزيه مؤدٍ للتزكية؛ فبقدر الذكر تكون التزكية.

كذلك من خلال آيات سورة الأعلى –وغيرها من السور القرآنية[4]– يدلّل حوّى على صلة ذكر التسبيح بتثبيت العلم والتيسير، حيث جاء في سياق الأمر بالتسبيح، قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ الأعلى: ٦، وقوله تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ الأعلى: ٨ ، وفي هذا المقام

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5031-5032.

[2] البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، ج4 ص1921، حديث رقم: 4746.

[3] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6483.

[4] كسورتي الحجر وطه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوجّه حوّى طلبة العلم للإكثار من هذا الذكر، كذلك فإنّ لذكر (لا إله إلا الله) أهمّية كبيرة في تثبيت المؤمن في الدنيا والآخرة[1]، ويبيّن ﷺ أنّه بقدر فهم هذا الذكر، وترداده تقوى جذوره في القلب، ولذكر الصلاة على النبي ﷺ أثره الكبير في الخروج من الظلمات إلى النور، فهذه الصلاة سبب لصلاة الله على العبد[2]، وقد وضّح حوّى أثر صلاة الله على العبد في هدايته وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمَا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣.[3]

---

[1] كما جاء في قول النبي ﷺ: "المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾" إبراهيم: ٢٧. البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب التفسير، سورة إبراهيم، ج4 ص1735، حديث رقم: 4422.

[2] كما جاء في قوله ﷺ: " من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً". مسلم، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذّن لمن سمعه ثمّ يصلّي على النبي ﷺ ثمّ يسأل الله له الوسيلة، ج1 ص288، حديث رقم: 384.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6480، ج5 ص2802، ج8 ص4451-4452. ويحيل الشيخ لكتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً) للاطلاع على أسباب صلاة الله ﷻ على العبد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

معيقات التزكية

تمّ التطرّق في المبحث السابق للحديث عن وسائل التزكية، وفي هذا المطلب سيتمّ التطرّق بإذن الله للحديث عن معيقات عمليّة التزكية، وذلك ضمن عدّة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأوّل: البيئة والصحبة الفاسدة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: خطورة البيئة الفاسدة

إنّ تواجد المؤمن في بيئة فاسدة، يجعله عرضة لأن تتسلّل إليه بعض أخلاق أهلها، وقد أشار حوّى إلى هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ﴾ المطففين: ١، فذكر أنّ خلق التطفيف قد يتسلل للمؤمن بسبب غفلة، أو ضعف إيمان، أو مخالطة بيئة فاسدة[1].

ومن مخاطر البيئة الفاسدة أنّها تفقد النفس خصائصها الأصيلة؛ لاسيّما إذا رافقها ترف ويستدلّ الشيخ على هذا المعنى من خلال الموقف الذي وقفه عزيز مصر من زوجته، عندما علم بمراودتها يوسف عن نفسه، حيث كان موقفه أن اكتفى بأمرها بالاستغفار لما عملته، كما جاء في قوله تعالى على لسان عزيز مصر: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩ ﴾ يوسف: ٢٩ [2]؛ فموقفه هذا دالٌ على غياب الغيرة من قلبه، وانحراف فطرته.

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج11 ص6424.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2653.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى بعض العلماء أنّ موقف العزيز مع زوجته صائب؛ فهو قدّم فيه حقّ الله ﷻ، حين أمر زوجته بالاستغفار، وتنازل عن حقّه فلم ينتقم لنفسه منها، وممّا يؤيّد هذا الرأي عدم إنكار الآيات في سورة يوسف على العزيز[1]، ومهما يكن من أمر، فإنّ الشاهد في هذه القصّة وهو أنّ للبيئة تأثيرها على خصائص النفس وانحرافها، هو المقصود والله تعالى أعلم.

وخطر البيئة الفاسدة يكون أشدّ، إن كان هذا الفساد في الطبقة الحاكمة؛ لما تملكه من صلاحيات، كفيلة بجعل آثار الفساد تعمّ ضعاف النفوس من الشعب وما أكثرهم، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ ﴾ سبأ: ٣٤، فيستدلّ حوّى من ذلك على أنّ المترفين –وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة[2]– هم الذين يتصدرون للصدّ عن سبيل الله ﷻ[3]، كذلك فإنّ ما تمّ ذكره سابقاً[4] من التوعية الشعبية ضدّ أهل الحقّ، هو أيضاً أثر من آثار فساد الطبقة الحاكمة، وقد تجلّى ذلك بموقف فرعون من موسى ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ ﴾ الشعراء:٥٣ – ٥٦.[5]

---

[1] وقد أشار إلى هذا المعنى فضيلة الشيخ الدكتور هارون كامل الشرباتي أثناء مناقشة هذه الرسالة، بتاريخ 2015/10/27.

[2] ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج6 ص521.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4540.

[4] انظر: ص150 من صفحات هذا البحث.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3918.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الثانية: موقف المسلم تجاه البيئة الفاسدة

من خلال استقراء توجيهات الشيخ ﷺ المتعلّقة بذلك، تبيّن أن هناك توجيهات على المستوى الشخصي للمسلم، وهناك توجيهات على المستوى الحاكم؛ أمّا بالنسبة للفرد المسلم فيمكن ترتيب ما يتعلّق به في النقاط التالية:

1. إنّ صلاح المؤمن في البيئة الفاسدة غير كاف لإنجائه من عذاب الله ﷻ، بل لا بدّ من سعيه في إصلاحها، فيبيّن حوّى من خلال قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ هود: ١١٧، أنّ العذاب مرافق للفساد، فلا يكفي صلاح أهل القرى، بل لا بدّ من إصلاحها؛ حتّى يأمنوا عذاب الله ﷻ[1].
2. بعد استنفاد المسلم وسعه في الدعوة، وإصلاح بيئته الفاسدة، يكون موقفه من تلك البيئة:
   - المفارقة بالقلب والبدن، ويشير حوّى إلى ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الكهف: ١٦؛ فأصحاب الكهف فارقوا الكفر وأهله بأبدانهم، ولم يكتفوا بالمفارقة القلبية.[2]
   - المفارقة بالقول والفعل، ويستدلّ حوّى على ذلك من خلال قصّة إبراهيم ﷺ مع قومه في سورة مريم ﷺ، وقد تجلّى هذا الموقف النبوي الراقي في قوله تعالى على لسان إبراهيم ﷺ:﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ مريم: ٤٨، ومن جانب آخر يرى أنّ في القصّة دلالة على

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2609.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3168.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنّ من قام بمثل هذا الموقف، سيكافئه الله المكافآت العظيمة في الدارين؛ وذلك لقوله تعالى بحقّ إبراهيم ﷺ بعد اعتزال قومه: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾ مريم: ٤٩ – ٥٠[1].

- وإن كان المسلم بعد عجزه عن تغيير الفساد، مأموراً بمفارقته قلباً وبدناً وقولاً وفعلاً فإنّه مأمور من باب أولى بعدم الركون لأهل الفساد، وقد جاء النهي عن الركون لأهل الفساد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾ هود: ١١٣، وبمناسبة هذه الآية يقول ﷺ: "تجد كثيرين من المسلمين، يركنون إلى من عطّل كتاب الله ﷻ ورفضه، ... ومن أعظم البلاء أن نرى أنّ أفظع أنواع الركون، يقوم به بعض من يعتبرون – عند العامّة – من علماء المسلمين..."[2].

أمّا عن المستوى الحاكم في المجتمع الإسلامي، فلا بدّ أن يكون له موقف إيجابي في الإصلاح ومواجهة الفساد، ولا يكتفِ بالإنكار، ويمكن توضيح ما ذكره الشيخ ممّا يتعلّق بذلك فيما يلي:

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3279.

[2] **المرجع السابق** ، ج5 ص2612.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. العمل على تغيير نفوس المؤمنين إلى الأحسن، وقد أشار حوّى إلى هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ الرعد:١١، فقال: "بدون تغييرٍ لأنفس الأمّة لا تطمع الأمّة بأحسن".[1]

2. الحدود والقصاص فرائض ربّانية، أُمر الحاكم بإقامتها حال وجود مبرّراتها الواقعية؛ لحسم مادّة الفساد في الأرض، وقد أشار حوّى إلى ذلك في سياق بيانه للوحدة الموضوعية في سورة المائدة؛ وقد اشتملت سورة المائدة على ذكر نوع إفساد في الأرض، وهو قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ، ثمّ تبع ذلك حديث عن القصاص وحدّ الحرابة للمفسدين، ثمّ ذِكْر الجهاد، وذِكْر حدّ السرقة، وذلك في الآيات التالية: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ المائدة: ٣٢ – ٣٣، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2746.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المائدة: ٣٥، ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨.[1]

3. جهاد الكافرين والقضاء على الكفر؛ فيرى الشيخ أنّ في إنكار موسى على هارون ﷺ، ومعالجتهما لفعل السامريّ[2]، حسم في القضاء على الكفر، وهذا هو الإصلاح ولو كان على حساب وحدة الأمّة[3]، ومزيد توضيح لهذا الإجراء في أجواء سورة محمّد ﷺ؛ حيث يقول ﷺ: "ومن السورة عرفنا أنّ الأمّة الإسلامية لا تقف من الفسوق موقفاً سلبياً، بل تقف منه موقفاً إيجابياً بالقتال، وباستكمال أسباب النصر، ...وعرفنا من السورة أنّ الإثخان في الفاسقين سواء كان فسقهم أصلياً، أو فسقهم بسبب الردّة، هو الطريق الرئيس، وإنّ كلّ فساد في المجتمع الإسلامي سببه ترك الجهاد، وعدم الإثخان، وفي ذلك تفصيل لطريقة استئصال الفسوق، والسيطرة عليه داخلياً وخارجياً"[4]، ويرى حوّى أنّ في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد: ٢٢ – ٢٣، دليل على أنّ ترك الجهاد عاقبته إفساد المسلمين في الأرض، وتقطيع أرحامهم، وما ينتج عن ذلك من استحقاقهم للّعنة وعمى القلب.[5]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1339، 1372، 1378.

[2] القصّة في سورة طه، الآيات [86-97].

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3382.

[4] **المرجع السابق**، ج9 ص5334.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5315.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: فتنة الدنيا والنساء

وفيه عدّة مسائل:

المسألة الأولى: نظرة الناس للحياة الدنيا

يشير حوّى إلى البعد الفطري لحبّ الدنيا في النفس الإنسانية؛ فعند قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾ طه: ١٢٠، يقول ﷺ: "دلّ ذلك على أنّ الرغبة في الخلود والملك، نزعتان عميقتان في الطبيعة البشرية استغلها الشيطان لحرف الإنسان عن أمر الله ﷻ، وهما نزعتان لا يزال الشيطان يستغلّهما لصرف الإنسان عن وحي الله ﷻ وكتبه".[1]

ويرى ﷺ أنّ وضع أكثر الخلق الآن، هو تعظيم الدنيا وتمجيدها، والتهالك عليها، دون النظر إلى الآخرة، حتّى إنّ المدنية والحضارة العالميتين، تقومان على هذا النوع من التفكير، وقد أشار إلى هذا المعنى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ يونس: ٧، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ ﴾ القصص: ٥٧، يشير إلى حرص الناس على الدنيا، وكيف أنّ هذا الحرص يصرفهم عن اتّباع سبيل الله ﷻ.[2]

المسألة الثانية: الحياة الدنيا في التصوّر الإسلامي

إنّ للحياة الدنيا ظاهراً وباطناً، فما يُعرف من زخارفها وقوانينها وزينتها هذا هو ظاهرها، أمّا باطنها فهو كونها طريق للآخرة، تدلّ بظواهرها على الله ﷻ، ويتزوّد فيها المسلم بالعمل الصالح

---

[1] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3409.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج5 ص2429، ج7 ص4101-4102.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أفاد الشيخ هذا المعنى من خلال قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الروم:٧.[1]

ومن القضايا التي يعالجها القرآن الكريم ممّا يتعلّق بشأن النظرة إلى الدنيا، قضية ارتباط فكرة الرخاء بفكرة رضا الله ﷻ، فعند قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ المؤمنون: ٥٥ – ٥٦، يبيّن الشيخ ﷺ أنّ الرخاء الدنيوي ليس مقياس الرضى من الله ﷻ، بل إنّ علامة الرضى هي التوفيق للعمل الصالح، وهو الشكر العملي على ما أباحه الله ﷻ من الطيّبات[2].

وفي سياق الحديث عن تصحيح التصورات حول الدنيا، يبيّن حوّى أنّ القرآن الكريم قرّر ميزان الخير والشرّ، كما جاء في سورة البيّنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ البينة: ٦ – ٧، وبناء على هذا الميزان يتعجّب ﷺ من جهل من يحكم لكافر بالخيرية، وقد قرّرت هذه الآية أنّه شرّ البرية، وفي المقابل يتعجّب من جهل من من يحكم على مؤمن بالشرية، وقد جعله الله ﷻ خير البرية.[3]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج8 ص4251.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج7 ص3647 وص3650.

[3] انظر: **المرجع السابق**، ج11 ص6624.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسألة الثالثة: أنواع الفتن

من الفتن التي ذكرها القرآن الكريم، وتطرق الشيخ للحديث عنها[1]:

1. فتنة المال والولد؛ فالأموال والأولاد لا تخلو من الفتنة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ التغابن: ١٥، ويبيّن الشيخ أنّ رؤية المسلم الكافرَ في حالة اقتصادية أجود من حالته، من الأسباب التي قد تفتن المسلم عن دينه[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦﴾ الجن: ١٦، درس للذين ينحرفون عن دين الله ﷻ ابتغاء الرزق؛ فالاستقامة لا تعني الحرمان، بل التوسعة في الرزق. [3]

ويوضّح حوّى خطورة فتنة المال والعيال من خلال السياق القرآني الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ الأنفال: ٢٨، فقد اشتمل السياق حديثاً عن ترك القتال، وحديثاً عن خيانة الله ﷻ ورسوله، وذلك بالمعصية، وحديثاً عن خيانة الأمانة وذلك بإفشاء الأسرار، ويعلّل حوّى أمْر المسلم أن يعلم أنّ أمواله وأولاده فتنة في هذا السياق؛ بأنّه في الغالب لا يدفع

---

[1] وينقل الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ العنكبوت: ٢ – ٣، ينقل عن صاحب الظلال حديثه عن الفتن وأنواعها، ومن ذلك: فتنة التعرض للأذى من أهل الباطل، وفتنة الخوف على الأهل والأحياء، وفتنة إقبال الدنيا على المبطلين، وفتنة الغربة في البيئة والاستيحاش في العقيدة، وفتنة أن يجد المؤمن دولاً غارقة في الرذالة ومع ذلك متحضّرة في حياتها، والفتنة الأعنف فتنة النفس والشهوة. انظر: قطب، **(في ظلال القرآن)**، ج5 ص2720–2721.

[2] يحيل الشيخ في هذا المقام إلى كتابه (الإسلام)، لمزيد بيان في هذا الموضوع.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج10 ص5958، ج9 ص5135، ج11 ص6180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسان إلى هذه الأمور إلّا رجاء مال أو خوف على العيال، أو نسياناً لما عند الله ﷻ.[1]

2. فتنة النساء: وهي أفظع الفتن التي يمكن أن تمرّ بالإنسان، وقد وضّح الشيخ ذلك في تعليق على قصّة يوسف ﷺ، يقول ﷺ: "نلاحظ أنّ يوسف ﷺ استقبل فتنة الإلقاء في البئر بالصبر، واستقبل العبودية بصبر، واستقبل السجن بصبر، ولكنّه شكا هذه الشكوى الحارّة[2] عندما تعرّض لفتنة الجمال، وقال قبل ذلك: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ يوسف: ٣٣؛ ففتنة الجمال هي الفتنة التي تعصف برأس الحكيم، ومن ثمّ قال ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء""[3].

المسألة الرابعة: موقف المسلم من زينة الدنيا

"إنّ العامل الأول في صرف الناس عن الدخول في الإسلام كافّة، هو تزيين الحياة الدنيا وازدراء أهل الإيمان"[4]، لتوهّمهم أنّ ذلك الدخول قرين الحرمان، ويبيّن الشيخ من خلال قوله تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦﴾ الأعلى: ١٦، أنّ إيثار الحياة الدنيا هو العلّة الرئيسة لرفض التذكير والتزكية والصلاة.[5]

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص2139.

[2] وهي ما جاء في قوله تعالى على لسان يوسف ﷺ: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ يوسف: ٣٣.

[3] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2653، والحديث رواه البخاري، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، كتاب النكاح، باب ما يتّقى من شؤم المرأة، ج5 ص1959، حديث رقم: 4808.

[4] حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3203-3204.

[5] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3227-3228، و ج11 ص6482؛ ومن الأدلّة أيضاً على كون الدنيا تشغل المؤمن عن ربّه، ما قاله الشيخ بمناسبة قوله تعالى عن سليمان ﷺ: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّيۖ﴾ص: ٣٢. انظر: **المرجع السابق**، ج8 ص4778.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن جانب آخر يستدلّ حوّى من خلال قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ الحجرات: ٣، على أنّ القلوب تفتن، ومنها ما ينجح ومنها ما يسقط.

وبناء على ما سبق ينبغي على المسلم أن يكون حذراً تجاه زينة الحياة الدنيا، وقد جاءت لفتات تربوية للشيخ تتعلّق بموقف المسلم من ذلك، لاسيّما في ظلال سورة الكهف؛ فقد بيّن حوّى أنّ السورة تعالج بطريقة مدهشة ومربّية وموجّهة، أهمّ قضية تواجه مشاعر أهل الإيمان ليلاً ونهاراً، وهي زينة الحياة الدنيا[1]، وقد حرّرت السورة المسلم من الركون إلى زينة الحياة الدنيا من خلال مايلي[2]:

1. الفرار من الفتنة، اقتداءً بأصحاب الكهف، الذين اعتزلوا إلى الكهف، ودعوا دعاء الفارّين بدينهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ ﴾ الكهف: ١٠.
2. صبر النفس مع أهل الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ الكهف: ٢٨.
3. النهي عن التطلّع لمجالسة أهل الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ الكهف: ٢٨.

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج6 ص3149-3150 و ص3244.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص3166 وص3181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. النهي عن طاعة الغافلين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف: ٢٨.

5. الأمر بقول الحق، كما في قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الكهف: ٢٩.

6. التذكير بجزاء الكافرين والمؤمنين، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الكهف: ٢٩ – ٣٠.

المطلب الثالث: وساوس الشيطان وتزيينه

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أين يؤثّر إلقاء الشيطان

إنّ الشيطان في معركته مع الإنسان قد أخذ على عاتقه إضلال قدر معلوم من الناس، كما جاء عنه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ النساء: ١١٨، ويبيّن حوّى أنّ سلاح الشيطان في معركته مع المؤمن هو **التزيين والإغواء**، كما جاء عن إبليس في قوله تعالى: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الحجر: ٣٩، والتزيين يكون بتزيين الشهوات والمعاصي والمنكر والحال السيء، أمّا الإغواء فيكون عن الحقّ وصراط اللهﷻ، وعن السنن.[1]

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج2 ص1173–1174، ج6 ص2881–2882.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أشار حوّى إلى بعض صفات من يؤثّر فيهم هذا التزيين والإغواء، وذلك في ظلال بعض الآيات، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ ﴾ الحج: ٥٣؛ فسنّة الله ﷻ أن يؤثّر إلقاء الشيطان في مرضى القلوب، وأصحاب القلوب القاسية.[1]
- قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ١١٣ ﴾ الأنعام: ١١٣، وقد سُبقت هذه الآية بالحديث عن إيحاءات شياطين الجنّ والإنس[2]، وقد بيّنت الآية أنّ هذا الإيحاء يجد مكاناً له في قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، والذين يقترفون المعاصي.[3]

المسألة الثانية: كيف يواجه المسلم ما يلقاه من الشيطان

أشار حوّى إلى بعض الأمور التي من شأنها أن تخرج الإنسان من الدائرة المتأثّرة بإلقاء الشيطان، ومن ذلك:

- التحقّق بالإيمان والتوكّل والتقوى؛ فيذكر الشيخ أنّ المؤمن المتوكّل لا يقبل من الشيطان وساوسه، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾ النحل: ٩٩[4]، وفي مقام آخر يشير إلى أثر

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج7 ص3582.

[2] كما في قوله تعالى: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج3 ص1749.

[4] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2997.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التقوى في صدّ وساوس الشيطان، وقد جاءت هذه الإشارة في ظلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ الأعراف: ٢٠١؛ فعباد الله المتقين برعاية الله ﷻ لهم تذوب وساوس الشيطان أمامهم.[1]

- التحقّق بصفات عباد الله المخلَصين، فقد استثناهم إبليس من هدف الغواية والتزيين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ الحجر: ٣٩ – ٤٠، ويبيّن ﷺ أنّ عباد الله ﷻ قد وردت صفاتهم في أكثر من مكان، كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ الفرقان: ٦٣، والمخلَصين هم الذين اجتمع لهم العلم والعمل والإخلاص، فأُخلصوا.[2]
- قراءة القرآن: للقرآن أثره الذي لايخفى في حماية المؤمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ٤٥﴾ الإسراء: ٤٥، وهذا لا يمنع من أن تكون بعض آياته أكثر خصوصية في علاج وساوس الشيطان، ومن ذلك ما ذكره حوّى بشأن قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص2057–2058.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج6 ص2881–2882. وقد تمّ الحديث عن طريق الوصول إلى رتبة المخلَص وأدلّة ذلك في توجيهات الشيخ لطالب التزكية، صفحة 158، وقد أشار ﷺ إلى أهمّية تذكّر الآخرة في الوصول إلى هذه الرتبة، ومن ثمّ النجاة من تزيين الشيطان وإغوائه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ٢٠ ﴾ إبراهيم: ١٩ – ٢٠؛ فيرى أنّ هاتين الآيتين دواء للشكّ ودواء من الوسوسة؛ فقد جاءتا في سياق دعوة الرسل ﷺ لأقوامهم وشكّ أقوامهم في هذه الدعوة؛ فاستدلّ الشيخ من سياق الآيات على المعنى الذي ذهب إليه.[1]

- الذكر: إنّ للمداومة على ذكر الله ﷻ أهمّية كبيرة في صرف الشيطان، وقد أشار حوّى إلى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ ﴾ الزخرف: ٣٦، وفي هذا المقام ينقل قول الإمام النسفي ﷺ، من أنّ من داوم على ذكر الله ﷻ لم يقرنه الشيطان.[2]
- الاستعاذة بالله ﷻ: وهي الحيلة الوحيدة في شأن شيطان الجنّ إذا وسوس، كما ذكر الشيخ نقلاً عن ابن كثير ﷺ، وذلك بمناسبة قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ فصلت: ٣٦[3]، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ الأعراف: ١٧، يبيّن الشيخ أنّ الاستعاذة

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج5 ص2798.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5141؛ وانظر: النسفي، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، ج3 ص273.

[3] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج9 ص5023؛ وانظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج7 ص181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون من الجهات كلّها، وذلك في مقابل قسم إبليس أن يتسلّط على الإنسان من جهاته كلّها.[1]

- إضافة لما سبق، يذكر الشيخ طريقة معالجة شيطان الإنس، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ فصلت: ٣٤، ، وينقل عن ابن كثير ﷺ قول ابن عبّاس ﷺ في تفسير هذه الآية: " أمَر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله ﷻ من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم".[2]

وبقي أن أذكر عائقاً أختم به هذا المبحث، وهو شعور المؤمن بأنّه أرقى من الناس، وقد نبّه الشيخ ﷺ على هذا المنزلق الخطر، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ﴾ طه: ٨١-٨٢، يقول ﷺ: " إنّ أهل الإيمان إذا أيّدهم الله ﷻ، قد يظنّون أنّ لهم شأناً خاصّاً عند الله ﷻ، يبيح لهم أن يفعلوا ما شاؤوا؛ فيخالفوا ويعصوا، ...ففي الآيات تنبيه لأهل الإيمان على منعرج خطر في الطريق، ... ثمّ أكمل الله ﷻ الدرس بأن دلّ على الطريق في حالة وقوع الطغيان، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح والاستقامة"[3].

---

[1] انظر: حوّى، **(الأساس في التفسير)**، ج4 ص1879.

[2] انظر: **المرجع السابق**، ج9 ص5023.

[3] **المرجع السابق**، ج7 ص3379، وللوقوف على قول ابن عبّاس؛ انظر: ابن كثير، **(تفسير القرآن العظيم)**، ج7 ص181.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد، فهذه هي أهمّ وسائل التزكية ومعيقاتها، والتي حاولت استنباطها من خلال تفسير الشيخ ﵀، وأرجو أن تكون هي وغيرها –ممّا قصّرت في اعتباره– في حسبان كلّ مسلم سائر في الطريق إلى الله ﷻ، وكلّ من يبحث عن هذه الطريق، والحمد لله ربّ العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، فإنّي في هذا المقام وبعد انتهائي من بيان منهج الشيخ سعيد حوّى التربوي في تفسيره (الأساس)، أشير إلى كون هذا البحث محاولة اجتهدت فيها لكشف ملامح هذا المنهج، وقد أكون قد قصرت في توضيح الفكر التربوي للشيخ ﷺ من خلال تفسيره، والحال هذه لا يسعني إلا التماس العذر، فهذا جهد المقل، وأختم بما خلصت به من نتائج البحث وتوصياته:

النتائج:

- اشتمال كتاب **(الأساس في التفسير)** على جهود تربوية محيطة بنواحي التربية الإسلامية، والتي تشمل الإنسان بقلبه وجسمه وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية، إضافة إلى توجيهات تربوية متعلّقة بعملية الدعوة، وقد شكّلت تلك الجهود قوام المنهج التربوي عند الشيخ سعيد حوّى في هذا التفسير.
- اعتماد حوّى على الآثار والمرويات –والتي كان جُلّها مقتبساً من تفسير ابن كثير– في إثرائه لكثير من الموضوعات، كأعمال القلوب وأمراضها، والآخلاق والآداب، والعبادات النوافل كالذكر، وغير ذلك.
- تأثّر حوّى بالإمام الغزالي فيما يتعلّق بالآثار التربوية لأعمال الجوارح، والتي خلاصتها أنّ أعمال الجوارح تؤدّي دورها التربوي إذا أُدّيت كاملة بظاهرها، ورافق ذلك الآداب القلبية اللازمة لكلّ عبادة.
- نظرية الشيخ سعيد حوّى في الأخلاق تتلخّص في كون أمّهات الأخلاق التي تتفرّع عنها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلّ الأخلاق الإسلامية، هي التي وصف الله ﷻ بها حزبه في القرآن الكريم؛ وهذه الأوصاف هي: المحبّة، والذلّة على المؤمنين، والعزّة على الكافرين، والجهاد، والولاء.

- إسقاط مدلول الآيات على الواقع المُعاصر من أبرز ما يميّز حوّى في تفسيره.
- تأثّر حوّى الشديد بفكر صاحب الظلال، لا سيّما فيما يتعلّق بموضوعات الشرك الخفي والعبادة والحاكمية لله ﷻ، والآيات الكونية، والحياة الأسرية والمجتمعية.
- اعتماد حوّى على مصنّفاته الأخرى في تفصيل بعض المواضيع؛ فورد في (الأساس) إحالات إلى كتب (جند الله ثقافة وأخلاقاً)، و(دروس في العمل الإسلامي)، و(الإسلام)، وغير ذلك.

ومن أهمّ النتائج التي خلصتُ إليها من خلال موضوعات البحث، ما يلي:

- المنهج التربوي هو الطريق الواضح البيّن، الذي يتم سلوكه في عملية الولاية، والقيام على شؤون الصغير، وتغذيته، حتّى يغادر مرحلة الطفولة، وهو الوسيلة لتحقيق الغايات التربوية.
- تفوّق المنهج التربوي الإسلامي على غيره من المناهج التربوية المعاصرة؛ من حيث مصدره الربّاني، ونظرته الشمولية للإنسان، ومن حيث سموّ غايته وهدفه، ومسايرته للفطرة.
- أعمال القلوب وأمراضها هي حالات قلبية، تنبثق عنها أخلاقياتها الظاهرة، والتي تدلّ على وجود كلّ منها.
- لركن الإيمان بالآخرة قيمته التي لا تُغفل في الحديث عن أعمال القلوب وأمراضها، لأثر هذا الإيمان في سلامة التصور، وسلامة السلوك البشري، وفي المقابل فإنّ شعور الكافر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعدم المسؤولية يعدّ من أهمّ الأسباب التي تقف وراء إنكاره للآخرة.

- الإيمان بالله ﷻ وباليوم الآخر وبالوحي والغيب، والتحرّر من الكفر والنفاق، كلّ ذلك معانٍ لا بدّ منها لوجود التقوى في القلب.
- الكفر هو ثمرة الأمراض القلبية والسلوكية، وإذا تأصّلت هذه الأمراض على الكمال والتمام، وصل الكافر إلى مرحلة الكفر الذي لا ينفع معه الإنذار.
- إنّ عمل القلب أعظم من عمل الجارحة، وكل منهما يعتمد في وجوده على الآخر وباجتماعهما يبقى نور الفطرة مشتعلاً، ويحظى صاحبهما بحياة طيبة في الدنيا، وتتحقّق نجاته عند الله ﷻ في الآخرة.
- أهمّ نقاط البداية في الطريق إلى الله ﷻ، نقطتان هما معرفة الله ﷻ والذكر.
- طبيعة المدعوّ وأسلوب الدعوة ومكانها وزمانها، كلّها عناصر مؤثّرة في عملية الدعوة.
- إنّ العلاقة بين التربية والتزكية تتمثّل في كون التزكية ثمرة التربية، ومطلب فوقه والتربية هي الوسيلة المعينة على تحقيقه.
- إنّ من أهمّ وسائل التزكية البيئة الصالحة، ومجالس القرآن والذكر والعلم، ومن أبرز معيقاتها البيئة الفاسدة، وفتنة الدنيا والنساء، ووساوس الشيطان وتزيينه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات:

بعد الوصية بتقوى الله ﷻ، فإنني أخلص من هذه الدراسة بالتوصية بما يلي:

- للسائرين إلى الله ﷻ، والدعاة والمربّين، ضرورة الاهتمام بكلّ الإنسان؛ قلبه وجسده وأخلاقه في عملية التربية، على ضوء المنهج التربوي الإسلامي المتكامل، وعدم التقصير في تربية أيّ جانب من هذه الجوانب، إنْ في شأن الذات، أو في شأن المدعويين، وضرورة تعاهد النفس، بالتزام ما يعين في تزكيتها، واجتناب ما يدسّيها ويعيق تزكيتها.
- إنّ النظرة التكاملية عند الشيخ في موضوع الأخلاق والشخصية النموذجية الإسلامية جديرة بالتدبّر، وبحث واقعها العملي والتطبيقي على مستوى الفرد والجماعة المسلمة حتّى يُستكمل البناء الأخلاقيّ للشخصية الإسلامية، فتكون عضواً كاملاً في أمّة كاملة متّصفة بما وصف الله ﷻ به حزبه في كتابه العزيز، عندها تنال الغلَبة والفلاح.
- ضرورة دراسة الأخلاق والآداب القرآنية لكلّ مسلم ومسلمة، ودراسة حيثيّات ذلك، لاسيّما ما جاء في سورة الحجرات؛ للأهمّية البالغة لما ورد فيها من الآداب.
- للعاملين في سلك الدعوة والتربية، أهمّية الوقوف على توجيهات الشيخ سعيد فيما يتعلّق بعملية الدعوة، وذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة.
- إمكانية دراسة الجهود التربوية للشيخ سعيد حوّى في كلّ سورة، وذلك بناء على السياق الخاص للسورة؛ فقد أعطاه الشيخ ﷺ مدى كبيراً في تفسيره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

كتب التفسير:

- الآلوسي، محمود بن عبد الله (ت1270هـ)، (**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 16 جزءاً.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر(ت 885هـ)، (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**)، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، 1415هـ-1995م، 8 أجزاء.
- حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، (**الأساس في التفسير**)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1405هـ-1985م، 11 جزءاً.
- الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر (ت 606هـ)، (**مفاتيح الغيب**)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، 32جزءاً.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ)، (**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ-2000م.
- ابن عادل، عمر بن عليّ (ت 880هـ)، (**تفسير اللباب**)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط بدون، 20 جزءاً.
- ابن عطية، عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت 542هـ)، (**المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيروت، ط1، 1422هـ، 6 أجزاء.

- الطبري، محمّد بن جرير (ت310هـ)، **(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 1420هـ-2000م، 24 جزءاً.
- قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم (ت1385هـ)، **(في ظلال القرآن)**، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط17، 1412هـ، 6 أجزاء.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، **(تفسير القرآن العظيم)**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، 8أجزاء.
- النسفي، عبد الله بن أحمد (ت 710هـ)، **(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيّب، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م، 3 أجزاء.

مراجع الحديث النبوي الشريف:

- البخاري، محمّد بن إسماعيل (ت256هـ)، **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ- 1987م، 6 أجزاء.
- الترمذي، محمّد بن عيسى (ت 279هـ)، (**سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ-1975م، 5 أجزاء.
- ابن حنبل، أحمد بن محمّد بن هلال (ت241هـ)، **(مسند الإمام أحمد بن حنبل)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م، 50 جزءاً.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، **(سنن أبي داود)**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط بدون، 4 أجزاء. (نسخة مرفقة بأحكام الشيخ الألباني)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة الأزدي (ت321هـ)، **(شرح مشكل الآثار)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ-1994م، 16 جزء.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت463هـ)، **(التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد)**، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكرى، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط بدون، 1387هـ، 24 جزءاً.
- مسلم، مسلم بن الحجّاج (ت261هـ)، **(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 5 أجزاء.

<u>مراجع الأخلاق والتزكية:</u>

- حوّى، سعيد بن ديب (ت1989م)، **(تربيتنا الروحية)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، 2007م.
- حوّى، سعيد بن ديب (ت1989م)، **(المستخلص في تزكية الأنفس)**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط10، 1424هـ-2004م.
- حوّى، سعيد بن ديب (ت1989م)، **(جند الله ثقافة وأخلاقاً)**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1413هـ-1992م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، **(إحياء علوم الدين)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005م، 4 أجزاء.

<u>مراجع علم التربية:</u>

- إبراهيم، عبد اللطيف فؤاد، **(المناهج (أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها))**، مكتبة مصر،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصر، ط6، 1984م.

- بلوم، بنجامين وآخرون، **(نظام تصنيف الأهداف التربوية)**، ترجمة: محمد الخوالدة وصادق عودة، دار الشروق، جدة، ط1، 1985م.
- الحاج محمد، أحمد علي، **(في فلسفة التربية نظرياً وتطبيقياً)**، دار المناهج، عمّان، ط1، 2002.
- الحازمي، خالد بن حامد، **(أصول التربية الإسلامية)**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة المنوّرة، ط1، 1420هـ-2000م.
- أبو حويج، مروان، **(المناهج التربوية المعاصرة (مفاهيمها. عناصرها.أسسها وعملياتها))**، دار الثقافة، الأردن، ط بدون، 2006م.
- داود، عبد الباري محمد، **(المنهج التربوي والعلمي عند الصوفية)**، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 2002م.
- شبل بدران، وفاروق محفوظ، **(أسس التربية)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1993م.
- صالح هندي، هشام عليان، **(دراسات في المناهج والأساليب)**، عمّان، ط1، 1983م.
- عبد المجيد منصور، محمد التويجري، إسماعيل الفقي، **(علم النفس التربوي)**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2000م.
- قطب، محمّد بن قطب بن إبراهيم (ت 2014م)، **(منهج التربية الإسلامية)**، دار الشروق، ط16، جزءان.
- قلادة، فؤاد سليمان، **(أساسيات المناهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار)**، دار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، ط بدون، 1976م.

- الكيلاني، ماجد عرسان (ت2015م)، **(فلسفة التربية الإسلامية)**، دار المنارة، السعودية، ط1، 1407ه-1987م.
- مدكور، علي أحمد، **(مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها)**، دار الفكر العربي، ط بدون، 2001م.
- محمّد المفتي، حلمي الوكيل، **(أسس بناء المناهج وتنظيماتها)**، مطبعة حسان، 1982م.
- أبو مرق، جمال زكي، **(سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنّة)**، مطبعة الرابطة، الخليل، ط1، 2003م.
- النحلاوي، عبد الرحمن، **(أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع)**، دار الفكر، **ط 25، 1428هـ-2007م.**
- يحيى هندام، جابر جابر، **(المناهج، أسسها، تخطيطها، تقويمها)**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط7، 1985م.

<u>مراجع ومصادر أخرى:</u>

- أحمد، حسين علي، **(منهج الشيخ سعيد حوّى في التربية والسلوك)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في تخصّص فكر إسلامي، جامعة صدّام للعلوم الإسلامية، إشراف الدكتور منذر محمّد جاسم، ط بدون، 1421هـ-2001م.
- حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، **(هذه تجربتي وهذه شهادتي)**، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1987م.
- حوّى، سعيد بن ديب (ت 1989م)، **(الله ﷻ)**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1410هـ-1990م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الدرّاجي، محمّد، **(الفكر الحركي عند الشيخ سعيد حوّى)**، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط بدون.
- الرازي، محمّد بن أبي بكر (ت666هـ)، **(مختار الصحاح)**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م.
- زيدان، سعدي أحمد، **(سعيد حوّى ومنهجه في التفسير)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في تخصّص أصول الدين، جامعة بغداد، إشراف الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد، ط بدون، 1414هـ-1993م.
- العقيل، عبد الله، **(من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة)**، دار البشير، ط بدون، 2008م.
- الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد (ت 505هـ)، **(المستصفى في علم الأصول)**، تحقيق: محمّد بن سليمان الأشقر، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، جزءان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت 711هـ)، **(لسان العرب)**، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، 15 جزءاً.
- موجاري، جميلة، **(نظرية الوحدة القرآنية في تفسير سعيد حوّى)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في تخصّص التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، إشراف الدكتور أحمد رحماني، ط بدون، 1422هـ-2001م.
- الوصابي، عمر صالح، **(منهج سعيد حوّى في تفسيره الأساس)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية، جامعة صنعاء، إشراف الدكتور صالح صواب، والأستاذ الدكتور عبد الحقّ القاضي، ط بدون، 1427هـ-2006م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقالات:

- الجيوسي، عبد الله محمّد، ***البناء النفسي للمسلم في ضوء السنّة النبوية وأبعاده الحضارية***، **مؤتمر السنّة النبوية في الدراسات المعاصرة**، جامعة اليرموك، الأردن، 2007/4/18. مقالة 13
- فحلة، حسن أحمد، ***أثر السنّة في توجيه العلوم التربوية والاجتماعية***، **مؤتمر السنّة النبوية في الدراسات المعاصرة**، جامعة اليرموك، الأردن، 2007/4/18. مقالة 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com